علاء العبادي

حوارات الرمل والماء

خليط من القصة والسيرة الذاتية

رواية 2022

علاء العبادي

(2)

حوارات الرمل والماء

(خليط من القصة والسيرة الذاتية)

رواية 2022

الرجل لا يخسر عندما يسقط..
ولكن.. عندما لا ينـهض.

تعلم المشي قبل ان تجري...

العظام تشفى والجروح تلتئم والطنين يزول
ولكن... شيئا ما لن يبرأ ابدا..

الى
اخي وصديقي...فاروق الخالدي
الصادق الامين

هذا ليس صوت السجان عبدعلي، ولا صوت السجان ابو مشتاق، هذه اصوات عصافير. ماذا تفعل العصافير في السجن؟ هل هذه عصافير السجن؟ هل هذه عصافير الكاتراز؟ هل سارى برت لانكستر مرة أخرى؟ لم أنم منذ يومين، لقد اصابني الاسهال الشديد نتيجة طعام قدم لنا في مطعم السجن، كان الطعام كالعادة شوربة ماش لاننا كنا في فصل الشتاء، وصمون حجري قاس كأنه الحجارة يذكرني بصمون الجيش كنت احبه جدا وكنت احرص على ارتداء السراويل العسكرية ذات الجيوب العديدة لاضع فيها ما احصل عليه من الصمون ولاخذه لاحقا الى البيت. عندما احضرت بعضا منه اول مرة قالت امي انه طيب ولكنه قاس لن يتحمله ابوك وربما لن يستسيغه، تعرف ان اباك لم يلتحق بالجيش نجا منه عندما اعتبروه معيلا، ويبدو ان الحكومة انذاك كانت تستثني المعيل من الخدمة العسكرية. اعتقد انه لم يذقه طيلة حياته، ساعرضه عليه مع رغيف خبز لحم وصلني اليوم من جارتنا ام هيثم، وتعلم ان اباك وانا نحب خبز اللحم حتى وان لم يكن فيه شيء من اللحم ولكننا نستطعمه كثيرا، قالت اختي:

- ياله من طعم. انا احبه، لقد احببته، شكرا لك. سيكون طيبا جدا مع الحليب الحار. ياله من طعم. طعمه غريب، لايشبه الصمون الحجري، ولا الفرنسي، ولا اي صم.ون اخر. انه صلب وقاس. نعم، ولكن له طعم مميز، هل تعلم كيف يصنعونه؟ قالت امي:
- توقفي الان. ودعي اخاك يغير ملابسه ليتسنى له تناول الغداء؟ اليس كذلك يابني؟ انت جائع، اليس كذلك؟ هل اكلت الطعام الذي اعددته لك؟، لقد رايتك تضعه في جيب سروالك، يبدو عليك أنك تناولته، هل اعجبك؟ بيض مسلوق وبطاطا مسلوقة، طعام السفر، اليس كذلك؟ ولكنني اعرف أنك تحبه لم يكن ثقيلا عليك.

- البيض طيب، قالت الصغيرة. خاصة مع العنبه، العنبه العراقية ام الشريس اخ نعم نعم طيب مع العنبه انه طعام السفرات المدرسية. كنت أحب الاشتراك في السفرات المدرسية لا لشيء الا من اجل الطعام الذي كانت جميع الطالبات يحرصن على ان تاتي كل واحدة بنوع معين من الطعام تعده لها والدتها ليلة السفر والذي غالبا مايكون من البيض المسلوق والبطاطا المسلوقة والطرشي او العنبة او كباب العروك الذي يسميه البعض كباب طاوه وواحدة او أكثر تحضر الكباب التقليدي. يقوم ابوها او اخوها الكبير بالذهاب الى الجزار لشراء كيلو لحم عجل مثروم ليقوم الاب عادة بتحضير منقلة الشواء واعداد الفحم واشعاله بطريقة ما، فيما تقوم الام بوضع اللحم المثروم بعد خلطه بقليل من الطحين على اسياخ خاصة بالكباب فيما يقوم الاب قبل ان يستلم اسياخ الكباب بادخال بعض رؤوس البصل والطماطم التي اعدتها الام مسبقا في الاسياخ المعروفة باسياخ التكه. كنت أحب هذه الطقوس الخاصة بالسفرات المدرسية كنت أحب النظر الى انواع واصناف الطعام التي تقوم الطالبات بنشرها وتوزيعها على السفرة التي تمتد بطول مترين من النايلون السادة او المشجر وكنت أحب ان اسمع اسئلة البنات، ماذا احضرت يافلانة؟ وانت يافلانة ماذا احضرت؟ انا احضرت كبة البرغل وكبة الحلب. قالت الاخرى انا احضرت مخلمة. انا احضرت الكباب والبصل والطماطم المشوية. لتبقى واحدة منهن مازالت تطاطيء راسها وتخجل من رفعه والنظر الينا. كنت اعرف انها من عائلة فقيرة لقد حدثتك عنها ياامي هل تذكرين؟ لقد لاحظتها في اول سفرة عندما امتنعت عن المشاركة في السفرة التي شاركت بها جميع الطالبات، وعندما اصرت المعلمة على معرفة سبب عدم مشاركتها انفجرت المسكينة بالبكاء:

- ماعدنا فلوس، ست، احنه فقره، ماعدنه فلوس. ماريد اروح وياكم عوفوني, ست. وبكت المعلمة وبكينا نحن عندما كانت دموعها تسيل على خدودها السمراء التي ظلت تنهمر حتى بعد ان هداتها المعلمة وطمانتها بان:
- لاباس، لاباس ياحبيبتي، مو مشكلة، مو كلنا عدنا فلوس والفقر موعيب. راح تجين ويانه للسفرة على حساب المدرسة وعلى حسابنا كلنا، تمام بنات؟ صاحت بنا المعلمة وهي في منتهى الحزن والالم واجبناها: تمام ست، كنت انا وبعض البنات قد بدانا بالبكاء منذ ان اجهشت المسكينة بالبكاء بعد سؤال المعلمة المفاجيء. تذكرين ذلك امي؟ عندما عدت من المدرسة ذلك اليوم وبدات بجمع كل ملابسي والعابي واحذيتي وأردت وضعها في حقيبة كبيرة لكي اعطيها للفتاة الفقيرة وكنت تبكين وتضحكين في نفس الوقت وصرخت بك وانا أذرف دموعي:
- ماما لاتضحكين. عندما ياتي ابي سيعطيني بعض المال لاعطيه للفتاة مع الملابس،
- ماما لماذا تضحكين؟ وكنت تجيبن وانت تنظرين الى جهة أخرى؛
- لايمه. لا والله مدا اضحك، لقد قهرتني المسكينة، خطيه، سوده علي، بطت جبدي. حبيبتي شتريدين تسوين سوي بس خلي ننتظر بابا اول مرة ونشوف شنسوي كلنا بلكت بابا عنده غير راي. كنت انا بعد ان رايت ان لا نهاية قريبة لسيل الذكريات هذا قررت الذهاب الى غرفتي لتبديل ملابسي العسكرية بالدشداشة الشتوية التي اشتريتها في اخر زيارة لي للنجف الاشرف مع أحد الاصدقاء لزيارة صديق عزيز اخر انتقل الى النجف من بغداد قبل سنوات بحكم العمل حيث حصل على فرصة في جامعة الكوفة استاذا للتاريخ بعد ان

حصل على شهادة الدكتوراه منذ سنوات ولم انتبه الا على صوت الصغيرة وهي تقول:

- عيني عيني اليوم مسويتلك اكلتلك المفضلة

انا: محروك اصبعه؟

هي: لايابه لا

انا: لعد شنو:

هي: احزر

انا: تشريب احمر:

هي: هم لا

انا مستمرا: تشريب احمر بالحمص والنومي بصرة والبصل تشريب احمر

ولاني لم أكن جائعا تمددت على سريري بعد ان اخذت كتابا من فوق رف مكتبتي الصغيرة:

- أنى مو جوعان اريد اقرا

هي: طاس كباب

انا قافزا من السرير ورواميا الكتاب عليها

بشرفج؟

لا أدرى متى بدات بحب هذه الاكله التي كانت امي تصنعها لي خصيصا بعد ان ابديت اعجابي بها اول مرة وكنا نجلس معا لتناولها والتمتع بها بل والتغزل بها في كل مرة، كانت الاكلات التي أحبها كثيرة كثيرة جدا لقد ولدت لاحب الاكل. كلنا كنا نحب الاكل ونخصص اياما معينة لبعض الاكلات, الاربعاء مثلا كان مخصصا لاكل السمك الذي كنا نمتنع عن اكله يوم السبت، والجمعة للاكلات الثقيلة مثل مطبك الدجاج او مطبك الباكلة والجزر والماش الخ. كانت طقوس الاكل لدينا طقوسا مقدسة، كنا نستمتع بالاكل، ولم نكن نجمع بين اكلات الصيف واكلات الشتاء. كنا نسمي الصيف صديق الفقير بسبب توفر جميع الخضروات فيه كالباميه والباذنجان والشجرالذي يسميه باقي العرب الكوسه، والسبانخ والبربين الخ. فيما تعتمد اكلات الشتاء وبسبب عدم توفر

الخضروات على الحبوب فقط مثل الفاصوليا والعدس والماش وغيرها. لقد بدات اشعر بالجوع حالما نطقت اختي باسم الطاس كباب عندما وصلت الى المائدة كانت امي تنتظرني هناك سعيدة مبتهجة وتشير بكلتنا يديها الى صحن الطاس كباب المقدس كانها تقول: شلوني؟ لم اقل شيئا سوى

- **عاشت ايدج يوم رحم الله والديج،**

كانت تقف متباهية وفخورة بما انجزت كانها حررت القدس الشرقية والضفة الغربية وشيئا من نهر الأردن، كان اكل امي وطبخها طيبا ولذيذا. وكان الجميع يحترمها ويعزها ويقدرها لمهارتها الكبيرة في طبخ كافة اصناف الطعام وكان معظم اقربائنا يعتمدون عليها في الكثير من مناسباتهم عندما كانت العوائل العراقية انذاك تعتمد على نفسها في اعداد الطعام وقبل زمن طويل من ظهورالطعام الجاهز او المعد من قبل المطاعم ثم بعد ذلك افتتحت معامل ومحلات متخصصة بطبخ اصناف معينة من الطعام الذي كان يقدم في المناسبات التي تستدعي حضور عدد غير قليل من المدعوين خاصة في مناسبات الزواج والماتم. كان الطعام يحتل جانبا مهما من حياة العراقيين، يحبون الاكل ويحبون من يجيد طبخه واعداده، وبسبب كرمهم الشديد، كانوا ومازالوا يقدمونه بكميات كبيرة واصناف متعددة ويمدحون الرجل او المراة او العائلة بالمائدة او مايسمونه في العراق السفرة بضم السين وفتح الراء وهي عادة ماتكون من المشمع او الجلد بعرض متر او اقل وبطول تناسب ومساحة الغرفة او القاعة او الساحة الخارجية او الحديقة ويقولون عن الرجل الكريم:

- **ابو سفرة**
- **شوف سفرته شلونها**
- **ماكو مثل سفرة فلان**

والعراقيون وبسبب طيبتهم وبساطتهم لايفضلون تناول الطعام الا على الارض وهم في ذلك سواء لايهم اذا كان الرجل منهم غنيا ميسورا او فقيرا معدما ذا منصب كبير في الدولة او عاملا بسيطا او فلاحا, واظن ان فلاحي العراق في كل مناطقه الشمالية والجنوبية مازالو يتناولون وجباتهم وهم جلوس على الارض . اتذكر انني عندما عدت من اوربا بعد قضاء بضع سنين هناك، وبعد ان استقر بي المقام وزوجتي في بيت والدي رحمه الله اتصلت بنا اخت زوجتي المقيمة مع عائلتها في مدينة كربلاء تدعونا لزيارتها والبقاء عندها بضعة ايام، وذلك بعد ان كانت زياراتنا لها لاتزيد عن ليلة واحدة او العودة في نفس اليوم، كنت أحب السفر خاصة الى المدن التي تضم المراقد المقدسة كالنجف الاشرف وكربلاء وسامراء والكاظمية. قلت لزوجتي حالما اخبرتني بهذه الدعوة الكريمة:

- أبدل؟، يعني اغير ملابسي الان؟، قالت
- على كيفك، شنو حبها ولبط، انطيني عطوه، خلي اشوف دربي، اليوم العصر نطلع نشتري كم حاجة خو مانطب وايدينا فارغة، انت مو تكول اليطب ايده فارغة مابيه حظ
- اوكي اوكي صار معلوم شنو الغدا؟
- السمجة اللي بقت مال البارحة، ومطبك باكله مال يوم الجمعه.

ومعظم العراقيين لايستنكفون من تناول الاكل البايت اي المطبوخ قبل يوم او أكثر ولايتبطرون على نعمة الله، نعم يسمون الطعام اي طعام نعمة الله ولايجب او لايجوز التبطر عليها، ومن عاداتهم في تناول الطعام انهم يحبون ويرغبون ويتعمدون وبقصد تناول بعض الاكلات البائته كالبامية والسبزي اي السبانخ يقال انهم كانوا يتناولونه في العشاء ويتركون البقية منه لصباح اليوم التالي يتناولونه على الافطار. ومن عاداتهم ايضا حرصهم الشديد على عدم رمي الخبز على الارض ويلتقطون قطعه من الشارع ويقبلونها ويضعونها على جبهتم ثم ينقلونها الى مكان بعيد عن قارعة الطريق

, وكانت للعراقيين اكلات خاصة لايقدر عليها سوى الاغنياء والميسورين مثل اكلة العراقيين الشهيرة المسكوف او السمك المسكوف وهي عبارة عن شوي السمك بطريقة خاصة حيث يتم اشعال النار من اغصان شجرة التوت او الصندل اوالصفصاف كونه يعطي نكهة خاصة تختلف عن نكهة ورائحة الفحم وتعلق السمكة التي عادت ماتكون اما كطان او بني او الشبوط حولها بعد ان يتم فتح السمكة من ظهرها (*والعراقيون هم الشعب الوحيد في العالم الذي يفتح السمكة من ظهرها*) ثم يعلقونها على عيدان قوية من ظهرها لتكون بطنها المفتوحة بالكامل بمواجهة النار , واتذكر انني لم اذق هذا النوع من شواء السمك الا عندما كنت صغيرا عندما دعانا احد اقرباء والدي الى بيته وكان من الميسورين حيث وجدنا ثلاث سمكات كبيرات مشويات على طريقة المسكوف ولاننا نحن السبعة اولاد ابي كنا صغارا ولم يسبق لنا ان راينا مثل هذا الطعام لم نمد يدنا اليه, لكننا هجمنا على بقية الطعام الذي اعدته ربة المنزل .

اريد ان اعود هنا الى دعوة اخت زوجتي في كربلاء والاشارة الى انني انتبهت وربما من اول زيارة لنا لهم انهم كانوا يدعوننا الى تناول الطعام على الارض وجلست في اول زيارة لي لهم مرغما خجلا من اخبارهم بعدم امكانية جلوسي على الارض كنت احب تناول الطعام بهذه الطريقة, ولكن بسبب تقدمي في السن واصابتي بجلطة الدماغ وقبلها اجراء عملية ازالة الغضروف بين الفقرتين الرابعة والخامسة اصبح من الصعب بل من المستحيل ان اثني ساقي واجلس علما انني وبعد اجراء العملية اصبح من التعذر علي السجود في الصلاة واضطررت الى الصلاة جالسا على كرسي او اي شيء عالي .

صاح بي السجان عبدعلي

- استاد عندك زيارة

كنت اريد ان اسال عبدعلي الثخين المليء بالشحم الطيب العطوف

- عبد ماهذه الاصوات؟ قال عبدعلي:
- يااصوات استاد؟
- اصوات العصافيرالا تسمعها؟

قال عبد وهو يحاول ان يصنع ابتسامة خجلة وهو يطيل النظر الى منضدة قريبة من السرير وضعت عليها عددا من الكتب والمجلات وعلبة السكائر غير المفتوحة والمرمية باهمال على علبة البقلاوة التي احضرتها زوجة احد الاصدقاء الذي فر الى سوريا قبل بضعة اشهر على امل التقديم على الهجرة الى الولايات المتحدة بعد ان استلم اكثر من رسالة تهديد بالقتل اذا لم يغادر المدينة الى مدينة اخرى وكان الغرض من التهديد واضحا تماما كانوا يريدون الحصول على منصبه في الجامعة كان عميدا لاحدى الكليات العلمية ونصحته الجامعة بمغادرة المدينة مؤقتا ونصحه اخوه المقيم في سوريا ونصحه اهله واصدقاؤه وطلابه الا انه ابى ورفض الاذعان لتهديد سخيف كما كان يقول. الا ان اصدقاءه أكدوا له انهم استلموا مكالمات هاتفية من مجهولين أكدوا لهم اصرار وتصميم جهة التهديد على قتله اذا لم يذعن لرايهم ويقرر مغادرة المدينة فورا. كنت اتحدث الى عبد وعبد يتحدث الى علبة البقلاوة العراقية التي تاسفت عليها كثيرا لاني كنت احب البقلاوة جدا خاصة البقلاوة العراقية ام الجوز لقد استولى عبد علي على علبة البقلاوة لاني مثل اي احمق سارعت بالتبرع بها له بعد ان اصبح عبد علي على بعد نصف متر من المنضدة بعد ان تركني واقفا عند باب الزنزانة افكر في اصوات العصافير التي بدا صراخها يعلو كلما حاولت ان امنع عبدعلي من التقدم والاستيلاء على كيلو البقلاوة, وكالاحمق الذي يتخلى عن بلده لاسباب تافهه وغير معقولة همست لعبدعلي :

- عبد شنو رأيك بحلويات جواد الشكرجي ؟

عبد: استاد ضايك البقلاوة ام الكيمر؟

انا: عبد أخبرني ارجوك عن صوت العصافير

عبد: ياعصافير استاذ شنو شو مافاتح العلبة؟ صارلها هواية مو اخاف تتلف وبعد منكدر نأكلها.
ووبساطه شديدة لايملكها أكبر برفسور في علم النفس انتقل عبد من صيغة المفرد شو مفاتحها؟ الى صيغة الجمع بعد منكدر نأكلها .
انا: منتظرك تجي عبودي حتى انطيكياها
كان المفروض ان اقول لكي نأكلها معا
عبد: مشكور استاد ماتقصر ممنون جدا منك ياورده كان عبد أقرب السجانين لي لا اقول انني احببته ولكني كنت ارتاح معه واعتقد انه كان يحبني ويدافع عني امام الاخرين سمعته مرة وانا في المغاسل يقول لمن معه:
- انعل والديه اللي يحجي على الاستاد شعدكم وياه تحجون عليه اولاد المدس عوفوه براحته شيريد يسوي خلي يسوي لا موشيوعي دا اكلك موشيوعي الاستاد مثقف وكل مثقف تكولون عنه شيوعي وانتبهت الى ان أحدهم اقترب من عبد وهمس باذنه شيئا ما فسكت عبد وانسحب الى غرفته ولم اره بعد ذلك قط. لم ار عبد علي ولم اسمع عنه اي شيء ولكن الغريب انه عندما اختفى عبدعلي اختفى ايضا عبد الحميد الذي ساتحدث عنه لاحقا بعد ان ظل يرسل لي رسائله بانتظام توقف فجاة بعد ان انتبهت ان هناك تطورا خفيا في رسائله الاخيرة كنت اشعر انه يود ان يقول لي شيئا ما وعندما توقفت عن استلام الرسائل عرفت انني كنت محقا وان عبد الحميد كان يريد ان يقول لي شيئا ولكن ترى ما الذي منعه وماهو هذا الشيء الذي تردد او امتنع عن قوله او ذكره في النهاية؟
قالوا لي انه نقل الى سجن اخر او انه مريض ومازال راقدا في المستشفى. بقيت قلقا على عبد وأفكر فيه كثيرا. ماذا جرى له؟ ماذا حدث؟ هل تمت معاقبته بسبب ماكان يقوله او بسبب دفاعه عني. نعم انا كنت المثقف الوحيد في السجن ودخلت لاسباب سخيفة كما اظن، لم يخبرني احد سبب دخولي السجن ربما لاني تفوهت ببعض الكلام عن الحزب والثورة والقيادة ربما حدث ذلك ولكن سوى ذلك لم افعل شيئا

يستحق ان ادخل السجن، بقيت افكر بالسجان عبدعلي الذي بقي معي اكثر من سنة وقامت بيننا علاقة صداقة قوية جدا لقد سمعت الكثير عنه ولكني سمعت اكثر منه شخصيا روى لي في بعض اللقاءات عندما لايستطيع النوم وعندما كان ياتي الى غرفتي بحجة حاجته الى لفافات التبغ انه لم يكن محظوظا جدا في حياته وعندما سالته

- ليش عبد الم تقل إنك ميسور الحال ومتزوج من فتاة جميلة ولديك منها بضعة اولاد مازالوا في الدراسة الابتدائية وأنك بصحة جيدة

قال والالم يبدو على محياه

- استاد كلما كنت طيبا مع الاخرين كلما اساؤوا لي وسخروا مني. نعم انا ضخم الجثة. ونعم, انا وهذه اول مرة تعرفها وتسمعها مني ان لي قضيبا عظيما لم استعمله الا مع اهلي الا ان الاخرين بدلا من ان يبدوا اعجابهم بهذه الميزة بدؤا بوضع النكات البذيئة عني مثلما فعلوا مع المطرب سعدي الحلي عندما اتهموه بالمثلية واللواط ...
- قلت وانت شعليك بيهم لاتفكر بيهم ولاتهتم.
- لا استاد ميصير. قبل سنوات وصلت احدى هذه النكات الى اهلي واستاءت كثيرا وزعلت وراحت البيت اهلها لمدة شهر وقررت أبطل من الشغل واسافر خارج الولاية لكن اخوتي منعوني استاد وساعدوني ورجعولي مرتي.

وكنت اتعجب واتساءل عن نوع النكات التي يمكن ان تقال حول من لديه قضيب كبير. ان هذا مدعاة الى الاعجاب والفخر والتباهي ولكن اظن ان لجوء البعض الى صنع النكات البذيئة سببه الغيرة لاغير. لم يكن عبدعلي بدماثة خلقه وطيبته وسذاجته احيانا وربما بلهه يستحق ان يسخروا منه، لم تشفع له كل تلك الصفات الطيبة، هذه الصفات لم تكن مرغوبة في مجتمع متخلف وجاهل, ماشفع لعبد هو ضخامته غير الطبيعية، كان ضخما جدا لقد أرعبني منذ ان رايته اول مرة، وخفت منه وصرت اتهيبه واتحاشاه بضعة أيام. لقد روى

لي الكثيرون قصصا عن قوة عبد، خاصة عندما يغضب. لم أكن اختلط مع أحد حتى ممن وجدتهم مثقفين ويقرؤن. لم أكن اثق باحد كان ذلك درسا تعلمته عندما دخلت السجن لم أكن منتميا لاي جهة ولااحمل اية افكار ثورية متطرفة، لم أكن متطرفا. كنت جبانا جدا وعاجزا عن حمل اية فكرة راديكالية. نعم كنت أحب النظرية الاشتراكية وادافع عنها وأحب الثوريين والثورات لكني لم اجرؤ على الاقتناع باي فكرة. كنت مهتما باموري الشخصية وافكاري واحلامي ورغباتي، ولكني مع ذلك كنت عندما اتحدث في موضوع ما كنت اتحدث بانفعال وبصوت عال مثل اي شيوعي متمرس كنت املك الكثير من الحجج واحفظ الكثير من الوقائع التي تشفع لي في طرح حجتي وتساعدني في تقوية رأيي، واعتقد ان لساني ربما هو من قادني اخيرا الى السجن. كان التفكير بصوت عال مرعبا آنذاك, لم يكن مسموحا لنا ان نفكر او ان نقول بما نفكر ونعتقد, لم يكن ذلك مسموحا لنا على مدى عقود من الحكم الفردي الديكتاتوري المتسلط , كنت اعاقب نفسي في السجن بعدم الاختلاط بالاخرين, رغم اني كنت احب الحديث مع احد ما لكني اليت على نفسي وباصرار وعزيمة كاملة ان لا اقترب من احد او اسمح لاحد بالاقتراب مني لاي سبب كان, كان بعض الموقوفين يودون ويرغبون بالحديث معي وكانوا يبحثون عن شتى الطرق التي تساعدهم بالاقتراب واجراء الحديث حاولوا مرارا احيانا بحجة الحاجة الى بعض الادوية التي كنت احتفظ بالكثير منها خاصة مسكنات الالم كالاسبرين والباراسيتامول والبنادول او ادوية الالتهابات مثل الكيفلكس واللينكوسين وغيرها وعندما انتهت هذه الحجة لجؤوا الى حجة الكتب كنت املك الكثير من المجلات والكتب التي واضبت زوجتي على تزويدي بها عند كل زيارة. كنت ازودهم بما يحتاجون من الكتب والمجلات, اسلمهم مايحتاجون بسرعة لاتسمح لهم بالجلوس او البقاء في غرفتي, كان بعضهم يقرا ولكن احدا منهم لم يجرؤ على ان يطلب من زائريه ان ياتوه بالكتب او

المجلات. انا كنت الوحيد الذي حرص اهلي واصدقائي ومعارفي على تزويدي بالاصدارات الجديدة من الكتب, كنت احب القراءة خاصة الروايات والقصص الطويلة, قرات الكثير منها بداية شبابي كنت في سباق مع القراءة, اريد ان اقرا كل شيء واي شيء عندما لم اكن استطيع شراء كتاب ما كنت اذهب الى المكتبة العامة, كان الهدوء هناك ممتعا للغاية, كنت احب هذا الهدوء, احب الهدوء مع الاخرين' كنت احب ان اكون مع الاخرين ولكن لوحدي, كانت هذه الوحدة تعجبني اكثر مما ان اكون لوحدي , من المؤسف انني انسى الاساءات, هل هذا هو السر الذي ابقاني على قيد الحياة؟ لماذا لا أرد اساءة الاخرين لي؟ لم اكن جبانا ولاضعيفا لقد اختبرت شجاعتي وجراتي في مواقف كثيرة، ولكنني كنت شيئا اخر مع البشر، كنت احظى باحترام وربما حب ومودة الاخرين ولكن ليس كل الاخرين كنت اتنازل بسرعة عن حقوقي، بسرعة كبيرة، لا ادري لماذا كنت افعل ذلك؟ كنت اتصرف بدون وعي، اترك نفسي تتخذ القرار السريع الاني دون تدخل مني وكل قراراتها كانت ضدي ولم تكن في صالحي ربما لاني كنت افترض وهذا كان من اخطائي الكبيرة ان الاخرين يجب ان يتصرفوا مثلي، مؤدبين مثلي، منصفين مثلي، يحترمونني كما احترمهم، اعتقد انني كنت مغفلا وأحمقا بعض الشيء، لانني اختبرت الاخرين الاف المرات وتركتهم يتصرفون كما يريدون وليس كما يجب ان يكون. كنت مثاليا جدا والمثالية كانت ضعفا وسخافة وغير مقبولة في بعض المجتمعات وبسببها، بسبب هذه المثالية الحمقاء دخلت الجحيم في الكتاب الاول.

لقد كنت أفكر في الذي سيقولونه عني إذا مت،

- لقد كان جبانا
- وضعيفا
- وبلا راي
- جبانا
- وضعيفا

- ولكن طيبا
- ولطيفا
- لطيفا جدا
- وكان مثقفا
- قارئا ممتازا
- وشاعرا
- واديبا
- ولكنه كان جبانا
- وضعيفا
- ولكن طيبا
- ولطيفا

خوات الكحبه. قلتها قبل ان اموت. وقلت: والله انعل ابوكم يابو نيج نسواكم ياكواويد. قلتها بعد ان مت وقبل ان ادخل الجحيم بيوم واحد.

اليوم فاجاءتني زوجتي عندما اخرجت من حقيبتها التي تاتي بها عند كل زيارة والتي تسميها الخرج بضم الخاء والراء وهو عبارة عن كيس من القماش بحمالتين رفيعتين كل واحدة على جانب ليسهل حمله وعادة مايتم صنعه في البيوت وذلك قبل ان تظهر مثيلاته لاحقا التي قاموا بصنعها من النايلون او من القماش السميك وبألوان زاهية عددا من حافظات الطعام البلاستيكية التي تستعمل لمرة واحدة قلت

- ماذا احضرت؟ ماهذا؟
- فطائر،

ولاني أحب الفطائر نظرت اليها وقلت بكل عذوبة ولطف

- I love you
- قالت اريد اروح الكربلا أزور الامام الحسين قالت ذلك عندما راتني لم امد يدي الى اوعية الفطائر ولا انظر اليها
- قالت شتكول؟

اتصلت بي قريبتنا ام علي ودعتني للذهاب معهم ومجموعة من الزوار يوم الخميس بعد الافطار ونعود بعد صلاة الفجر كنت اود ان تكون معي كما كل مرة ولكن انا مقهورة جدا ولم اخرج منذ وقت طويل وانت بعيد عني قالتها بالم وحسرة هذه البعيد عني، شتكول حبيبي قلت بدون تفكير

- طبعا طبعا اذهبي اذهبي. الخميس تقولين، يعني بعد غد؟ نعم اذهبي وادعي لي لعل الله ببركة الامام الحسين وأخيه العباس ان يفرج علينا امرنا ويخلصنا من هذه الشدة. ارجوك اذهبي احجزي مكانا لك معهم، قالت:
- الا تمانع؟ قالتها بصيغة الاعتذار
- أجد الامر غريبا وغير معقول انت هنا في المعتقل وانا اسافر غير معقول وغير منطقي؟

قلت محاولا طمانتها ومنعها من اقناع نفسها بعدم السفر والغاء الفكرة

- لماذا تقولين انه امر غريب؟ هذا ليس سفرا لاجل الترويح والتمتع. لا، انت ذاهبة الى الحسين، الحسين هو من دعاك ارجوك لاتشغلي نفسك بالتفكير ساكون سعيدا لو ذهبت. اليوم الثلاثاء مو؟
- اي اليوم الثلاثاء وغدا الاربعاء وبعد غد الخميس، بعد الافطار والعودة بعد صلاة الفجر، مضى وقت طويل منذ اخر زيارة لابي عبد الله، ليتك كنت معي انا اشتاق اليك كثيرا اشتاق حقا، لماذا حدث كل ذلك لنا؟ لماذا كل هذا الحرمان؟ لماذا يحرموني منك؟ (كانت حواراتنا تتخذ هذا النمط منذ ان دخلت السجن، نتحدث في موضوع ما ثم تعود الى هذه النغمة نغمة الاشتياق، كنت اعرف حاجتها) ليتك تاتي معي الى كربلاء. الجو حار ارجو ان لاتفسد هذه الفطائر؟ هل بالامكان حفظها في الثلاجة حتى يحين موعد الإفطار، لديكم ثلاجة اليس كذلك؟ رايتها أكثر من مرة، انها قريبة من غرفة

الحرس اطلب منهم ان يضعوها لك في ثلاجتهم. قلت وانا ما ازال مشغولا بالنظر الى صدرها الذي يكاد يتلاشى ويضمحل بسبب الحرمان الطويل

- ياصدرها يا صديقي الذي لم يتخل عني على مدى اربعة عقود كيف تنام وتغفو من دوني ياصدرها من يتحسسك من بعدي ماذا تقول لك سيدة القهر والحرمان؟ قل لي ياصدرها
- علي؟ وين رحت؟ وين دتباوع؟ قالت وهي تلم طرفي عباءتها السوداء بعد ان تركتها تنفرج دون قصد او دون انتباه
- اكلك الفطائر احتمال تخرب حاول ان تضعها في الثلاجة.
- ها اي طبعا. ولكن ياحبيبتي إذا وضعتها في ثلاجتهم اكلوها ونحن الموقوفون اولى بها، ساعطيها لرفاقي الاخرين ليسوا كلهم صائمون اعرف انهم سيقضون عليها خلال دقائق وربما لن يبقوا شيئا منها للصائمين.
- ميخالف خل ياكلوها بالعافيه، ألف عافية. انا احضرت كمية كبيرة منها لاني اعرف أنك تحبها مازلت اسميك ابو الفطائر اضافة الى اسمائك الاخرى هل تذكر؟ الشيخ الوقور واللطيف وعلوان، والاخيرة التي قلتها لك ليلة الاعتقال هل تذكرها؟
- علواوي، اليس كذلك؟ نعم اتذكرها، وابتسم كلما تذكرتها، يومها عندما حرمتني من التمدد فوقك بحجة الوزن اتذكرين؟ هل يعجبك وزني الان؟ لقد اصبحت جلد وعظم كما تقولين هل يعجبك وزني الان؟ لقد فقدت الكثير من الوزن...
- بسبب الجوع كما ارى
- بل بسبب القهر ياعزيزتي والتفكير بك طوال الوقت.
- متى تعتقد أنك ستخرج؟ هناك امل اليس كذلك؟
- اي طبعا اجبتها وانا مازلت اتجول في جسدها.طبعا هناك امل وربما امل كبير, ومازلت اتجول في جسدها المختبيء تحت عباءتها التي اشترتها من النجف في اخر زيارة لنا, ليس هذا

الجسد الذي لا ارى منه شيئا ولايمكن لاي احد ان يرى شيئا منه او ان يتخيله, لا ابدا, انا الوحيد الذي اعرف هذا الجسد منذ ان اطلعت عليه ورايته امامي اول مرة عندما تركت خجلها وحياءها كله في تلك الغرفة الصغيرة في ذلك الفندق الهاديء عندما لم تقل ادر وجهك او اذهب الى الحمام بينما اخلع ملابسي, لا ياسيدي, ولكنها تركتني اساعدها في خلع ملابس العرس دون أي اعتراض , لم تعترض, لماذا لم تعترض؟ لماذا لم تعترض؟ انها تعرف، تعرف انها ستغتصب وستنتهك، انها تعرف، لقد عرفت، ان هذا هو اخر ايامها مع بكارتها الغبية. لقد سمحت لي ان افعل كل شيء، واي شيء. اذن هذا مايفعله العرسان ليلة الدخلة هو يرى ويتعرف على اسرارها سرا بعد سر متسائلا عن الخطوة التالية مستعيدا كل او اغلب ماقاله له اقرباؤه او اصدقاؤه عن ليلة الدخلة بحكم تجربتهم او ماقراه عبر مئات الكتب والمقالات وماسمعه عن قصد او عن غير قصد في اماكن وازمان مختلفة كانت قد رسخت في ذهني بعد ان تكررت أكثر من مرة وعلى أكثر من لسان كنت أفكر بكل الاشياء القذرة ربما لاني كنت الوحيد الذي لايستقبل زوجته في فراش السجن وكان البعض يسألني ولكن لماذا؟ اي لماذا لاتاتي امراتك لتضاجعها في سرير السجن كما نفعل نحن جميعا؟ عندما نستقبل نساءنا في الغرفة البيضاء لماذا كانوا يعتقدون ان كابتي وحزني وانعزالي وصمتي واعتكافي لايام في الغرفة لا اخرج الا لقضاء الحاجة هي بسبب الكبت الجنسي وعدم لقائي بزوجتي كما يفعلون. لم اكن على استعداد لاخبرهم ان زوجتي هي السبب, لاتريد ولاتقبل ولاتسمح لنفسها ان تحصل على المتعة بهذا الشكل وبهذه الطريقة لن يحدث ذلك ابدا اعرفها جيدا ومازلت اعرف بل واتذكر المرات التي نامت معي في سريرنا عارية او فقط بالاتك (*كلمة تركية تعني ثوب*

النوم يستعمل من قبل النساء) اتذكرها جميعها , وفي كل مرة كانت تقوم باغلاق ابواب القلعة والتاكد مرة او مرتين من اغلاق الابواب والشبابيك واسدال الستائر والتاكد من عمل مفتاح غرفة النوم التي وضعت لها مزلاجا صغيرا تقوم بغلقه بعد ان اتفقنا على عدم غلق الباب بالمفتاح لان المفتاح كما انتبهت يصدر صوتا صادما كلما حاول اغلاقه, لكنها وفي كل مرة وبعد ان تقوم بسحب المزلاج ووضعه في وضع الاغلاق تعود الى المفتاح وتديره مرة ومرتين للتاكد من ان الباب مغلقة وان الاضواء مطفاة والستائر مسدلة وان قوات التدخل السريع وقوات الطوارئ والمطافي مستنفرة وفي وضع الاستعداد, وان الهدوء يعم الغرفة التي تركتني فيها قبل ان تباشر مهامها وعملها في الغلق والسد ثم تاتي لتتاكد من كفاية الاغطية الخفيفة والثقيلة على حد سواء حتى وان كنا في فصل الصيف حيث لاتثق بالملاءات ابدا, تقول انها لاتسترنا بما فيه الكفاية, ثم بعد ان تنتهي من كل ذلك وقبل ان تدخل اخيرا في سريرنا وقبل ان تضع راسها على الوسادة تنظر الى السقف وهي تمد يدها الى فمي ان:

- **اسكت، دا اسمع صوت. وهي تسمع الصوت والاصوات حتى وهي نائمة واقول لها نحن لوحدنا وفي كل مرة كانت ترد**
- **ابو احمد يمكن رجع من الشغل**

وفي كل مرة اقول لها مالنا ومال ابو احمد

- يمعودة دنامي عاد، ولاتنام حتى يهدا ابو احمد ويتوقف عن التنفس تماما لتمد جسدها الممتليء وتسمح لي بمد ذراعي تحت رقبتها قبل ان تقول

- **تاخرت عليك**
- **عادي**
- **قبلني**

وبعد (كل قبلني) تسألني:

- مازلت تحبني اليس كذلك؟
- نعم مازلت احبك. وتسال
- لماذا؟ واجيب
- لاني....

لولاك
لمت في الأربعين
ولما أصبحت شاعرا
وطيبا جدا
وابا وجدا
لولاك
لبقيت في الجبهة
مع الضابط محسن
والعريف محسن
والجندي المكلف محسن
ولن اتمتع بالإجازة الدورية
حتى تضع الحرب اوزارها
لان الحب ليس قصة خيالية
يرويها متسول من تحت التكيه
لولاك
ما تعرفت ابدا على زنود الست
ولاقدح تين في الكراده
ولا اذن مسجد في الكرخ
ولا تنفس في الرصافة رازقي
لولاك

ما علمت اني من بغداد
واني لا اموت الا بين يديك
واني في كتاب العشق
عراقي

كان السرير، اخر ملاذاتها القليلة النادرة ولعله كان ملاذها وحصنها الوحيد، هناك تشعر بالاطمئنان وبالراحة، تقول:

- **عندما اكون في حضنك اشعر بالراحة، وكل تعبي يزول**
- **كما تفعل جميع النساء**
- **نعم كما يحصل لجميع النساء**
- **لذلك تحتاج المراة الى الرجل بالرغم من قسوته وغضبه وسوء سلوكه**
- **فان المراة تظل تحتاجه ربما لهذا السبب اليس كذلك؟**
- **نعم توقفي الان عن الكلام ودعيني اقبلك كما تريدين**
- **أحب قبلاتك**
- **لانك تحبين التقبيل**
- **لا، انا أحب قبلاتك انت. انها تريحني ولا أشبع منها.**
- **لعلك قرات نشيد الانشاد، هل قراتيه؟**
- **من الذي يتحدث الان؟**
- **دعينا نسكت الان.**
- **نعم لنسكت.**

من الرائع ان يكون لديك الكثير من المال. هكذا أخبرني أحد اصحاب الشركات عندما كنا نتحدث في مكتبه عن اسباب نجاح البعض واخفاق البعض الاخر بالرغم من اجتهاده ونضاله في العمل

- **عندما يكون لديك المال فانت ناجح والعكس صحيح**

- وماذا عن السعادة؟ قال وبنفس المنطق ونفس الرؤية والتفكير
- ماذا عن السعادة. الامر لايتعلق بالسعادة. جمع المال لاعلاقة له بالسعادة. انا مثلا، اجمع المال لشراء العقارات والسيارات والاستثمار في المشاريع التي يرفضها الاخرون وحسب نصيحة زوجتي التي اتمتع معها بكل مانستطيع الحصول عليه من مباهج ومتع
- ولكن مرة اخرى ماذا عن السعادة؟
- ساقول لك شيئا، انا خريج كليه الزراعة. لم أكن ذكيا دائما ولم أكن مثقفا ومطلعا كما تعلم لم اشغل نفسي بالتفكير ولكنني كنت جيدا في اقتراح وانشاء المشاريع التي تحقق المزيد من الاموال وكنت راضيا عن نفسي ولم أكن أفكر بالسعادة.
- لايمكن ان تضع كل افكارك في كتاب واحد. هذا ما كان يقوله لي الدكتور موسى قبل ان يغادر المعتقل قبلي ببضعة أيام
- انت مليء بالافكار، بالرؤى، بالاحلام،
- بالاصوات
- نعم، كل مايخطر ببالك. ولكن، تذكر ياعزيزي، لاتستعجل بوضع كل شيء في كتاب واحد. لن يتحملونك، سيهربون، انهم لايطيقون الأفكار، اسالني انا الشيوعي المتمرس، سيفرون منك، وربما سيكرهونك، ويشمئزون، ولن يقرا لك أحد، لايحبون التنظير. لقد ملوا من كتاباتنا وافكارنا ونظرياتنا، لقد قلنا كل شيء، ولم نقل شيئا. اجعل الكتاب لفكرة واحدة، وتوسع بها، اجعل الكتاب مثل طبخة جديدة، انها ليست جديدة، ولكنها مليئة بالبهارات والمطيبات لاغير. وهكذا فعلت، عملت بنصيحة الدكتور موسى الذي خرج قبلي باسبوع. ولم اره بعد ذلك .

ثم علمت لاحقا وبعد ان خرجت من السجن ان الدكتور موسى غادر او هاجر الى إنكلترا ومن هناك الى كندا فالولايات المتحدة الامريكية كما هو حال معظم الشيوعيين الذين يفضلون الراسمالية والديمقراطية والحرية وان كانت في أمريكا على اشتراكية وشيوعية الاتحاد السوفيتي وحصل على الإقامة وربما على عمل في احدى الجامعات المرموقة ولم اسمع عنه أي خبرر بعد ذلك.

***

هل كنت تداعب بظرها؟

كان ذلك اول ماورد على لساني حالما توقف ابو مشتاق عن سرد معاناته التي افضى بها الي بعد ان سألته عما إذا كان لديه اولاد ام لا رغم أنى كنت اعرف انه بلا ذرية وانه متزوج منذ بضع سنين وانه راجع الاطباء الاختصاصين وتبين سلامته من اي مرض او عائق يحول دول الانجاب وكذلك الامر مع زوجته،

ـ الامر بيدالله سبحانه وتعالى أستاذ، وانا راضي بحكم الله سبحانه وتعالى

لاادري كيف انتبه ابو مشتاق الى كلامي رغم إني لم أكن اقصد مقاطعته ابدا قال

ـ ماذا تقول استاذ لم افهم ماقلت؟

كنت افكر بالملك الفرنسي لويس الرابع عشر عندما ظن ان عيبا فيه او في امراته الشابة الناضجة يحول دون حملها بوريث بعد بضع سنوات من زواجه بها الى ان ساله طبيبه الخاص هل تداعب بظرها ايها الملك وكان الملك بخلاف ابي مشتاق يعرف بالتاكيد ماهو البظر ومامعنى المداعبة قال الملك لا افعل ذلك انا اقع عليها كلما اشتهيتها او اشتهتني وننجز المهمة خلال دقائق ماعلاقة بظرها بالحمل ايها الطبيب الاحمق قال الطبيب الاحمق ذلك من اسرار النساء يامولاي تحتاج المراة الى المداعبة والملاطفة والغزل الحلو البسيط ومن اهم

شروط وواجبات المداعبة ان تلتمس بظرها وتفركه قليلا برقة ولطف وبالكثير من التاني والصبر ولكن بالكثير من العزيمة والاصرار وسيعجبها ذلك كثيرا اوه سيعجبها حتما(اما سمعت قول الرسول صلى الله عليه واله (لاتقعواعلى نسائكم كما تفعل البهائم, بل اجعلوا بينكم رسولا, قالوا وما الرسول يارسول الله؟ قال: القبلة والكلام البسيط.) كان الملك يضاجع بالاضافة الى زوجته الرسميه الكثير من الفتيات الى جانب محظياته الخبيرات بفنون الغزل والجماع وكن يعرفن كل اسرار الحب في السرير خاصة إذا كان السرير سرير الملك ولكن الملك كان يريد زوجته ان تحبل كان يطمح للحصول على وريث ذكر يريده بسرعة وكان يظن انه كلما جامع امراته بسرعة جاء الذكر بسرعة لذلك كان الطبيب يجلس معه ساعات طوال يعلمه فنون مداعبة المراة محاولا اقناعه ان المراة ليست فرسا يركبها الفحل متى ماراد الجماع. كان الملك لويس الرابع عشر او ربما الخامس عشر لا أتذكر، يخبر طبيبه الاحمق

- **أحيانا يكون الفرج، فرجها جافا، ولااستطيع إدخاله، ماذا افعل؟**
- **احشره، قال الطبيب الاحمق**
- **احشره؟، أجاب الملك متعجبا، ولكن كيف؟ لن يدخل، أقول لك عندما يكون جافا، وليس رطبا**
- **نعم احشره أيها الملك،**
- **وبدون رضاها؟**
- **أي نعم بدون رضاها، لانه لو كان برضاها لما كان جافا، لكان رطبا ومبتلا وناكعا ومخرخرا ودائخا ومثولا ولزجا وطائعا وراضيا ومرضيا، لو كان برضاها. هكذا يكون الإيلاج، احشره فيها وانفض كل غضبك والامك ولعناتك وسوء حظك مع الشعب الفرنسي اللعين الذي يطالب بالخبز قبل الحريه. الشعب الفرنسي الاحمق الذي لايخرج للتظاهر من اجل الكهرباء او عدم تعيين شبابه الخريجين. ولكن يتظاهر ويحتل**

البرلمان اعتراضا على مرشح الطرف الاخر، لان هذا المرشح لايحب التمن وقيمة، ولايحب الكاهي والكيمر، وهكذا يكون النيك، نيك المتظاهرين المتوجهين الى الباستيل، قبل ان يعبروا الجسر ويقتحموا البرلمان، قبل ان يسقط سجن الباستيل، قبل ان تقول ماري انطوانيت امراة لويسكم السادس عشر

- خلي ياكلون كيك إذا ماكو خبز، قبل ان يعتذر لويس ويعلن انه سيتنازل عن الحكم ويرد أحدهم
- من طيزي

لان كل مايحدث لنا ومايحدث لكم قبل الثورة وبعد الثورة قبل السقوط او بعد السقوط.. وقبل احتلال الجزائر وقبل داعش والقاعدة هو كما قلنا لكم انه.. نفس الطاس ونفس الحمام لان الخره أخو البول، ولن يعتذروا ولن يستقيلوا.. هل سمعت بطاغية يعتذر او يستقيل؟ وحتى المتظاهرين، لن يفعلوا شيئا. لأنهم يعتقدون ان التظاهر مجرد التظاهر يعتبر انجازا. لان الجميع ياسيدي لايفكر في بناء دولة كما يفكر الانكليز اوكما فكروا قبل أكثر من اربعة قرون. لن يتغير شيء. هل تتذكر ايام الدراسة المتوسطة كيف كانوا يخرجون في مظاهرات ياخذونهم الى مدارس اخرى ليقذفوهم بالحجارة ويصيحون طلعوهم طلعوهم لان فلسطين لم تعد الهدف الذي خرجوا من اجله بل طلعوهم... طلعوهم.

- لادري لماذا نطقت بذلك السؤال في وجه ابو مشتاق مع علمي بتفاهة وغباء وجهل ابو مشتاق الذي كان يمثل الوجه القبيح للنظام السياسي لم يكن أحد يحبه. ويحتقره ويزدريه الجميع وكنا كلنا نخافه ونخشاه بسبب لؤمه ودناءته وحقده وقسوته على الجميع كان يبتز الجميع ويبتكر افظع الطرق في ابتزاز الموقوفين قيل لي انه هو من ابتدع فكرة ان يدفع الموقوف مبلغ عشرة الاف دينار اذا اراد الموقوف ان يقضي حاجته في مرحاض السجن ومبلغا اكبر اذا اراد الاستحمام

لقد كان استاذا متمرسا في فن الابتزاز والاستيلاء على مايحصل عليه الموقوفون من اموال ياتي بها ذوهم كل اسبوع او عند كل زيارة كانت حجته ان مرؤوسيه يحصلون على النسبة الاكبر مما كان يستولي عليه المفوض فلان والمفوض فلان والملازم والنقيب وامر السجن الخ لم تكن لديه اية اخلاق. لم يكن يعرف مامعنى الاخلاق فكيف يمكن ان يعرف معنى الامانة والنزاهة؟ ناهيك عن الشرف؟ قال وهو ينتظر ان اعيد عليه سؤالي لكنني تجاهلت ملاحظته وشغلت نفسي بفتح جرار المنضدة لابحث عن شيء ما، فما كان منه الا ان اعاد على مسامعي ماكان يريدني ان انتبه له اي قصة عدم انجابه لحد الان بالرغم من مرور هذه السنوات على زواجه وماهي الحكمة في عدم انجابه وحصوله على ذرية وبغباء شديد وبلاهة لايمكن غفرانها صرخت في وجه ابي مشتاق الحليق الناعم باستثناء شاربه الكثيف المقيت:

- لعل الحكمة في ذلك بسبب خطاياك يابا مشتاق وسوء اعمالك مع الناس، خاصة معنا نحن الموقوفون وابتزازك وسوء معاملتك لكل واحد منا ولمن سبقنا من الموقوفين والمساجين. انها خطاياك وافعالك التي لاتغتفر، انها عقوبة ياسيد. هل تظن ان الله سيغفر لك او يسامحك على افعالك هذي؟ لا ياسيد، انه يعاقبك في الدنيا وسيعاقبك في الاخرة، تاكد من ذلك. نعم لن يغفر لك ابدا، لقد فعلت اشياء لاترضي الرب. هل تعتقد ان الصلاة ستشفع لك؟ لقد راياك تصلي، وتلتزم باوقات الصلاة ولكننا نعتقد ان صلاتك كانت تمثيل لاغير، إنك تحاول ان تخدع نفسك قبل ان تخدع الاخرين. أنك ممثل، تدعي شيئا وتفعل شيئا اخر، وكل افعالك سيئة وكل نواياك مكشوفة، لقد خدعت الاخرين خاصة المقربين منك. لاادري اذا كانوا مثلنا يعتقدون انك منافق ومدعي, نعم اظنهم كذلك, ولكن لانهم مستفيدون منك فانهم سيبقون معك الى

النهاية سيتحملون كرهنا لهم وحقدنا عليهم وغضبنا وسخطنا على كل افعالهم التي يقومون بها لارضائك حتى وان كان على حساب امننا وراحتنا, انهم تبع لك وامعات, يقولون ماتقول ويفعلون اكثر مما تريد وتامر به, يطيعونك في كل شيء, ويفعلون من اجلك كل شيء, ليس من اجلك وحسب, بل من اجلهم هم, نعم من اجلهم هم, لقد ارتضوا فعل السيئات, مثل الابتزاز والادعاء والتنمر والتطاول على الاخرين من اجل مصلحتم فقط لانك غضضت النظر عما يفعلون. بل ولعلك شجعتهم أيضا، الم تقل مرة لماذا لايسرق فلان؟ ولماذا لاياخذ الرشوة؟ لقد عرفنا كل سيئاتك حتى تلك الجريمة او محاولة القتل التي نفذتها مع اشقياء مثلك. انت ايها المسخ والوجه القبيح لهذا النظام الدموي المتسلط.

كان أبو مشتاق قد غادر منذ وقت طويل، قبل ان يرى الغضب في وجهي، وقبل ان ابدا خطابي الحاقد بوقت طويل. انتبهت وسالت أحد الحرس، ان أبا مشتاق لم يكن له ولد، كان بلا ذرية. لكن الجميع ينادونه ويكنونه بخلاف عبدعلي الذي كان لديه ولد وبنت ولااحد يكنيه بهما. لماذا؟ ... كان الجواب لان اسم أبو مشتاق هو: حايف، وكان البعض يناديه باسم جايف او خايف الخ بقصد او بدون قصد. فأصدر أبو مشتاق أوامره بان يدعوه الجميع بكنيته التي اختارها له أحد الرفاق بداية انتمائه للحزب. كان أبو مشتاق هو المدير الفعلي للمعتقل. الكل يخافه ويخشاه، بسبب لؤمه وحقارته وظلمه وعدم احترامه للكل. وكان أكثر من يخشاه هم زملاؤه في العمل. يتحاشونه بكل الوسائل، ويهربون منه كلما حاول الجلوس معهم. يبتكرون كل الاعذار للابتعاد عنه، كان لئيما، جاسوسا للمدير دون ان يكلفه المدير بذلك. ظن من كان يعمل معه ان محسن هو جاسوس المدير، بعد ان عرفوا قرابته من امراة امر السجن. لكنهم ظلموا محسنا، عرفوا ذلك بعد عدة احداث. ظلوا يجربون الواحدة تلو الأخرى، الى ان اكتشفوا ان أبا مشتاق هو من كان يوصل الاخبار

والاحداث الى المدير. انه أبو مشتاق الذي كان يتبرع بايصال الحدث في التو والساعة الى مديره، وعندما تساءلوا بينهم عن سبب هذا النفاق وهذا اللؤم خاصة وانهم كانوا طيبين معه، ويحترمونه بشكل ما، ويقومون ببعض واجباته بدلا منه، وينجزون الكثير من الاعمال التي يحتاجها في البيت كاعمال الترميم والسباكة والصبغ الخ. فلماذا اذن كان أبو مشتاق يتصرف بهذا اللؤم والحقارة. اهكذا يكون رد الجميل؟ والانكى من ذلك، ان بعضهم كان معه ولفترت طويلة بنفس الخلية الحزبية. وشكاه بعضهم بسبب سذاجتهم الى المسؤول الحزبي الذي وقف مع ابي مشتاق بعد ان رد شكواهم وفندها وردهم شر رده. كان أبو مشتاق الوجه السيء للنظام. هذا النظام الذي كان يدافع عن المختلس بنظرية مبتكرة مثل لاباس، لعله محتاج، لديه عائلة كبيرة، ومصاريف ونفقات.. ومن هذا الخريطي. وفي المقابل كان هذا النظام يتساءل عن الرجل العفيف النظيف النزيه: شوفوه ليش مايختلس ومايسرق؟؟

ومازال بعض المناويك يدافعون عنه حتى بعد سقوطه منذ عقدين. لم أكن أحب ولا اود أمثال أبو مشتاق الذي عاقبه ربه بحرمانه من الذرية وتعذيبه بعدم وجود سبب واضح لعدم الانجاب عقاب يثلج القلب ولكن العراقيين طيبي القلوب سرعان ماينسون الجانب السيء لمثل هؤلاء عندما يسمعون بإحدى مصائبه، كحرمانه من الذرية مثلا، لتبدأ سلسلة التعاطف معه والعطف عليه. مثل، خطيه، والله يساعده بعده شاب، ومرته بعدها زغيره. خطيه والله ميستاهل، وينسون انه كلب ابن كلب وانه كان يتصرف كحزبي حقير يكتب التقارير بحق الشرفاء والمخلصين والوطنيين فقط ويقطع طريق من يشاء ويوجه التهم المفبركة لمن يشاء ورغم انهم عانوا منه الامرين أيام الجيش الشعبي الذي اقترحه أحد القياديين في الحزب وعانى منه العراقيون بعد ان وضعوه واخترعوه لجر غير المشمولين بالتجنيد وارسالهم الى جبهات القتال تماما كما فعل المقبور هتلر عندما امر بتجنيد الأطفال وارسالهم الى الجبهات.

لم يكن أبو مشتاق طيبا مع أحد. ولا أحد يعرف عنه شيئا في بيته. كيف يتعامل مع زوجته، او مع اقربائه وأهله وهل لديه أصدقاء وماذا يقول جيرانه عنه؟ سيقولون عنه كل خير فانهم لن يامنوا حقيقة السائل باي شكل من الاشكال وقد ظهرت حقيقة أبو مشتاق وغيره كثيرون عندما اختفوا تماما بعد العام 2003, الذي يسميه البعض عام السقوط ويسميه اخرون عام الغزو الخ. لم يرى أحد أبا مشتاق بعد ذلك لكن أحد معارفه صرح مرة لاحد موظفي السجن عندما كان يزور أحد اقاربه ان أبا مشتاق أصبح أبا لمشتاق فعلا، فبعد أشهر من اختفائه رزق بولد سماه مشتاق وانه ظل يحمد الله كثيرا على رضاه عنه أخيرا، وانه أيضا بقي يدعو لمن لايذكر اسمه عندما ساعده على حملها حيث تبين ان أبا مشتاق كان قد اخذ بنصيحتي التي ظننت انه لم يسمعها جيدا واخذ يعمل عليها وينفذها كلما واقع امراته كما كان يفعل لويس الرابع عشر الذي لم يكن يعلم إذا كان الولد الذي رزق به من امراته هو ابنه حقا ام ابن عشيقها؟؟؟؟ المهم اننا لم نعد نرى هذه الشكولات الزفرة بعد ذلك ولكن ظهرت شكولات زفرة أخرى لاتقل حقارة ولؤما وفسادا من الشكولات الزفرة السابقة ويبدو ان رجالا من أمثال أبو مشتاق وغيره لايختفون هكذا والى الابد. الظاهر انهم قبل ان يختفوا بشكل كامل يقومون تسليم حقاراتهم وفسادهم الى من يأتي بعدهم، فيما يشبه الذمة التي تنتقل من السابق الى اللاحق وكلهم السابق واللاحق كلهم أولاد كلب، ولن ينتهي نقل الذمة هذه الا بغضب عارم يجتاح قصر الخليفة ويقتحم غرف نومه ويبطش بمعاونيه وزبانيته ويبقر بطون حريمه ومحظياته وعشيقاته وخدمه وكل من يعمل بامرته بطوع امره ورغبته لعل هذه البذرة الخبيثة نجتثها مرة واحدة والى الابد، لعل.

وسالت كاظم الذي ظل مواضبا على زيارتي في بيتي او في أحد مقاهي الكراده داخل عن أصدقائه في الكاظمية قال

- تصدك استاد كل أصدقائي من اهل الاعظمية. نعم كانت لدي مجموعة من الأصدقاء من أبناء الجيران او من تلاميذ

المدرسة ولكن بعد التحاقي بالاكاديمية العسكرية وجدت ان كل من اعرفهم هم من اهل الاعظمية،

- هل اتيحت لك الفرصة لزيارة مرقد ابي حنيفة؟ وسمعت ضحكته الاثيرة عندي مرة أخرى بعد ان افتقدتها لوقت طويل، كان يود ان يسأله احد ما هذا السؤال الذي أجاب عنه بكل مودة وشغف:
- كان بودي ذلك، لولا انني عندما كنت في السيارة مع أحد الأصدقاء من اهل الاعظمية سألته عن رغبتي في الدخول الى مرقد ابي حنيفة وزيارة المرقد فاجابني على الفور
- ليش هو أنى شايفه لابو حنيفة
- ولم اساله بعد ذلك ولا أي أحد اخر عن هذه الرغبة على امل ان يدعوني أحد الأصدقاء الى زيارة المرقد مستقبلا

هنا كنت اشعر بالاطمئنان. لماذا كنت اشعر بالراحة؟ هنا لم اعد اخاف من اي شيء، هنا كل شيء مختلف، لم تتوقف الحياة كما يقولون. كنا نمارس ونعيش حياتنا بشكل طبيعي، نأكل ونشرب وننام ونستحم ونمارس العادة السرية، ونحلم ونحتلم كثيرا ونتشاجر ويصرخ بعضنا على بعض. لم نكن نستحي من أحد وحتى الخائف والجبان بدا يتجرأ على الاخرين كان السجن خليطا عجيبا من البشر لم نكن نعرف تهمة كل واحد كان الجميع يتستر على تهمته ليس خجلا ولكن خوفا من الانتقام او الاستغلال ولكننا وبمرور الوقت عرفنا بعضنا بعضا وبدءنا تدريجيا ويوما بعد يوم وكلما تطورت العلاقة بدانا نبوح بمكامن صدورنا وندلي باسرارنا دون قصد. وهكذا بعد ايام غير طويلة لم تعد هناك اسرار بيننا ولم نعد نسمع عبارة (اكلك ولاتكول) كانت هناك ثمة الفة وود خفي بين الجميع. انكشف الجميع على بعضهم. ولاسباب شخصتها ورصدتها تدريجيا اختفت وتلاشت الفوارق الطبقية بيننا. اصبح الحاصل على شهادة الدكتوراه والمدير العام والحزبي والقاضي يبادرون من تلقاء انفسهم للقيام بالاعمال التي يقوم بها عادة من لايملك الشهادة العليا

او المنصب الرفيع لم يكن الجميع في مستوى واحد, ولم يصبحوا كذلك ابدا لم يتحول الدكتور المتخصص بالفيزياء الى عامل قمامة او العكس لقد احتفظوا وحافظوا على مستواهم الاجتماعي والعلمي والثقافي لانفسهم وحسب لم يفرضوه على الاخرين, بمعنى لم يستغلوا هذه الميزة او تلك لغرض التفوق او التباهي او الاستغلال وجدتهم بعد حين وكانهم قد اعجبتهم هذه الحالة ان يتواضعوا ويتراحموا فيما بينهم كنت احس بسعادتهم عندما يجتمعون لتناول الطعام, خاصة الطعام الذي ياتي من الخارج. كانوا يستمتعون بالاكل، نحب الاكل كنا نقول:

ـ كانوا يقولون نحن قوم لاناكل حتى نجوع وإذا اكلنا لانشبع وكنت اقول دائما ان الاخلاق تظهر غالبا عند الطعام وقد كانت نظرتي ونظريتي عن العراقيين صحيحة تماما عندما كنت أخبر الجميع ان العراقيين طيبون لأنهم يحبون الاكل. وكنت كثيرا ما اتساءل ترى هل هناك عراقيون نباتيون؟

قال لي أحد اصحاب المحال في دمشق العام 2007, أنتم العراقيون مجانين حقا. قلت لماذا؟ قال، انكم تاكلون اللحم كل يوم. وتذكرت اخي رحمه الله عندما عثر نهاية الثمانينيات اثناء عودته من العمل على شريط كاسيت في أحد الشوارع وعندما وصل الى البيت وقام بتشغيله وجد انه يتضمن رسالة صوتية سجلها أحد المواطنين المصريين ممن كانوا يعملون في العراق ابان الحرب العراقية الايرانية كان ينوي ارسالها الى عائلته في مصر، يقول في بعضها مشيرا الينا نحن العراقيين: دول بياكلوا لحمة كل يوم. الم اقل لكم اننا طيبون جدا لاننا كنا نرضى بكل شيء اذا كان هناك لحم في الطعام او لا يوجد لحم في الطعام ولكننا على اية حال كنا نحب اللحم, لحم الضان خاصة لان الضان العراقي يختلف تماما عن لحوم اي ضان اخر خاصة لحوم المناطق الباردة التي يبقى شحمها في جسدها بخلاف الضان العراقي الذي يتجمع في ذيلها مكونا مانسميه نحن باللية وكنا ومانزال ناكل كل شيء في الخروف عدا القرون

والجلد ولدينا اكلة شهيرة اخترعناها قبل بضعة قرون ندعوها بالباجة وهي عبارة عن راس الخروف واطرافه تطبخ سوية وتوصف غالبا للنحيفين وضعيفي الجسم وتؤكل عادة من قبل اصحاب المهن الحرة الشاقة كالحدادين ومصلحي السيارات ومايتعلق بها.

قلت لاحمد الشاب الذي كان في نهاية العشرينيات من عمره، والذي استدعوه على عجل لمعالجة أحد انابيب الماء الذي انفجر فجاة في حمام السجن، والذي كاد ان يتسبب بفيضان كبير، والذي كان ماهرا جدا في عمله الذي يتقنه كثيرا ويجيده أكثر من اي شخص عرفته سابقا ممن يعملون في التاسيسات الصحية:

- لماذا لم تكمل دراستك وتلتحق بالجامعة؟ قال
- الجامعة ليست مناسبة للجميع.

لقد صدمني احمد بهذا الجواب. لم أستطع الرد فورا، احنيت راسي الى الاسفل ودخلت في صمت غريب لم افق منه ولم انتبه اليه الا وانا ارفع راسي لانظر الى احمد جالسا على سريري وانا جالس على الكرسي الوحيد في غرفتي التي لم اعي ابدا كيف وصلت اليه

- لماذا؟ لاادري لماذا قلت لماذا لااتذكر ماقال احمد لاساله هذا السؤال لكنه قال
- توقفت عن القراءة والرغبة باكمال الدراسة بعد وفاة والدي المفاجئة. وسكت. اردت ان اساله عن كيفية وفاة والده، لكنه كان مشغولا بعمله ولم أرد ازعاجه لكنه استمر قائلا:
- كنا صغارا انا واخوتي وكنا فقراء وفي عوز وضيق شديدين، واضطر ابي الى ان ياخذ جهاز التلفزيون الصغير لبيعه بعد ان لم يبق لدينا شيء لبيعه كنا نبكي من الجوع وكانت امي تبكي لبكائنا ونطمئن كلما رايناها قد وضعت قدرا على النار وبانتظار ان ينضج الطعام كما نعتقد وكما اخبرتنا امي بذلك

كنا نغفو وننام لنستيقظ في صباح اليوم التالي وقد نسينا جوعنا لنبدا رحلتنا اليومية مع جوع جديد.

كنت ابكي، ولم اعرف كيف اداري دموعي عن احمد، كنت ابكي بحرقة، واغضب على نفسي لانني لا اتذكر انني كنت جائعا يوما او ربما كنت جائعا يوما ما ونسيت ذلك، ظل احمد مشغولا بعمله ولم يلتفت الي حتى بعد ان علا نحيبي وبكائي الصامت، كنت اريده ان يعود الى حديثه عن ابيه واساله، ماذا فعل ابوك وماذا حدث؟ قال وكأنه سمع سؤالي.

- لقد مات، قتله أحدهم بعد ان تمكن من بيع التلفزيون وحصل على المال، تعرض له أحد السفلة وطعنه بسكين في خاصرته واخذ المال وهرب.

لم أستطع البكاء بعد، لاني عندما اكون غاضبا لا ابكي، وكانوا يسألونني ايام عاشوراء عن سبب عدم بكائي على مصاب وفاجعة الامام الحسين؟ فكنت اقول، كيف ابكي وانا غاضب ...

(لم يعثر على كنز، هذاماكانوا يرددونه كلما سألتهم عنه، عن ابو البواري، احمد، لكنه لم يعثر على كنز،

- سيارتان احداهما بي ام دبليو، يارجل، سيارتان ومازال دون الثلاثين،
- قلت لكنه غير متزوج اي ليس لدية مسؤوليات وأمه ماتت وهو صغير واخوته كبروا وتفرقوا وأصبح يعيش لوحده اليس كذلك،
- نعم ولكن استاد سيارتان خلال بضع سنوات و. ابو بواري ارجوك،
- قال دكتور صفاء لعله ورث شيئا ما،
- قلت مثنيا على كلامه كأنه أنقذني، نعم نعم لعله كما يقول الدكتور.. ورث وقبل ان أكمل صاح بي من كان يجادلني
- رحمه الوالديك ياورث هو هذا شكول ورث ومنين ماعنده أحد النوب يورث، ولما لم أجد طائلا من وراء هذا السجال قلت

مستسلما انت على حق وكما تقول) كنت مهتما باحمد ابو البواري كانني لم أكن اريد ان اصدق انه متمكن ولديه سيارتان لادري وربما بيت او عمارة، كنت اريده ان يبقى فقيرا كما تركه ابوه عندما ذهب ليبيع التلفزيون، كنت اريده ان يبقى فقيرا لاحظى بشرف مساعدته، مساعدته باي شيء، كنت اريده ان يبقى فقيرا، كنت أحب الفقراء، وكنت اعتقد انني اعرف لماذا جعل الله سبحانه وتعالى بعض البشر فقراء وبعضهم اغنياء. كنت أحب الفقراء، وأحب ان تتحسن امورهم ويبتعدون عن الفقر بشكل او باخر، الا احمد ابو البواري لم أكن أحب ان اراه غنيا او ميسورا كنت اريده ان يبقى فقيرا كما رايته وعرفته اول مرة. ولم ار احمد بعد ذلك وكنت اسال الجميع عن حالة الحنفيات والانابيب وسواها وكانوا يستغربون من هذه الاسئلة، شنو الموضوع؟ لماذا يسال الاستاد عن الحنفيات والانابيب والمجاري؟ ليش؟ لم أعبأ بهم لاني استمريت بالسؤال

- اكلكم تره الحنفية مال المرحاض دتخر وداشوف رطوبة يم انابيب الحمام وجوه المغسلة الخ ...

لم يصدقني أحد وكانوا ياكدون لي ان كل شيء على مايرام ربما ظنوا انني قد جننت، لم ينتبه أحد منهم والحمدلله انني كنت اقصد ان يستدعوا احمد ابو البواري، لم ينتبه أحد لهذه الملحة وهذا الاصرار على تعطيل دورة المياه في السجن،

- شبيه الاستاد وشنو الموضوع؟،

استمر هذا الوضع الى ان سمعت أحدهم بعد ان خلد الجميع الى النوم بعد ان تناولوا وجبة طعام دسمة وثقيلة جاءت بها ام وزوجة احد السجناء فاردتهم صرعى قبل ان يغسلوا ايديهم التي كانت تحمل اثار الجريمة التي اقترفوها بحق فخد الطلي وثلاث دجاجات مشويات وكيلوين كباب شوي وخبز ابيض وطرشي وطن زلاطة وسطل لبن رائب، سمعت احدهم يقول

- روح ساعد احمد بالغراض

ولم انتبه سوى لكلمة احمد، ولم أفكر، قفزت من السرير وبملابسي الداخلية محاولا الركض لاعرف من هو احمد، وإذا بي وجها لوجه مع احمد ابو البواري وقبل ان اقول اي شيء قال

- شلونك استاد مشتاقين حبيت أسلم عليك، قالوا لي أنك كنت تتحدث عني كثيرا وتود رؤيتي
- اهلا احمد اهلا وسهلا نعم تفضل أستريح،

كنت سعيدا جدا، معقولة احمد امامي ومعي في غرفتي، لا اصدق، قلت وانا احاول ان ارتدي دشداشتي الصيفية البيضاء

- الله بالخير حمودي
- الله بالخير استادي، اسف استاد لازم اروح لغرفة المدير، لقد استدعوني على عجل، وقبل ان ينهي عبارته صاح أحد الحراس
- احمد يمعود وين صرت مو المديرراح يرجع ونريدك تخلص قبل مايجي
- تعذرني استاد، امر عليك ان شاء الله من أخلص
- اوكي احمد براحتك، انتظرك

لم اشعر في حياتي كلها بمثل هذا الاحباط قط، ربما مرة او مرتان، ولكن ليس كهذه المرة. بعد ان وقفت على التفاصيل المرعبة التي القاها على مسامعي ابو البواري، صدمت بشدة، وصحوت فجاة على الحقيقة المرعبة، لم اتمكن من استيعابها اول مرة، لقد كنت مصدوما، وغاضبا على احمد وقصته المرعبة اولا، وعلى نفسي لاني تعاطفت معه منذ اول مرة ثانيا. كنت على استعداد لان اغير مبادئي وافكاري ومعتقداتي دفعة واحدة بسبب هذه القصة الفظيعة لم اسمع بمثلها من قبل، امسكت نفسي عن الرد او التعليق وتركته يتحدث عن حقيقته وحقيقة وضعه المادي على مدى نصف ساعة، مؤكدا ومضيفا ومفسرا بين عبارة واخرى ان مايقوله سيقوله لي وحدي وان لا احد غيري يعرف بهذه المعلومات وتركته يتحدث:

- بصراحة ياسيدي، انني عثرت على كنز فعلا.
- كيف يا احمد؟ ظننت ان من يقول ذلك كان يمزح، كيف؟ وماذا تعني بالضبط أنك عثرت على كنز.
- ساشرح لك ذك، انه ليس سرا، لقد تم نشر الخبر في جميع وسائل الاعلام، الم تسمع به؟ لقد كنا نحن ابطال الخبر انا وامي واخوتي، امي التي ماتت فجاة بسبب انهيار في الدورة الدموية وكنا انا واخوتي في وضع جيد نسبيا، لقد اخبرتك بوفاة والدي، بعد بضعة أشهر، انتبهت ان هناك تحسنا في وضعنا المادي او بالاحرى وضعنا الاقتصادي بعد ان بدات امي بمغادرة البيت صباح كل يوم لتعود بعد الظهر او العصر وهي راضية مستبشرة ولكن متعبة ومجهدة لم نكن نعلم اين كانت تذهب. كنا نسألها بدون ان يهمنا الجواب.

ـ اذهب من اجل لقمة العيش، من اجلكم طبعا. وكان هذا الجواب كافيا لنا لنخرس ونصمت ونسكت عن سؤالها حيث لم يكن يهمنا ماكانت تفعله امي رغم اننا كنا نهتم كثيرا لحالتها اعني تعبها والارهاق الذي يبدو عليها ولكنها مع ذلك كانت تبدو بصحة جيدة وعادت ممتلئة مرة اخرى لقد بدا كل شيء يتحسن معنا ابتداء بالطعام الذي بدا يتغير تدريجيا وبالملابس التي بدانا نحصل عليها كلما طلبناها تقليدا لما نراه من ابناء جيراننا واصدقائنا وحصلنا على تلفزيون سمارت بشاشة كبيرة واشياء كثيرة اخرى كاجراء عملية الزائدة الدودية لاحد اخوتي لدى طبيب جراح مشهور جدا في بغداد والسماح لي اخيرا بشراء سيارة مستعملة ولكن بحالة جيدة بعد ان اصبحت في سن يسمح لي بالحصول على اجازة قيادة كان وضعنا جيدا ولم يفكرايا منا باكمال دراسته الاكاديمية لم نكن نتكلم عن الجامعة والكلية كانت اهتماماتنا مادية بحته حصل كل واحد منا على مبتغاه واكثر وحتى بعد ان كبرنا قليلا لم نجرؤ على سؤال امنا عن سر هذا التغير في

وضعنا المادي. كنا نعتقد اننا كنا نعيش على مايقدمه لنا الجيران من مساعدات مادية وعينية. او ان أبو مصطفى الذي ماتت زوجته اثناء الولادة، كان راغبا بالزواج من امنا التي كانت ترفضه مرة بعد مرة. الى ان جاء اليوم الذي صدمت فيه عندما جاءني أحد اصدقاء المحلة وسالني ان اخرج معه الى المقهى فوافقت وخرجنا بعد ان طلبت من اخوتي اخبار امي بذهابي الى المقهى، وذهبت مع صديقي الى المقهى الذي نلتقي فيه عادة وقبل ان يحضر لنا العامل اقداح الشاي سالني صاحبي:

- احمد، أمك شتشتغل؟
- ماذا تقصد؟
- قل لي ياخي ماذا تعمل خاله عندما تخرج كل يوم؟
- ولماذا تريد ان تعرف ها لماذا؟
- اسمع حمودي، ابويه متاكد تماما مما راه وشاهده؟
- ماذا راى؟
- لقد شاهد أمك في أحد التقاطعات في شارع فلسطين، التقاطع القريب من مول النخيل، تتسول وتمد يدها الى اصحاب السيارات وكانت تغطي نصف وجهها بالعباءة.
- ماذا؟ ماذا تقول؟
- صدقني ياحمد هذا ما أخبرنا به ابي أمس بعد عودته من العمل.
- وكيف تاكد من انها امي؟
- احمد ابي يعرف خاله كلش زين، اراد ان يمزح معها قبل ان يتعرف عليها فقال لها انطيج خمسة الاف دينار إذا خليتيني اشوف وجهج
- اي
- واسفرت عن وجهها وراها
- اي

- وراته وردت عباءتها فورا وصاحت: عزا العزاج تيسير، منو؟ ابو خالد؟
- اي ابو خالد، هاي شنو ام احمد، ليش ماكلتي اختي، تعرفين احنه مانقصر وياكم واولادج مثل اولادي وأكثر
- فدوه ابو خالد يخليلك الاولاد لاتفضحني خويه
- الله كريم اختي

ولم يستطع والدي اكمال الحديث معها بسبب منبهات السيارات التي كانت خلفه فاضطر الى الانطلاق بسرعة، وحال عودته الى البيت أخبر امي وامي نمامة اخبرتني فورا، وعندما علم ابي أني عرفت استدعاني وقال

- اسمع بابا, بيت ابو احمد عشرة عمر واحنه مثل الاهل انه يعز علي يوصل بيهم الامر الى هذه الدرجة وربما الذنب ذنبنا لاننا ربما لم نقف معهم في محنتهم بعد وفاة والدهم كما يجب واحمد اخوك أكثر مما هو صديق وربما يعز عليه ان تكون امه في هذا الموقف
- بابا انت شتكول أني حاضر
- كانك ماسمعت حبيبي وصوجي لان خبرت أمك الغبية ماصدكت سمعتلها خبراكيد راح تنشره على كل اهل المحلة
- لايابه ان شاء الله ما اجيب طاري لا لاحمد ولا لغير احمد
- عفيه ابني
- لماذا اذن اخبرتني خلاف ماوعدت اباك به؟
- مو إني أنكس من امي ما اتحمل اسمع خبر

يقول احمد لاادري كيف تركت صاحبي وكيف غادرت المقهى، ضاقت الدنيا بوجهي، كنت ارتجف، خائفا، غاضبا، لاادري ماذا افعل او اين اذهب اردت ان اشكك فيما قال صاحبي ولكن عقلي كان يؤكد لي صحة الخبر، نعم انه صحيح، صحيح تماما عرفت الان كيف ولماذا تحسن وضعنا المادي لقد تحسن وضعنا بالتسول. امي متسولة. وبكيت، بكيت بحرقة، اين اذهب والى من اشكو ليس لي

احد ماذا ساقول لاخوتي وهل سيفهم اخوتي مامعنى ان امهم متسولة لقد كنت مشوشا ومضطربا ومازلت ارتجف ذهبت الى المقهى وانا هاديء ومرتاح وعدت خائفا مضطربا لا استطيع التفكير. ولماذا أفكر؟ هل ابحث عن حل او عن إجابة؟ أمك متسولة تعرف شنو يعني متسولة يعني انها تبذل نفسها وكرامتها وماء وجهها للاخرين لليسوه وللمايسوه. الحمدلله انني لا اعرف الكثيرين ولايعرفنا الكثيرون ساتكلم معها، نعم ساتحدث بكل صراحة ساقول لها لقد فعلت ماوجب عليك فعله، دعيني الان، افعل شيئا لنا، ساقبل بعرض ابو مهدي ابو البواري، كنت اعمل معه منذ سنوات، ومنذ اكثر من سنة عرض محله للبيع بعد ان تقدم بالسن ولم يستطع الاستمرار بالعمل قال لي انت اولى بالمحل خذه انه هبة مني لك ردا على امانتك ونزاهتك واخلاصك لي طيلة عملك معي انت صاحب العمل، وكل زبائني يعرفونك ويحبونك بسبب امانتك. كان يصر على ذلك وانا ارفض، ولكني ساقبل الان.

وقبل ان أصل الى بيت ابي مهدي لابلغه بقراري بخصوص عرضه الذي ساقبل به شريطة ان يبقى المحل باسمه او باسم أحد اولاده استقبلتني جمهرة من المواطنين في الزقاق الذي يسكن فيه ابو مهدي تتقدمهم سيارة كوستر وعليها تابوت اوقفت أحدهم وسألته قال انه الحاج ابومهدي، توفي صباح اليوم بنوبية قلبية قلت واين اهله قال في الكوستر. وراني ابنه البكر مهدي مد راسه من شباك الكوسترموجها كلامه لي حيث بادرته بتعزيته بوفاة والده رحمه الله

- الله يرحم والديك ساراك بعد انتهاء العزاء

وبعد ثلاثة ايام وبعد ان انتهى العزاء الذي وقفت فيه الى جانب مهدي واخوته واعمامه طيلة ايام العزاء أخبرني مهدي بعد ان غادر اخر المعزين،

- احمد، هذه وصية ابي، المحل لك. هذه حصتك من ارثه لم يعترض أحد منا لا انا ولا اخوتي حاول اعمامي الاعتراض

لكنه اسكتهم لانه كبيرهم ولايردون له طلبا، حاولت انا ايضا ان اعترض لكن مهدي اوقفني باشارة من اصبعه السبابة

- حمودي، لايمكن ان ننسى فضلك على ابي ووقوفك معه خاصة بعد ان تقدم به العمر وتكالبت عليه الامراض، نحن راضون بهذا القرار انت تستحقه أكثر منا، نحن تركنا وتخلينا عن ابينا لاسباب عديدة كما تعلم لعل في مقدمتها الدراسة ولكنك وقفت الى جانبه وساعدته وساندته طيلة الوقت لذلك نقول لك جميعا المحل لك وبعد قليل ساحضرلك مفتاح المحل لتباشر عملك باقرب وقت.
- ولكن اين الكنز يا احمد، لايمكن ان يكون في محل ابو مهدي
- لا استاد، الكنز كان في المصرف ساخبرك بالتفاصيل بعد قليل كنت انظر الى وجه احمد، الذي كان واثقا جدا من نفسه، لم تبدو عليه اية علامة على الخجل، كان يتحدث بثقة، كأنه يروي قصة أحد اخر قال:
- بعد ان رآها أبو خالد، لم تستطع ان تكتم السر أكثر من ذلك، وانتظرت الى ان نام اخوتي، وسردت لي حكايتها وهي وانا نغالب النعاس والتعب. قالت
- حمودي حبيبي، بعد ان رحل ابوك كما تتذكر، لم أدر ماذا افعل، لم نكن نملك شيئا، كان الطعام ياتينا من الجيران، الذين ظلوا يلبون أكثر احتياجاتنا الضرورية وغير الضرورية، خاصة عائلة أبو خالد، لقد ساعدونا كثيرا، أكثر مما كنت أتوقع. ولاني جاهلة ولا اعرف أي عمل، بعد ان جربت العمل في البيوت، وجربت تعلم زرق الابر وفشلت، وبعد ان تحرش بي أكثر من واحد، قررت ان اجلس في البيت واموت معكم من الجوع والقهر.

كانت امي تتحدث بثقة كانها تروي لي حكاية او قصة قصيرة، لم اشعر انها كانت تشعر بالخجل. لماذا لم تكن تشعر بالخجل؟ عندما سالت أبو مهدي الذي كنت اعمل عنده، قال

- ياولدي ولماذا تريدها ان تخجل؟ مافعلته لم يكن عيبا. فلماذا عليها ان تخجل. لقد شبعت من الخجل. واستمر احمد، مااطولها عليك استاد، في النهاية اخبرتني امي بانها كانت توفر الكثير مما كانت تحصل عليه من التسول وتضعه في صفائح دهن الراعي، وارشدتني الى مكانها، قالت لاتفتحها قبل ان اموت؟ وسألته بدون تفكير
- وماذا عن الرصيد في البنك؟ قال
- كان ذلك قبل موتها ذهبت معها لاستلامه، بضعة ملايين..

وخجلت ان اساله عن صفائح الدهن. كان الجواب واضحا من سيارة ال بي ام دبليو وبعض الرفاهية التي كنت اسمع بها من الاخرين. بعد سنوات من اطلاق سراحي التقيت باحمد أبو البواري في احد مولات بغداد واظنه دريم ستي بداية شارع الربيعي فرحبت به وبمن كان معه شابه لطيفة تحمل رضيعا ويحمل هو واحدا اخر اكبر قليلا عرفت انها زوجته وهذان ولداه وكنت مع زوجتي التي كنت قد حدثتها عنه سابقا كنت اراهما متعبين وكنا قريبين من الكافتيريا التي كنا نرتادها انا وزوجتي كلما ذهبنا الى المول كانا يريدان المغادرة وكنا قد دخلنا توا الى المول عرضت عليهما الجلوس في المقهى لتبادل الذكريات وبدات الفتاة زوجته مرحبة بالفكرة لقد كانت متعبة ومجهدة من التجوال وهي تحمل الرضيع, ودخلنا الى المقهى الهادیء, كان مليئا بالعوائل واسعا ومريحا وجلسنا انا قبالة احمد وامراته قبالة زوجتي وبداتا بالحديث الودي البسيط فيما كنت انا انظر الى احمد واتساءل في نفسي كيف يكون مثل هذا أبا للبواري؟ انه مازال شابا يافعا ومليئا بالحيوية والنشاط. كان ابنه نائما على كتفه اشرت الى أحد العمال وسألته عما اذا كان لديهم عربة لنوم الأطفال الصغار او مايشبه ذلك. وقبل ان يجيبني جاء عامل اخر بعربة أطفال أرسلتها معه احدى العوائل التي كانت

تجلس خلفي وأخبرني ان السيدة ورائي بعثت بعربة طفلها الذي اخذه ابوه الى البيت بعد ان رات كلا من احمد وزوجته وهما يحملان صغيريهما على كتفيهما كانت مبادرة لطيفة وكريمة قمت من مكاني ووقفت قبالتها وشكرتها فيما كانت زوجتي تلتفت اليها وتشكرها وهي جالسة. وضعنا ابنه في العربة فيما اخبرت زوجتي زوجته ان بإمكانها وضع الرضيع على المنضدة بعد ان قامت بفرش الملحف الثخين الذي كاد ان يسقط من على الطفل الرضيع وقامت الفتاة وكانها كانت بانتظار مثل هذا الاقتراح بوضع رضيعها على الملحف الستن، وكنت خلال كل ذلك اوصي العامل ان ياتيني بما لديه من قطع الكيك والشاي والقهوة ليبادرني احمد بالسؤال غير المتوقع

- استاد ترى هل قلنا كل شيء آنذاك؟
- نعم يا احمد لقد قلنا كل شيء
- ولكن لم نقل شيئا

لقد سرق عبارتي كنت اعلم انه يقرا. وبينما انا أحدق فيه وابتسم، رايت فوق جيب القميص دبوسا لامعا لم أمعن النظر فيه كثيرا، ولكني لأننا لم نقل شيئا خلال الثواني التالية انا واحمد رجعت الى الدبوس وحدقت فيه بقوة وتمعن فانتبه احمد وتبسم بعد ان نظر الى دبوسه وعاد ينظر الي

- اليوم عيد الحزب

وتذكرت، نعم انه عيد تأسيس الحزب الشيوعي العراقي 31 اذار. نعم انه عيد تأسيس الحزب الشيوعي العراقي وسألته متعجبا ولكن سعيدا:

- شيوعي؟ قلت:
- قال وبكل ثقة
- نعم

- رائع، وفكرت هذا هو سره اذن. أبو بواري ولكن شيوعي او شيوعي وابوبواري وتذكرت سبب اعجابي واهتمامي به كنت اقرا الشيوعيين واعرفهم، كنت أحبهم
- هل لديك مكتبة احمد؟ لا أدرى لماذا شعرت ان سؤالي كان سخيفا وغير ضروري
- لاتجادل رجلا شاشة تلفزيونه أكبر من رف كتبه. قالها بثقة أيضا.

كان العامل قد احضر طلباتنا كلها ووزعها امامنا معتنيا بحصولناعلى حاجتنا من السكاكين والشوكات والملاعق وقبل ان أقول للجميع تفضلوا انحنت زوجته عليه كانها تسأله شيئا فقال لها اوكي، روحي وعرفت انها تريد الحمام. فاشرت له ان اذهب معها وسنهتم بالصغيرين، شعرت بخجله، ونهض معتذرا، ربما لأننا عرفنا انها كانت تريد الحمام. وان ذهابهما وترك الصغيرين قد يسبب الاحراج لنا، هذا ماشعرت انه يفكر به. قلت بصوت واضح: اذهبا، كل شيء سيكون على مايرام ولكن عودا بسرعة قبل ان تبرد المثلجات. وضحكا وهما ينظران سوية الى طفلهما البكر الذي استغرق في نوم عميق في العربة التي نزلت اليه من السماء. عندما عادا أخيرا كان العامل يحثنا على تناول المثلجات قبل ان تذوب. وافقته على رايه ولكني طلبت منه تأجيل احضار الشاي قليلا حتى ننتهي من الكيك والمثلجات وقبل ان يجلس احمد سالني:

- ماهي اخبار الجميع؟
- هل لديك انت اية معلومات عن أي أحد؟
- اعرف ان عبد علي قد اختفى فجاة هو والدكتور عبد الحميد
- هل تعرف الدكتور عبد الحميد؟ ورد مبتسما
- استاد انا كنت شبه مقيم في السجن لاني كنت أقوم باعمال السمكرة والصيانة في السجن وبيوت الموظفين جميعا وكنت اعرف عنهم أشياء كثيرة وأكثر مما يعرف البعض منهم
- مثلا؟ سألته وانا سعيد بهذا التطور

- مثلا. هل تعرف سبب اختفاء الدكتور عبد الحميد وعبدعلي في نفس الأسبوع؟
- لا. اجبت بسرعة، وانا في شوق لمعرفة المزيد.
- عبدعلي ماخذ اخت عبد الحميد.
- حقا؟ لم اسمع بهذا الامر.
- لان أحدا لم يكن يعلم بهذا.
- طيب. وما هو سبب اختفاء الاثنين في نفس الوقت؟

وقبل ان يفتح احمد فمه بالجواب كان الرضيع قد بدا بالتململ والتاوه وقبل ان يبدا بالبكاء قامت امه وبغريزتها المعتادة بمد يدها تحته ورفعه بمساعدة يدها الأخرى ووضعته الى صدرها ثم اخذت ملحفه تلفه به بعد ان بدا أولى نوبات صراخه التي كما يبدو تاخرت كثيرا قال احمد معتذرا

- كان نائما منذ دخولنا المول، لكني لم اهتم لعبارته وسألته فورا
- احمد قل لي ماسبب اختفاء الرجلين اذن؟
- وقبل ان يجيب احمد جائتني ضربة خفيفة بمرفق زوجتي تقول لي دع الامر الان مو محلها وشعرت بالخجل خاصة بعد ان نظرت لي زوجة احمد نظرة سريعة وغير متعمدة ولاجل تلافي الموقف نظرت الى احمد وقلت سجل رقمي إذا سمحت وخابرني على الواتساب، اوكي؟ باقرب وقت. تمام؟

وفي حوار سريع مع دكتور صفاء الذي جاء قبلي بوقت طويل

- استاد اعتقد انني سانسى كل شيء قريبا واخاف كثيرا من المستقبل، لقد اصبحت أكبر بسرعة، لماذا كبرنا هكذا؟ وبهذه السرعة ماذا فعلنا لكي نكبر بسرعة؟ انا لا اريد ان أكبر، قلت لهم اريد ان اكون مع الاستاذ اريد ان انام في غرفته الصغيرة لا اريد البقاء في القاعة. هؤلاء الحشاشة، انهم يدخنون بكثرة كانني اجلس في فوهة بركان. كنت احترم الدكتور

صفاء كثيرا ولكني كنت امل وأضجر من سقمه المستمر وشكواه من كل شء وتذمره من كل شيء.

- عزيزي دكتور صفاء لماذا تشغل بالك بهذه الامور حاول ان تاخذ الامور ببساطة على الاقل حتى تنتهي هذه الشده
- هل تظن انها ستنتهي يا استاد انا شيوعي والشيوعي عقوبته الاعدام.
- نعم اعرف واعرف ايضا ان هناك حكمة الهية في كل شيء ارجوك لاترعب نفسك كن مطمئنا انا واثق إنك ستخرج وربما ستخرج مبكرا جدا قبل اي واحد منا.
- عزيزي الم تسمع ماقلت لك؟ انا شيوعي، والطامة الكبرى انني اعترفت من اول راشدي، نسيت كل شيء ولم أفكر سوى بالتعذيب الذي كنا نسمع به طيلة السنوات السابقة هل تذكر ناظم كزار واحواض التيزاب؟ لقد كنت أفكر في احواض التيزاب ياعزيزي، وتعليقي في المروحة السقفية، والضرب وخلع الاظافر، ناهيك عن عشرات الاهانات والبصاق والجلاليق والراشديات، لقد اجبروا أحد رفاقنا على تناول برازه، هل تصدق ذلك؟ اي نعم لم أفكر باحد لا بزوجتي ولابابنتي الوحيدة ولا باقاربي ومعارفي واصدقائي خاصة اصدقائي الشيوعيين لا لا لقد فكرت بهم استاد الم اقل لك انني اعترفت عليهم ومن اول راشدي. انا اعرف نهايتي، اشعر بالخطر، اظن إني في خطر.
- مجرد الظن لايجعل منه حقيقة.
- إذا كنت تظن أنك في خطر، فانت في خطر.
- لكنك الان في امان، ليس لديك أعداء هنا، الكل يحبك والكل يحترمك، اليس كذلك؟
- لكن النهاية هي المهمة أستاذ.
- لاباس عليك هذا من حقك انت لاتحتمل التعذيب

- لا استاذ الله يخليك لاتجيب طاري التعذيب، انا كنت جبانا وتصرفت بشكل حقير، لقد كنت في منتهى الخسة والنذالة عندما اعترفت على اصدقائي الشيوعيين، لقد كتبت اسماءهم كما هي اي الاسماء الحقيقية. قال لي أحد النزلاء هنا وبكل صلافة
- طايح الحظ شلون تنطي الاسماء الحقيقية؟ ليش ما كتبت اسماء اخرى حتى يلحكون جماعتك بالفرار. فاجابه زميل اخر
- حتى لو كان كاتب اسماء اخرى ليش عبالك صعبة على الامن يعرف الاسماء الحقيقية
- ربما يكون الامر صحيحا اجبت انا محاولا انهاء هذا النقاش الاحادي
- لا استاذ انا كنت جبانا كنت أفكر بنفسي فقط ماذا ساقول لباقي الاصدقاء وعوائلهم ماذا ساقول لزوجتي الشيوعية
- يمعود صفاء انت شدتلوص
- ليش استاذ خير ليش أنى شكلت
- لاماكو شي بس من الافضل ان تبقى ساكت دكتور الخاطر الله، الم تعلم، لو لم تفتح السمكة فمها لما اصطادها أحد.

ولم تمض سوى بضعة ايام حتى جاء أحدهم يبشرني بخروج الدكتور صفاء وسط دهشة وذهول الجميع وانا من ضمنهم وكلنا كنا نقول

- صدك جذب، يعترف على جماعته ويطلع مامعقوله
- المهم طلع قال أحدهم
- لاتنسون دكتور صفاء اعترف وقدم براءة من الحزب الشيوعي.
- نعم هذا هو الصحيح قلت انا مستمرا لقد نجا بنفسه، وشعرت بغصة في حلقي هل انا من يقول ذلك، انا المثقف الذي يحب

الثوريين والشيوعيين يحب جيفارا وينادي بالعدالة والثورة على الظلم والطغيان، انا من يقول ذلك؟

كان الدكتور صفاء استاذا للغة العربية عاد لتدريس المادة في احدى ثانويات بغداد ويقال انه بعد اسابيع قليلة من خروجه من الموقف انتمى الى الحزب الحاكم وانظم الى عدد من التنظيمات الثقافية التي ترعاها الدولة باعتباره شاعر وروائي اصدر وعلى نفقة الدولة عددا من الدواوين الشعرية ومسرحية قيل عنها لاحقا انه مسروقة عن قصة او رواية سوفيتية خمطها الدكتور صفاء قبل سنوات واثناء دراسته في الاتحاد السوفيتي وحولها لاحقا الى رواية نالت بعض الاستحسان وتحولت الى تمثيلية من انتاج تلفزيون العراق , ثم اخبرنا احدهم ان زوجة صفاء قد توفيت فجاة واصدر بمناسبة وفاتها ديوان باسم سيدة التفاحات الاربع قراته في حينه بسرعة ولم يعجبني ثم سمعت ان صفاء قد هاجر الى سوريا واقام في دمشق بضعة سنين ليموت هناك غريبا وحيدا في غرفة بائسة في احدى ازقة دمشق القديمة .

كان كاظم، الرجل الطيب، دمث الاخلاق. المرح اللطيف من اهالي مدينة الكاظمية شمال بغداد. كان يزوروني في غرفتي باستمرار ويسعدني وجوده قربي كان مولعا بتقليد الاخرين ولايستثني احدا ابتداء بمدير السجن وانتهاء بالزائرات والزائرين الذين ياتون لزيارة ذويهم كل أسبوع، وكنت استمتع جدا بحواري معه عندما كنت أصر على استخدام بعض مفردات اهل الكاظمية مثل انطيليالي وسويليالي وجيبليالي الخ. لم ادخل في حوارات مهمة مع كاظم، كنت اطلب منه باعتباره أحد ابناء مدينة الكاظمية ان يحدثني عن احياء المدينة وعادات اهلها ونشاطاتهم ايام المناسبات الدينية، تعمدت مع كاظم الاكتفاء بالتطرق لهذه المواضيع فقط بعد ان وجدته لايملك اية معلومة مهمة خاصة المعلومات التي تتعلق بتاريخ ورجالات واحداث هذه المدينة العظيمة، اكتفيت بفكاهته التي كنت احتاج اليها احيانا ومرحه

وعبثه اللطيف مع الجميع، كان هو من ياتي لتبليغي بوصول وجبة طعام من احدى زوجات او امهات او قريبات أحد المساجين وكنت افرح وابتسم عندما اراه

- سلامن عليكم
- وعليكم السلام حبيبي ابو جواد شلونك
- انت شلونك استاد، شو كاعد، استاد استعجل ارجوك تره ربعنا مينطون وجه هسه ينسفون الصينية نسف
- يالله بالعافية ابو جواد خلي ياكلون خطيه
- استاد فدوة الكلبك، كوم بسرعة، كتلهم وهددتهم محد يمد ايده قبل مايجي الاستاد
- اي وشكالوا
- اني عبالي راح يعفطولي، شو ذوله صدك جروا ايديهم وكعدوا ساكتين كان على رؤوسهم الطير
- حلوه كاظم مال كان على رؤوسهم الطير، يالله لعد توكل على الله

لا اقول انني كنت اشعر بالسعادة في السجن ولكني كنت مرتاحا ومطمئنا. لاول مرة في حياتي اصبحت عاطلا عن العمل, ولاول مرة اسمع امراتي تقول لي مشتاقتلك عندما تضم طرفي عباءتها السوداء التي اشترتها عند زيارتنا للنجف قبل سنوات ليظهر من وجهها كله فمها فقط وشفتاها التي لايراها احد الا انا مشتاقتلك هذه كانت تبقى معي كانفاس القبلة الاولى حتى الزيارة القادمة , لم تتخلف زوجتي عن زيارتي قط حتى عندما تعلم ان احدا اخر من اصدقائي او اقاربي سيكون في زيارتي الاسبوع القادم فانها تحرص على المجيء الى موعد الزيارة وتبقى تنتظر بعيدا وخلف احدى السيارات لكي لايراها احد واذا جاءت ورات احد اصدقائي تتوارى عن الانظار الى حين انتهاء موعد الزيارة تبقى جالسة على بلوكة لوحدها او مع احدى الزائرات تشكو احداهن للاخرى لوعاتها ومصاباتها وعذاباتها وكانما تتعمد كلتاهما تعذيب الاخرى بالمزيد

من البكاء والنواح والصراخ المكتوم وفيضانات الدموع والمخاط السائل وغير السائل . كنت اعرف كل ذلك حالما تتمكن من زيارتي لوحدها، كنت اتركها تسرد علي عشرات القصص وكنت امنعها لانها كانت حالما تبدأ بسرد القصة تنهمر دموعها ويكفهر وجهها وترجف شفتاها وتبدأ في نحيب طويل بعد ان تخفي راسها بل كلها تحت عباءتها السوداء التي اشترتها من النجف الاشرف والتي خصصتها في حينه للمناسبات كما تقول.

لم ارى مثقفا مثل عبدالحميد الذي تعرفت عليه في الغرفة المخصصة لاستقبال الزوار عندما كان ياتي وبشكل منتظم لزيارة احد اصدقائه الشيوعيين رغم انه لم يكن شيوعيا ولكنه كان مثقفا من الطراز الاول وكنت اظنه في البداية شيوعيا لاني وبحكم التجربة كنت اعرف هذا النوع من المثقفين يحدثك عن كل شيء الا الشيوعية عرفت عددا لاباس به منهم, كانوا يقرؤون كل شيء واي شيء انهم ماكنة قراءة ولاتخلو بيوتهم من مكتبة ناهيك عن كتاب او مجلة اوصحيفة كنت اختار انا وزوجتي احدى زوايا الغرفة المخصصة للزيارة لنكون بعيدين قليلا عن حوارات وصخب الاخرين الذين يملؤون الغرفة بانفاسهم واحاديثهم ومزاحهم او غضبهم لانها لم تاتي له هذه المرة بجدر الدولمة, كان اللقاء الاول بعد شهر من دخولي السجن واستقبلتها وسط الغرفة وندمت حينذاك ورايتها حزينة مهضومة متبرمة لانها لم تتمكن من ايصال صوتها الي او ان تسمع ما اقول كنا نتكلم بهدوء ونسكت كثيرا قلت لاطمئنها المرة القادمة ساحجز مكانا لنا في الزاوية البعيدة والتفت لاريها الزاوية المقصودة وهناك وقع نظري عليه لا ادري لماذا اثار انتباهي كان يتحدث مع صديقه بصوت عال وبلهجة قوية وحاسمة ويداه تتناغمان مع كل كلمة يقولها لم اكن اسمع مايقول ولكنه اثار انتباهي قالت

- ليش شبيها الزاوية

ـ واستحيت ان اقول لها انها هادئة لانها انتبهت ايضا الى عبد الحميد بصوته الجهوري الواضح وحركات يديه اللتين تجذبان الانتباه
ـ ساحجز لنا مكانا هناك حالما يدعوننا الى الغرفة سانتظرك هناك وسنتحدث كما نشاء بدون اية ضوضاء
ـ خوش، احضرت لك خبز الشعير كما طلبت اشتريته بعد خروجي من البيت، مازال دافئا وفجلا احمرا وكمية جيدة من الخضروات الكرفس والبقدونس والكراث والنعناع، ومع الأسف
ـ شنو؟
ـ نسيت الزيتون الأسود
ـ ومشكلة
ـ ونسيت ان اخبرك لقد ارسلت لي امي واخواتي الثلاث مبلغا كبيرا من المال وبعض المؤونة نستعين بها حتى موعد الحصة التموينية احضرت لك نصف المبلغ
ـ حبيبتي انا لااحتاج الى المال هنا، لااحتاجه ابدا، وتعرفيني جيدا انا لا أستطيع ابقاء المال معي انهم سيصادرونه ويخمطونه بوسائلهم الشريرة واساليبهم اللئيمة، احتفظي بالمال عندك، أنتم بحاجة اليه أكثر مني.
ـ ولكن؟
ـ أنتم بحاجة اليه أكثر مني، في المرة القادمة احضري بعض الادوية والمسكنات، الشتاء سياتي قريبا، وتعرفين انني لا احتمل برد الشتاء، الادوية ستكون كافية.
ـ ادوية فقط، متريد شي اخر؟
ـ سلامتج، ربما بعض المجلات الحديثة وكتاب من مكتبتي على ذوقك
ـ ان شاء الله،
لم ننتبه الى الوقت عندما صاحوا بنا
ـ انتهى الوقت.
وجاءت رودود الافعال سريعا خاصة من الازواج الذين كانوا في اندماج كامل وسريع حيث التنهدات والتاوهات والاسئلة السخيفة

والايماءات والاشارات والتعبيرات غير البريئة التي كان الحرس يراقبونها بكل شغف واهتمام:

- يمعودين شبلعجل ماصار نص ساعة شبساع خلص الوقت

نعم خلص الوقت بسرعة على عشاق السجن وغادرت النسوة المتشحات بالسواد دائما مهمومات متحسرات غاضبات ولكن راضيات ربما على ماجئن به لازواجهن من انواع وصنوف الطعام الذي كان هو الطلب الاوحد والأسمى من بين جميع الطلبات. كان عبد الحميد كما لاحظت اول القائمين حال سماعه الصوت الذي بين انتهاء موعد الزيارة التفت الى حيث يجلس بعد ان انتبهت الى نظرات زوجتي التى تابعت قيامه ومصافحته لصديقه موسى الذي كان أحد أقدم النزلاء في السجن سالت وهي ماتزال تنظر الى عبد الحميد

- هل هو اخوه تقصد هل عبد الحميد اخ دكتور موسى

- لا انهما صديقان وحسب

- معقولة صار أكثر من مرة اشوفه

- لايزور موسى الا صديقه عبد الحميد وعبد الحميد لايزور الا صديقه موسى

- عجيبة

- سترين العجب بين الأصدقاء. مابك؟ لماذا مازلت تحدقين بهما ماالامر؟

- لاحظت انهما ينظران الينا أكثر من مرة واليك خاصة

- ربما حدثه دكتور موسى عني

- يجوز

- اسمعي لاتجبري نفسك على المجيء في كل مرة إذا كنت متعبة او غير راغبة مثلا

- مستحيل

- يعني اقول لك ذلك لاني فعلا سوف لن اشعر بالحرج او الامتعاض عند عدم زيارتك لا اريدك ان تتعبي ثم لاتكلفي نفسك كثيرا باعداد

الطعام والتسوق من أجلى دعينا نكتفي بالاشياء التي اطلبها منك فقط

- وانت لاتطلب شيئا حبيبي
- وهل تلبين كل طلباتي قلتها بخبث وانتبهت
- عدا تلك التي في بالك تعرفني جيدا لا أستطيع لا أستطيع حتى التفكير بها لا لا مستحيل ارجوك
- ولكنك تفكرين بها اليس كذلك في طريق العودة وعندما تصلين وعندما تذهبين الى السرير تفكرين بها وتفكرين بها بجد وبقوة وأكثر من مرة على اية حال انا لا أستطيع اجبارك او الضغط عليك ولكن اقول لك ان الجماعة بدؤا ينتبهون الى انني الوحيد الذي لايستقبل زوجته كما يفعلون الم اخبرك في كل مرة من الذي استقبل زوجته هذا الاسبوع الم تلاحظي كيف انهم ينظرون اليك بغضب وينظرون الي بعطف؟
- وشمدريهم هم ليش انته كتلهم وليش
- هم يعرفون دون ان يخبرهم أحد بذلك. واضح جدا لديهم بل للسجن كله من هو الذي يستقبل زوجته ومن لايستقبل زوجته لايحتاج الامر لاخبارهم نعم هم يسألون ويتساءلون فيما بينهم في أكثر الاحايين ومعي مرة او مرتين ولم أخبرهم بالحقيقة ان امراتي تستحي وتخجل حتى من التفكير في الامر فكيف بتنفيذه اذن
- جبتلك شيخ محشي بقدر صغيرة وطرشي مدبس وشطه وبصل اخضر
- ممنون رحم الله والديج
- حبيبي ومازال عبد الحميد يلتفت اليك
- قلت لك ان الدكتور موسى مغرم بي ولعله يخبره باشياء كثيرة عني الم اخبرك اننا انا والدكتور موسى كثيرا مادخلنا في نقاشات ادبية وبحثية على مدى الاشهر الماضية و
- انه شيوعي اليس كذلك

- نعم شيوعي و
- وعبد الحميد
- ما اعتقد علمت انه كان خبيرا في وزارة النفط
- الشيخ محشي قليل لاتنطيه كله يادوب يكفيك وربما شخص اخر
- من برأيك؟
- ابو حيدر
- كاظم؟ لماذا كاظم؟ حسنا كانك في قلبي سناكله انا وكاظم
- اول مرة شوف مرته شجايبتله؟ اكيد مركة شجر
- اكيد، كيف حال البيت؟
- كما هو بقي على حاله كما تركته اخر مرة لا افعل سوى التنظيف
- لماذا؟ لماذا لاتغيرين الديكور كما كنا نفعل سابقا
- كما كنت تفعل انت عندما كنت تتركنا نائمين وتقوم وحدك بتغيير الاثاث كما يحلو لك ليس لي ذوقك كما تعلم
- ولكن ذوقك أفضل
- ابدا ذوقك دائما هو الافض
- هل تعلمين لماذا
- لماذا
- لانني اخترتك
- اعتقد اننا سبق وان اجرينا مثل هذه المحاورة قبل سنوات عندما كنت جميلة الى حد ما وكان يسرك النظر الي عندما كنت ممتلئة وصدري عامر ومؤخرتي كما تسميها ترد الروح
- وحتى بعد ان ذهب كل ذلك بسبب السكري مازلت يعجبني النظر اليك بل والتمتع بك، وقبل ان انهي عبارتي سمعت جاري يقول وبصوت لافت
- يطبج مرض،

كان ذلك الاستاذ خليل أحد زملائنا في القاعة لم أكن اتحدث معه كثيرا كان الجميع يتحاشى الحديث معه ويطلقون عليه اسما لم احفظه ولا اتذكره الان ولكني لم اره مع أحد فلما أصبح وحده وقريبا

مني بعد ان رحلت زوجته وانتهى تقريبا الحوار بيني وبين زوجتي اشرت لها بان تذهب فقامت على الفور مسلمة مودعة مع ملاحظة سريعة وخاطفة

- الشيخ محشي

قلت على السريع نعم نعم على بالي

- لاتنساه

بعد ان رحلت اخيرا التفت الى الاستاذ خليل الذي لايزال جالسا في مكانه متذمرا متبرما ساخطا وقلت وانا اصنع ابتسامة عريضة وبوجه بشوش

- استاذ خليل

- نعم

- هل تسمح لي بالجلوس معك قليلا مادام هناك بعض الوقت قال وكان ماء بارد نزل عليه

- نعم نعم استاذ بكل سرور ارجوك يشرفني ذلك بل يسعدني ارجوك تفضل ونهضت من مكاني عندما بقي خليل يمطرني بوابل من عبارات الثناء والسرور وقد انقلبت اساريره التي كانت مكفهرة متجهمة الى اسارير مرح وبهجة وسرور قلت وانا احاول الجلوس بكل حذر وتان

- لماذا لم يسبق لنا الحديث او حتى اللقاء قال ضاحكا وكأنه يرد على تساؤلي

- لعلنا كنا مشغولين طيلة الوقت

وكانت مزحة لطيفة وفي محلها اذ من المعروف ان السجناء والموقوفين لايفعلون شيئا في العادة انهم اما نائمون او يلعبون النرد او الدومنة او ياكلون ويثرثرون ويتشاجرون او يشاهدون التلفزيون في اوقات معينة وهذا كل ماكانوا يفعلونه قلت ضاحكا ومؤيدا لكلامه

- صدقت ربما كنا مشغولين انا بالقراءة والكتابة وانت وقاطعني ضاحكا

- لاشيء. وعلا صوته بالقهقهه، وكان هذا الجواب أعجبه فضل يقهقه طويلامع محاولته اخفات صوته تدريجيا
- اعرف اننا اتفقنا على عدم السؤال عن تهمة الاخرين ولكن
- الاختلاس كنت مديرا في احدى منشات التصنيع العسكري واتهمت بالاختلاس وسألته وانا انظر اليه كمن يريد التاكد من أصل التهمة
- وهل
- نعم نعم التهمة صحيحة ولا أنكرها
- ولكن لماذا لماذا ياخليل لماذا
- كان الامر مغريا
- ولكن انا اعرف ان اجوركم ورواتبكم ممتازة وربما اعلى من رواتب واجور باقي موظفي الدولة
- نعم ولكن معي لم يكن الامر عن حاجة ولاطمع ولكن من باب التجربة وربما الغيرة او ركوب الموجه
- لم افهم
- انهم على وشك الاعلان عن انتهاء الزيارة هل تسمح لي بالمجيء الى غرفتك لتكملة حديثنا هذا
- نعم بالتاكيد هذا طبعا إذا كنت راغبا بمواصلة الحديث
- هل تعلم انني ومنذ اتهامي وطردي من المنشاة والقائي بالسجن لم اتحدث عن هذا الموضوع قط ساتي اليك حتما ليس بالضرورة الان اوبعد الانتهاء من الزيارة ولكن لاحقا ربما
- ساكون بانتظارك استاذ خليل.

لقد كان الأستاذ خليل يعرف الكثير. كنت اريد ان يكون حديثي معه حديثا عاما، عن عمله بالتحديد. لكنه عندما زارني في غرفتي وجلس بجانبي على السرير بدلا من الكرسي الوحيد الذي لم يجلس عليه أحد منذ فترة طويلة، فاجاني بهذا السؤال، هل تعلم أستاذ اننا شبه أقارب. قلت متعجبا. من تقصد؟

- انا والدكتور عبد الحميد والدكتور موسى وعبدعلي.

- ماذا تقصد؟ كنت أفكر ماعلاقتي انا بهذا لكن الخبر كان مفاجئا فعلا وكنت اريد ان اعرف ماذا يقصد بالقرابة
- عبدعلي متزوج من شقيقة عبد الحميد وعبد الحميد متزوج من شقيقة الدكتور موسى وانا متزوج من شقيقة عبدعلي وشقيقي
- لحظة لحظة استاد خليل هل تمزح معي
- لا والله استاد حشاك من المزاح لكنها الحقيقة فعلا
- انت وعبد الحميد وموسى وعبدعلي وشقيقك مابه
- متزوج أيضا من احدى شقيقات الدكتور عبد الحميد
- ياالهي وكيف اجتمعتم كلكم في السجن؟
- اليست مصادفة غريبة
- غريبة فعلا حقا كما تقول أنتم شبه أقارب
- اردت ان اعلامك فقط بهذا لاني كنت على يقين ان أحدا لم يخبرك بذلك رغم ان لا أحد اخر يعرف بهذه المعلومات
- طيب أستاذ خليل إذا كنت تعرف جميع هؤلاء فلا بد ان تعرف كل شيء عنهم اليس كذلك
- نعم بالتأكيد
- خبرني عن عبد علي أولا
- قصته طويلة ومؤلمة فعلا, ماحدث معه لايمكن تصوره وهو لايستحق ماحدث له حقا
- ماذا حدث له ياخليل خبرني ارجوك
- ساقول لك ولكن باختصار لان القصة طويلة ومؤلمة
- ارجوك لدينا الكثير من الوقت
- حسنا في اليوم الذي اختفى فيه عبدعلي او في اليوم الذي سبقه وبعد عودته الى البيت لاحظ رجلا غريبا يخرج من بيته وهو يسرع الخطى بالاتجاه الاخر فاسرع عبدعلي محاولا اللحاق به ولكن الرجل بدا بالركض ودخل اول زقاق حيث كانت سيارته هناك ولم ير عبد سوى السيارة التي خرجت من الزقاق بسرعة كبيرة كانت من نوع برازيلي باسات موديل 1985 انه يعرفها لقد

راها من قبل كان الشارع فارغا على غير العادة حيث الأطفال يلعبون هناك طوال الوقت دخل الى بيته وبداية غضب يستعر في صدره ودقات قلبه تتسارع بقوة وصخب لم يفكر الا بالسيء فكر بابنائه ولده وابنته لم يفكر بزوجته كان جل تفكير باتجاه ولديه حسنين ذي العشرة أعوام ونرجس ذات الأربعة أعوام ودخل الى البيت كان كل شيء هادئا دخل الى المطبخ هناك قدر صغير على الموقد. نظر باتجاه نافذة المطبخ الخلفية كان لايزال واقفا بجسده الضخم في الممر بجوار السلم الذي يؤدي الى الطابق الثاني حيث غرفة نومه وغرفة نوم الصغيرين ترك المطبخ واتجه الى اخر الممر لتفقد الحمام لم يجد شيئا ولكن لااريد ان اطيل عليك استاد قد يكون الحديث مملا

- لا ابدا ارجوك استمر
- لم يجد شيئا في الحمام اغلق الباب بهدوء واستدار عائدا الى غرفة المعيشة الهول لكنه انتبه الى اعلى السلم كان امراته هناك في اعلى السلم بقميص نوم اسود نفس القميص الاتك الذي ترتديه عندما تريده ان ينيكها
- شقيقة عبد الحميد
- نعم انها هي, كانت جميلة جدا ام ال
- لماذا ماذا حدث؟
- هل اخبرتك ان عبد الحميد كان يعاني من القلب وزرعوا له قبل بضع سنين منظما للقلب
- لا لم تخبرني سنتحدث عن ذلك لاحقا قل لي الان ماذا حدث مع عبد
- عندما وقف ينظر اليها وهي تهم بالنزول من السلم لم يكن أحد يعلم ماذا كان يدور في عقل وقلب ومعدة وقضيب عبدعلي في تلك الساعة, في تلك اللحظة كان بإمكانه ان يرى فرجها الكبير ام ال
- حسنا

- وان يرى شعرتها الكثة التي تقوم بحلاقتها ليلة عيد الفطر من كل عام
- خليل من أين لك كل هذه التفاصيل
- من عبدعلي طبعا
- حسنا أكمل
- لم يمهلها طويلا, بدلا من ان تنزل لانها كانت تريد الذهاب الى الحمام لتغسل فرجها الذي لايشبع صعد هو اليها ومع اول درجة تذكر ستيفن سبيلبرغ مخرج فيلم الغيشا عندما قامت الصبية الصغيرة في بيت القحاب باخبار القوادة ان احدى قحابها كانت تقابل عشيقها وانها سمحت له بمضاجعتها قبل دقيقة فقط ولما اعترضت القحبة ونفت الواقعة قامت القوادة بمد يدها الى مابين فخذي القحبة ووضعت اصبعها هناك واخرجته لزجا رطبا انه الدليل على خيانتها وكذبها ومخالفة أوامر قوادتها الصارمة بعدم المضاجعة الا مع الزبائن وبعلم واشراف القوادة نفسها كان عبد يستذكر التفاصيل مع كل درجة سلم يرتقيها ولكنه مع كل درجة يزداد غضبه على عقله ودماغه الصغير لانه لم يفكر بخيانتها لقد كان ساذجا عندما فكر بالسرقة او أي شيء اخر لقد فكر بكل شيء عدا ان تكون قد خانته مع رجل اخر ولماذا تخونه لماذا تخون المراة اذا كان يمتعها كل ليلة وكل يوم عطلة بقضيبه العظيم التي ظلت تتغزل به منذ ان اقتحمها ليلة عرسها وجعلها تصرخ وتستغيث واخوته وأبناء عمه يطرقون عليه باب الغرفة في بيت ابيه قبل ان ياخذها الى بيت مستقل قريبا من عمله في السجن, بيت صغير يقع في اخر الشارع بعيدا عن الناس الى حدما حتى لايسمعها احد من الجيران لانها ظلت وعلى مدى سنوات تصرخ وتستغيث وتسب عبدعلي وتلقي عليه اللعنات كلما نام فوقها وكلما ادخله في مهبلها. كانت تصيح الحكولي راح يشكني شكني شرمني الحكولي ماريده خره بيك عبد ولكم فطرني شرمني لكن بعض الجيران كانوا يسمعونها ويبتسمون

وتقول احداهن لزوجها والله خطيه فضيلة الله يساعدها اكول متكدر تحجي ويه عبد علي بلكت ويقاطعها زوجها ضاحكا وماذا أقول له؟ قل له على كيفك شويه وياها ويرد زوجها الذي بدا بصعود السلم بعد ان فرشت فراشها على السطح ليستمتع بنسمات تموز ويتمتع بتاوهات وانات واستغاثات مرة عبدعلي التي قامت بعد ان اخبرتها جاراتها بوصول استغاثاتها اليهن بالنزول الى غرفة النوم وإنجاز مهمة النيك تحت المروحة السقفية وهي ترسل هواءها الجاف يلسع ظهر ومؤخرة عبدعلي الذي يحاول انجاز المهمة بأسرع مايمكن ليتمكن من الصعود الى السطح والنوم على فراشه البارد الرطب.

- نظر اليها باستغراب انه لم ينيكها الليلة الماضية ولا صباح اليوم وتركها نائمة بدشداتها البوبلين الحمراء لماذا هي اذن باتك النيك؟ ها؟ كانت متسمرة في اعلى السلم وقفت كالمشلولة ظلت ترى عبدعلي عملاقا رغم انها كانت ماتزال في الأعلى ظلت تراه عملاقا وهي تتضاءل وتصغر لكنها لم تتلاشى. انه قادم اليها هذا العملاق الذي كان يسحقها كل ليلة وكل يوم جمعة وكل عطلة وكل عيد والذي ظل ينيكها ويحفر في مهبلها بقضيبه الكبير قادم اليها. لم تستطع التحرك شيء ما اجبرها على البقاء منذ ان رات عبدعلي عند أسفل السلم كان لديها الوقت لتركض وتهرب انه ات اليها وعيناه تلمعان وتقدحان انه غاضب لقد عرف كل شيء، هذه المرة الأولى التي سيتخلى عبد عن سذاجته فيها. انه قادم اليها وفكرت ماذا سيفعل؟ ارادت الهرب الى غرفة النوم او الى السلم المؤدي الى البيتونة ومنها الى السطح ومن هناك ستقفز على بيت أبو سلمان الحائط بينهما واطيء واطيء جدا تستطيع عبوره ولكنها فكرت أيضا انها بلا لباس داخلي وبالاتك الأسود الشفاف اتك النيك وفكرت أيضا ان عبدعلي عندما يغضب لن يقف بوجهه احد الم يقم بمحاولة قتل مدير السجن عندما كان يعمل في سجن اخر بمدينة أخرى وكادوا يسجنونه في حينها لانه

أصاب المدير إصابات خطيرة جعلته راقدا في المستشفى بضعة أسابيع لان المدير سيء الحظ وصف عبدعلي بالقواد وعبدعلي لم يكن قوادا عندما امسك به ورمى به على الأرض ظل يقول له وهو رابض فوق صدر وبطن المدير الذي ظل يصرخ ولكم اختنكت راح اموت وعبدعلي يصرخ به من قال لك اني قواد؟ ظل يرددها أكثر من مرة حتى استطاع احد المساجين وكان ضخم الجثة أيضا بعد ان استدعوه ان يسحب عبدعلي ويبعده عن المدير وعندما وصل الخبر الى الوزير سال بكل سذاجه يعني هو عبدعلي فعلا كواد؟ كان هذا الحادث محور أحاديث كل من في السجن وكانوا يستذكرون الواقعة لمجرد ترديد عبارة عبدعلي من قال لك اني قواد وبسبب تنازل المدير عن حقه اكتفى الوزير بنقل عبدعلي الى السجن الحالي. كان عبدعلي امامها الان, وجهه قبالة وجهها لكن قدميه كانتا دونها بدرجتين لم تستطع النظر في عينيه او الى أي جزء من وجهه ظلت تنظر الى الأسفل مترقبة ردة فعل عبدعلي الذي ظل صامتا هل يعاقبها كما عاقبها بطل احدى قصص نجيب محفوظ عندما عاد الى شقته قبل نهاية الدوام وصعد الى شقته وفتح باب الشقة ووصل الى غرفة النوم التي لم تكن مغلقة تماما وعندما فتحها راهما معا على مابقي من ضوء الصباح الذي لم تستطع الستارة الحمراء الحقيرة ان تمنعه من الدخول تماما, مؤخرة احدهم فوق بطن زوجته ارتبك الاثنان وقفز الرجل محاولا ارتداء سرواله وقميصه فيما سحبت هي الملاءة الوحيدة وغطت جسدها كله منتظرة ردة الفعل لم يقل شيئا ترك الباب مفتوحا واستدار عائدا الى غرفة المعيشة وجلس هناك وبعد لحظات خرج الرجل وهو يتعثر بشيء ما وظلت زوجته في غرفة نومهما حتى ساعة متاخرة عندما قامت تتفقده لتجده قد دخل المطبخ واكل شيئا ما ثم رقد ونام على الاريكة وغفا وفي صباح اليوم التالي شعرت انه قد استيقظ ودخل الحمام وغير ملابسه وخرج ليعود بعد نهاية الدوام ويقوم بنفس الروتين

كل يوم, يفعل أي شيء وكل شيء ولكن المهم انه لايكلمها ولايسالها ولاينظر اليها وإذ اتجرات وسالته لايجيبها واذا الحت محاولة الاعتذار مثلا يتركها تتحدث وينزل للجلوس بالمقهى القريب وبقيا على هذه الحالة لمدة شهرين ليرجع في احد الأيام من عمله ويرى كل اهل الحي والشرطة متجمعين حول شيء ما عند باب العمارة وعندما وصل اليهم استقبله جيرانه يعزونه بوفاة زوجته التي تبين لهم وللشرطة انها القت بنفسها من الشرفة محاولة قتل نفسها وتساءل عبد علي وهو يحدق في وجه امراته هل افعلها كما فعلها بطل نجيب محفوظ ام على طريقة سبيلبرغ ولكن عليه اولا ان يتاكد من جرمها وبينما كان يحدث نفسه امتدت يده المتينة وباصابعها التي تشبه الع... ره وبعد ان امسك بها بيده اليسرى دفع أصابعه يتحسس مابين اعلى فخذيها هناك ثمة دبق وتذكر انها كانت تطلب منه ان يمد أصابعه هناك بعد كل قذف ليتاكد مقدار منيه الذي قذفه فيها عندما تقول له في كل مرة لقد اغرقتني وفضت نعم انه مني رجل مازال يتسرب من بين دفتي فرجها الحقير انه منيه ولكنه لم يغرقها تماما كما كان يغرقها عند كل دفق وقذف ولكن تساءل عبد وهو يسحب أصابعه الرطبة الدبقة ولكن لماذا؟ ماذا تريد المراة بعد كل هذا النيك الأسطوري؟ لقد كانت تتباهى على مدى سنين بقضيبه العملاق وتحدد بيديها حجمه امام الاخريات كما فعلت امراة سوني في فيلم العراب الجزء الأول عندما سالتها صديقاتها عن صدق حجم قضيب زوجها سوني كورليوني وكانت امراة عبود كما قال تتباهى امام الجميع حتى بات الرجال انفسهم يعرفون هذا الامر ولكنهم لايتطرقون ابدا الى موضوع قضيب عبد الذي لم يفعل شيئا لشقيقة عبدالحميد لقد ازاحها عن طريقه بيده اليسرى ليفسح المجال لجسده الضخم باكمال الصعود والتوجه الى غرفة نومه التي نظر اليها باشمئزاز لايريد ان يأخذ شيئا سيترك كل

شيء هنا سيتركه لها تتصرف به كما تشاء ولكنه تذكر ان عليه ان يأخذ بعض الوثائق المهمة كهوية الأحوال المدنية و

- كان يريد الهرب والابتعاد اليس كذلك؟
- نعم استاد هو كذلك جمع كل الوثائق الخاصة به ووضعها في جيبه وخرج من الدار التي لن يعود اليها مستقبلا ابدا
- وأين حل به الامر؟
- سمعت قبل أيام انه في إيران
- وماذاعن عبد الحميد هل سمع بالامر
- نعم سمع فورا لقد حاولت الحقيرة ان تغطي على الامر لكن عبد الحميد الذي علم بامرها من احدى شقيقاته التي نقلت اليه المعلومات بالتفصيل وقد انتكس عبد الحميد انتكاسة كبيرة عندما سمع الخبر تعلم انه مريض بالقلب رغم انه لايعاني من اية امراض مزمنة أخرى كالضغط والسكري او البروستات او اية امراض أخرى ولكن فقط القلب كان قلبه ضعيفا جدا
- لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم
- مسكين دكتور عبد الحميد من مصيبة الى مصيبة
- هل كان هذا هو السبب في مغادرته العراق وقراره البقاء في إنكلترا
- نعم ولكن ليس تماما لم اخبرك ان عبد الحميد لديه بضع عقارات اشتراها على مدى عقود ابان عمله في وزارة النفط وماورثه من ابيه بعد وفاته ولأنه مقيم في إنكلترا ولايستطيع تحصيل ايجارات هذه العقارات فقد عرضنا عليه ان يقوم شقيقي الحقير بالعمل كوكيل عنه وينوب عنه في متابعة تحصيل الإيجارات والمحافظة على العقارات التي تحتاج الى الصيانة بين فترة وأخرى
- أي
- تبين ان شقيقي الكلب كان يسرق عبدالحميد على مدى سنوات وقد علم عبدالحميد باختلاساته واعماله السيئة ودناءته وحذره اكثر من مرة ولكنه كان يعيدها مرة بعد مرة وفي كل مرة كان

عبدالحميد يطرده او يلغي الكفالة كان اخي يقوم باسترضائه والتملق له واستعطافه بانه صاحب عائلة وأطفال الخ الى ان علم عبدالحميد ان اخي الارعن السافل قداستغل الكفالة الممنوحة له من عبدالحميد وقام بتسجيل بعض العقارات باسمه او باسم أبنائه مستغلا طيبة الدكتورالذي قرر أخيرا طرده بشكل عنيف وحاسم حيث لم تجدي معه كل محاولات الاستعطاف والاعتذار هذه المرة بعد ان كان عبدالحميد يغفر له ذوبه ويعفو عنه اكراما لشقيقته زوجة اخي التي كانت تدافع عن زوجها الحقير اخي لاوفقه الله ضاربة بعرض الحائط عطف وشفقة شقيقها عبدالحميد عليها وعلى زوجها الذي لم يصن الامانة

- لا إله الا الله
- استاد هل سمعت بالدكتور موسى
- ماذا به
- لقد غادر الى إنكلترا وهو يخطط للهجرة الى الولايات المتحدة الامريكية والاستقرار هناك بشكل نهائي.

قال لي عبد الحميد قبل ان افتح فمي بالترحيب

- انا متاكد تماما إنك تعرف ايغور سترافنسكي ولعلك استمعت ولاكثر من مرة الى موسيقى عصفور النار اليس كذلك، وقبل ان اجيبه استمر متحدثا قبل ان يمد يده للمصافحة
- ولكنك لم تسمع بموسيقاه الرائعة التي اثارت ضجة عند عزفها اول مرة في باريس
- طقوس الربيع قلت وانا في حالة زهو وانتعاش متفوقا هذه المرة على الاستاذ عبدالحميد الذي كان من عادته ان يدخل عليك اويستقبلك بخبر او حديث او بيت شعر او بداية حكاية عن شخص ما اوحدث ما وبطريقة تمنعك من التعليق او الاجابة لم يكن ثرثارا ولكن متحدثا لبقا وساردا للحكايات والقصص التي نعجب كيف انه يحفظ الاسماء والتواريخ بشكل مذهل كنت معجبا به ايما

اعجاب ليس لحافظته وقوة ذاكرته وحسب ولكن لاسلوبه وطريقة عرضه للقصة او الحدث وقد كان من طبيعته ان لايتوقف عن الحديث حتى وان اوشك على الوصول الى نهاية القصة او الحدث حيث يقوم وبطريقة بارعة ولبقة في الانتقال الى حدث اخر وقصة اخرى كان قد تعرض اليها خلال حديثه الاول وكان هذا الانتقال يثير حماس السامع اذا كان المستمع منتبها ومتابعا للسرد فانه سيسر فعلا بانتقال الاستاذ عبدالحميد الى هذا الموضوع الذي اردت ان اسال عنه خلال حديثه الأول. كان عبد الحميد ياتيني بكتاب او اثنين في كل زيارة خاصة الكتب التي لانجدها في مكتبات العراق وكنت اشكره كثيرا عليها واضطر لقراءتها بسرعة لاعادتها اليه بعد ان أخبرني الدكتور موسى ان عبد الحميد حريص جدا على استعادة كتابه وان لامانع لديه من تنبيهك مثلا إذا ماتاخرت في اعادته لذلك لم أكن اتماهل واتلكأ في قراءة كل كتاب ياتيني به عبد الحميد

- في احدى الزيارات وعندما كنا انا وزوجتي نتبادل الاحاديث العادية والاخبار وعندما كان الجميع مشغولا بزواره وفي لحظة ساد فيها الهدوء عندما سكت الجميع كما يبدو منتظرين لعلهم إشارة انتهاء الزيارة سمعنا جميعا صوت ضحكة عبدالحميد الذي كان جالسا الى الدكتور مهدي والتفت اليهما والتفت الجميع لنرى عبد الحميد وموسى غارقين في نوبة من الضحك المتواصل وعبد الحميد يبدو سعيدا وفرحا بما قاله له موسى وعاد الجميع الى ماكانوا عليه وارادت زوجتي تكملة قصتها التي ليس لها نهاية الا انني كنت فضوليا جدا لقد سرت عدوى الضحك الي وكدت اضحك ولكني قمت من مكاني وذهبت اليهما الى حيث يجلس عبدالحميد وموسى وكانا في اخر نوبة الضحك يحاولان خفض صوتيهما قدر الإمكان وسالتهما دون تردد بعد ان رفعا راسيهما باتجاهي
- شنو الموضوع؟

- قال موسي ساخبرك عندما تنتهي الزيارة ونعود الى غرفنا
- حسنا.
- وحالما التفت عائدا الى حيث تجلس زوجتي سمعت مايشبه الضحك الصامت يخرج من موسى الذي نهض لتوديع عبد الحميد حالما أعلن الحرس عن انتهاء الزيارة وبعد ان انتهيت من توديع زوجتي شعرت بيد تمت تحت ذراعي وصوت موسى يهمس لي
- لم اعد احتمل أسرع بنا الى غرفتك
- هيا بنا
- عندما وصلنا الى الغرفة بقيت واقفا قال موسى
- يجب ان تجلس استاد
- طيب هات قل لي ماالذي اثار كل ذاك الضحك
- حسنا وبدون اية مقدمات كنت اريد ان أرى عبد الحميد بأسرع وقت
- لماذا
- لاساله
- عن ماذا
- إذا كان لايريد الانتصاب وتوقف عن الانتصاب منذ فترة فلماذا أصبح صغيرا هكذا؟ هل تصدق ياستاد؟ انني كلما مددت يدي لامسك به لا اجده فاضطر الى البحث عنه بين الخصيتين اللتين بداتا تكبران كلما راياه يصغر هل تصدق انني ومنذ سنوات وبسبب هذا الكرش اللعين لم اعد اراه لم اره منذ سنوات حتى عندما كان قادرا على الانتصاب لم أكن أتمكن من رؤيته وبصراحة كنت امتنع عن خلع البيجاما او الدشداشه امام زوجتي التي كانت تحب ان نفعلها في الضوء وتخلع ملابسها امامي في الضوء
- هذا ماجعلكما تضحكان اذن
- لم أكن اعتقد او أتوقع ان عبد الحميد سيضحك هكذا لانه لايضحك أساسا حتى عندما كان يروي لنا بعض النكات لم يكن يضحك

قليلا ربما ولكن ليس مثلنا قط اما اليوم فقد فرحت كثيرا عندما وجدته فرحا ومسرورا بما قلته له

- هل تذكر بعض نكاته
- نعم يقول ان أحد أصدقائه اصطحب زوجته وابنته التي كانت على وشك الدخول الى الجامعة ليشتريا لها بعض الملابس بهذه المناسبة وعندما عادا من السوق لزيارة أحد اقربائهما كانت البنت مكفهرة الوجه عابسة فسال قريبه مابها الحبابة ليش ضايجة أجاب ابوها
- لقد اشترينا لها كل ما ارادت الا الحذاء لم تجد ماينا سبها وانا كنت قد تعبت فطلبت منها تأجيل شراء الحذاء الى وقت اخر
فما كان من الفتاة الا ان قاطعت اباها بهذه العبارة
- اني معليه الحذاء براسك براسك

لم اسمع سوى صوت ابو مشتاق يصرخ بغضب

- لك قندره،

والقندرة كما تبين لاحقا هو المنتسب محسن الذي كان مولعا بالاستماع الى فيديوهات التيك توك واليوتيوب كان جالسا على احدى درجات السلم الذي يؤدي الى الطابق الثاني حيث مكتب المدير والمكاتب الاخرى ولان محسن كان ينسى نفسه احيانا وينساق في موجة من الضحك العالي عندما يكون مندمجا مع احد الفديوهات المضحكة حيث جازف في احدى المرات كما يروي المنتسبون هذه الواقعة واستغرق في الضحك العالي مما ازعج مدير الموقف وغضب كثيرا لانه كان يستضيف احد المسؤولين في مكتبه فامر بوضعه في السجن الانفرادي لمدة شهر ومصادرة الموبايل وحرمانه من اية امتيازات والكتابة الى الوزارة لالغاء تعيينه وطرده من الملاك الخ ولكن بعد ايام ولان محسن كما تبين لاحقا كان من اقرباء المدير او بالاحرى من اقرباء زوجة المدير التي ساعدته اي

زوجها بالحصول على منصبه هذا فقد قام زملاء محسن بالاتصال باحد ابناء المدير الذي اخبر امه بما جرى لمحسن فقامت هي كما يبدو باصدار الاوامر لزوجها باطلاق سراح محسن واعادته الى موقعه السابق والغاء كافة الاجراءات المتخذة او التي ستتخذ بحقه واعتبار الموضوع منتهيا

عندما جاءني أحد النزلاء يسال عن زميلهم عبدالرضا قلت له على الفور انه كالعادة في الحمام اليس هو دائما في الحمام قال بحثنا عنه هناك ولم نجده اين ذهب اذن قلت قال والله استاد ما أدري دوخنا عبدالرضا

- شبيه عبدالرضا شتريدون منه

كان عبدالرضا هو المتحدث عندما اطل براسه خلف زميله الشاب محاولا رفع جزء من المنشفة التي غطى بها راسه تماما قال الشاب

- اين كنت؟
- قال عبد الرضا في العزا في الصخام غير بالحمام وين اروح يعني هو هذا المهجوم يقصد الموقف شبيه غير الحمام والخلاء يقصد المرحاض
- قال الشاب مرتك جايه عليك تريدك
- قال عبدالرضا شعدها شبيها شتريد مني
- شمدريني اني اجاب الشاب واستدار محاولا الذهاب قبل ان يوقفه عبدالرضا ويساله بجدية بالغة
- هل جاءت وحدها
- قال اي وحدها مثل كل مرة وافلت قميصه من قبضة عبدالرضا وغادر، سالت عبدالرضا
- خير خو ماكو شي قال
- بت الكلب متقبل تجي تزورني الحقيرة الكلبه العاهرة وكنت اعلم ان المقصود هي ابنته شيماء التي كان يسبها طوال الوقت

ويلعنها قائما قاعدا وكان الزملاء يهونون عليه الامر بانها ربما تكون مشغولة او مريضة وكان جوابه دائما

- لا يابه لا اكلكم حقيرة وبت كلب كلبه بت ستطعش كلب بت الزفره
- قلت لعبدالرضا بعد ان ذهب الشاب لاباس اذهب الى امراتك وانظر ماذا تريد انه ليس موعد الزيارة الرسمي ربما كان هناك امر مهم وجدت ان عليك ان تعلم به اذهب ياخي وقل خيرا ان شاء الله

كان عبدالرضا رجلا طيبا يعمل في امانة بغداد بوظيفة بسيطة وباجر بسيط ولم يكن يتحدث في السياسة او في الدين بل لم يكن يتحدث في اي موضوع كان قليل الكلام قليل الاصدقاء لم يكن يزوره احد باستثناء زوجته التي اضطرت بعد عدة زيارات ان تخبره بالحقيقة الصادمة وهي التي جعلته يجن ويطلق لسانه بالشتائم والسباب ويصرخ بوجوه الاخرين ولايجلس او يتكلم مع اي احد ورفض زيارة زوجته له التي اتهمها بشرفها هي وابنته شيماء التي اعلن صراحة في نفس اليوم الذي اخبرته الخبر المشؤوم زوجته بان ابنتهما شيماء هي التي وشت به لدى الجهات الامنية واخبرتهم ان اباها ينتمي الى حزب الدعوة المحظور والقاء القبض عليه في عمله بعد ساعة واحدة من بدء الدوام في السنة الاولى من الحرب بين العراق وايران وبقي مرميا في السجن رافضا كل محاولات اقاربه ومعارفه وبعض اصدقائه من التوسط لدى الجهات الرسمية العليا للعفو عنه بعد ان علموا بان ابنته قامت بفعلها هذا بعد ان علم بشكل مؤكد انها قد فقدت عذريتها مع احد ابناء المحلة الذي كانت تواعده سرا لعدة اشهر وقيل انها حملت منه او من غيره وانها اسقطت الجنين بعد ان سافرت الى احدى المحافظات لتبقى هناك بضعة اسابيع بحجة زيارة اقارب امها.

- استاد رحمه الوالديك ماعندك فد باندوله,

وكنت اعلم انها ليست له, انها لاحدهم, احيانا ولكثرة طلباتهم يخجلون ان ياتوا بانفسهم لطلب شيء ما فيرسلون اصغرهم جعفوري وجعفوري هو الطف وارق واعذب واصدق وانبل النزلاء قاطبة كان سريع الخاطر سريع الاستجابة يتصرف بسرعة وبدون تفكير ملبيا حاجات وطلبات الاخرين قبل ان يبادروا الى طلبها خاصة كبار السن الذين يواجهون صعوبة كبيرة عند القيام من على الارض والجلوس والنوم كله على الارض كان جعفر ينام وسط اكبر النزلاء سنا خوفا عليه ربما من المتحرشين او المتنمرين ولكن الحجة كانت دائما انهم اي كبار السن الاكثر احتياجا لجعفر الذي ظل يذكرني بيوسفاكي احد شخوص رواية المسيح يصلب من جديد للروائي اليوناني نيكوس كازنتزاكس مؤلف رواية زوربا التي تحولت الى فيلم من بطولة انتوني كوين ورواية الاخوة الاعداء وكنت كلما تذكرت يوسفاكي سجلت في ملاحظاتي اشارة الى تذكير زوجتي باحضار الرواية من مكتبتي لاعادة قراءتها بعد ان مضى وقت طويل على قراءتها اخر مرة

وكنت احظى بالكثير من الزيارات من الاهل والاقارب والاصدقاء بل من اناس واشخاص لم اكن اعرفهم ولم اسمع بهم ولكنهم لاسباب عديدة كانوا يتعاطفون معي ويرغبون برؤيتي وزيارتي اتذكر احدهم كان صديقا لاحد اصدقائي المقربين علم عن طريقه اني اكتب الشعر وباشرت قبل اشهر بكتابة اول كتاب لي بعنوان يوميات عنكبوت الذي غيرته لاحقا وبناء على نصيحة وراي احد الاصدقاء الى (الخروج من الجحيم), كان صديق صديقي روائيا معروفا في العراق رغم اني لم اسمع به قبل ذلك ربما لاني توقفت عن القراءة للعراقيين منذ عدة سنوات طلب هذا الصديق ان ارسل له مسودة هذا الكتاب ليطلع عليه ويبدي رايه الى جانب اراء الكثيرين ممن اطلعوا عليه خلال الاسابيع الماضية وارسلت اليه المسودة التي كنت احتفظ بها على اللابتوب بعد ان توقفت من الاضافة عليها واكتفيت بالتعديل اللغوي فقط لاني رغبت

بالبدء بكتاب ثاني اطلقت عليه اسم (حوارات الرمل والماء) مخططا ومصمما على المباشرة بالكتاب الثالث حال الانتهاء من كتاب الحوارات باسم (كل تلك الوحدة)

قال لي الاستاذ مرتضى بعد ان دخل علي فجاة لو خيرت المراة بين الذكاء والجمال لاختارت قلت على الفور

- **لاختارت الجمال**
- **قال كلما دخلت عليك وجدتك تقرا قلت**
- **كلما دخل زكريا عليها المحراب وجدعندها رزقا وهذا رزق يا صديقي**

واخيرا مرضت بسبب فيروس لعين صحا من غفوته حالما حل شهر شباط البارد الممطر وعادني في مرضي هذا جميع النزلاء كانوا يتوقفون لدى الباب لاني خفت عليهم العدوى وكانوا يودون الدخول والانحناء فوقي وتقبيلي كعادة كل العراقيين عند زيارتهم للمريض سواء في البيت او في المستشفى وبخلاف عادات كل شعوب العالم الذين يعودون مرضاهم ايا كان نوع المرض وهو يحملون باقة ورد طبيعية يشترونها من محلات خاصة ببيع الزهور الطبيعية الا العراقيين الذين خالفوا كل شعوب العالم باصرارهم على حمل الطعام الى غرفة المريض الذين يعتبرون زيارته واجبا مهما ومقدسا ولايجوز التغاضي عنه مثلما لايتغاضون او يترددون في حضور مجالس العزاء التي كانت تستمر من ثلاث الى سبعة ايام تبعا لاهمية المتوفى او عشيرته او منصبه الخ ومن عاداتهم عند زيارة اهل المتوفى ان يحملوا لهم بعض المواد العينية التي تدخل في طبخ واعداد طعام العزاء مثل الذبائح والارز والزيت وغيرها ومن عادات العراقيين التي ربما يشتركون مع قليل من الشعوب بها هي عادة التقبيل على الوجنتين الخد الايمن والخد الايسر ثم الخد الايمن اي عادة التقبيل الثلاثية التي لم ينج منها الا القليل بعد اشهر من هجوم جائحة فايروس كورونا الذي اجتاح العالم

ومن ضمنه العراق اواخر العام 2019 واوائل العام 2020 ولم يستطع العالم من السيطرة عليها لحد الان حيث تشير الاحصاءات حتى كتابة هذه السطور الى تجاوز الاصابات ال 525 مليون اصابة والوفيات اكثر من ستة ملايين والله يستر علينا وعلى امة محمد والبشرية اجمع. اتحدث هنا عن العراقيين وعاداتهم التي يختلفون بها عن بقية البشر ولكن العالم ايضا اضطر واجبر خلال هذه الجائحة على تغيير عادته بحكم اتخاذ حكومات دول العالم مجتمعة او مفردة وفقا لمستجدات الفايروس وتاثيراته على هذه الدولة او تلك. وكان من قرارات دول العالم الصائبة هو قرار الاغلاق التام الذي استمر لفترة طويلة تغيرت خلالها الكثير من مظاهر العالم حيث توقف ذوبان الجليد عند القطبين وعادت الحيتان الى الظهور مرة اخرى واستعادت الغابات عافيتها الخ من المظاهر التي اشار اليها ديفيد اتنبوره في تقريره الرائع في الفيلم الوثائقي المريح عندما توقفت الحياة

قبل ان أفقد الذاكرة وبوقت طويل كتبت لزوجتي عن كل شيء في تقرير طويل بعدة مئات من الصفحات تركتها في مكان ما في اللابتوب الذي كان معي في السجن اردتها ان تعرف عني كل شيء لم أخفى عنها شيئا منذ زواجنا قبل خمسة عقود ولكنني كنت اتذكر دائما اشياء لم تكن تعرف بها ولم أخبرها بها قط لم تكن اسرارا ولكنها كانت معلومات عني لم اشا ازعاجها بها طيلة وجودها معي

Here I am

كنت اقولها كلما دخلت عليهم قاعتهم الكبيرة، وفي كل مرة كان يرد على واحد فقط هوالاستاذ مهدي الاستاذ في احدى الجامعات العراقية قائلا

An old man in dry months

وفي كل مرة كنت اتوقف عنده وامنعه من القيام لاستقبالي حيث يساعدني على الجلوس على فراشه النظيف كنت احب الجلوس معه

لسببين الاول نظافته ونظافة المكان المخصص له كان فراشه نظيفا تماما الملاءات بما فيها ملاءة المخدة تفوح منها رائحة مسحوق الغسيل الى جانب العطر المخصص للغسالات الكهربائية كانت زوجته تاتي له بالملاءات الجديدة التي استلمتها منه في الزيارة السابقة الى جانب مايحتاجه من ادوات الاكل كالصحون والملاعق والسكين الخ اخبرني انه خريج انكلترا وعاش فترة غير قصيرة هناك يقول تطبعت بعادات الانكليز فيما يتعلق بالنظافة والترتيب والنظام لم يكن فوضويا كبقية النزلاء كل شيء معه كان مرتبا ونظيفا ورائحته زكية عطرة وكان قنوعا وغير متبطر لايطلب شيئا من احد كما يفعل الكثيرون منا يتلذذون ويتمتعون بطلب الاشياء سالته مرة عندي كذا وكذا هل اتيك به قال اشكرك انا عندما احتاج الى اي شيء اخبر به زوجتي لتاتيني به في زيارتها القادمة وعلمت ايضا انه كان يطلب من زوجته اشياء ومواد ليست له ولكن للزملاء الاخرين عندما يراهم يطلبون شيئا ما ولايجدونه عند الاخرين حيث كان يفاجؤهم بما يحتاجونه واصبحوا يحترمونه ويحبونه اكثر واكثر وكنت كلما جلست اليه لا نتحدث الا في الشعر والشعراء الانكليز خاصة وفي مقدمتهم الشاعر توماس ستيرنز اليوت الذي فاجئي عندما بدا يلقي علي مقاطع طويلة من اشهر قصائد اليوت مثل اغنية حب الى برفروك والرجال الفارغون والارض اليباب كانت لديه اكثر من حقيبة واحدة كبيرة جدا استلمها بعد ايام من اعتقاله وضعت له فيها زوجته وابنته كل مايحتاجه من مقتنياته الشخصية وعددا من الحقائب الصغيرة كالتي يستعملها الرياضيون كانت امراته تاتي بها له في كل زيارة ولايعيدها اليها فتجمع لديه عدد لاباس منها وكان لايبخل على الجميع بما تاتيه به زوجته من طعام وحلويات وفواكه كان يوزعها على الجميع ولايحتفظ بشيء منها وحسنا يفعل ذلك لان عددا من الموقوفين لم يكن ياتي لزيارته اي احد من ذويهم لم يحكي لي مهدي قصة اعتقاله ولم اساله عن ذلك ابدا ويبدو ان كل واحد منا قد اتخذ قرارا في نفسه ان لايسال الاخرين هذا السؤال مقابل الا يساله الاخرون ايضا ويبدو ان الجميع قد احترموا قرارهم هذا. كنت

اسال الاستاذ مهدي عن سبب عدم زيارته لي في غرفتي قال لاننا نعرف انك مشغول بالكتابة دائما ولانريد ازعاجك, البقاء في غرفتك لوحدك نعمة لانريد ان نفسدها عليك وانا بل نحن جميعا يسرنا ويسعدنا زيارتك لنا بين الحين والاخر وقد اتفقنا جميعا على استقبالك والترحيب بك والعمل على الترفيه عنك قدر الامكان وامتاعك بما نمتلك من مواهب وقدرات وانا شخصيا فخوربك وسعيد بمعرفتك ويسرني جدا لو تعلم ان نكون معا دائما

لم اكن اعتقد ابدا انه مازال هناك في هذا العصر الذي شهد ولادة النت والاختراعات الالكترونية وغيرها من لايستطيع القراءة والكتابة خاصة بعد حملة محو الامية التي شهدها العراق منتصف السبعينيات التي قضت تماما تقريبا على الامية بشهادة اليونسكو التي اعلنت في وقت لاحق خلو العراق من الامية تماما ورغم اننا لم نصدق هذا الخبر في حينه الا اننا بدانا بتصديقه والقبول به عندما لم نلتق وعلى مدى سنوات طويلة ممن يقول انه لايقرا ولايكتب وبقي هذا الاعتقاد قائما عندي الى جاءني احد النزلاء يسالني ان اكتب له رسالة الى عائلته بعد ان رفض بقية النزلاء مساعدته ورحبت به لاني كنت طيبا واحب مساعدة الاخرين سالت داوود عما يريد ان يقول في الرسالة ـ قال بكيفك استاد

- قلت ياعزيزي انها رسالتك التي تريد ان تصل الى اهلك ماذا تريدني ان اكتب فيها
- قال لقد اخبرتني زوجتي في اخر زيارة انها ستلد بعد شهر وها قد انقضى الشهر ولم ياتني خبر منها
- ـ قلت ولكنك هنا قبلي ياداوود قبلي بكثير وانا قد مضى على أكثر من سنة فكيف
- ـ قال انت تعلم استاد اننا نستقبل زوجاتنا في الغرفة البيضاء الم تعلم بذلك لقد توقفت عن استقبالها في الغرفة البيضاء بعد ان دخلت في شهرها الرابع واصبح من الصعب النوم معها وتذكرت

**انهم صنعوا في القاعة الكبيرة التي تضم اكثر من ثلاثين موقوفا وفي احدى زواياها البعيدة عن الباب غرفة من الستائر والملاءات وفرشوها بما جلبته لهم نساؤهم واسموها الغرفة البيضاء *(لان احدهم كان يعمل في منشاة صدام لانتاج المدافع وكانت لديهم مايسمى بالغرفة البيضاء يتم فيها صناعة عدسات النواظير المستخدمة في المدافع حيث الغرفة في اعلى مستويات النظافة, اي خالية تماما من الغبار و فيها اجهزة تكييف خاصة وأجهزة جمع غبار كهروستاتيكية و العمال يدخلوها بعد ارتداء ملابس خاصة و تعتمد مبدأ التكييف الأرضي بدلا من الهواء)*
يستقبلون فيها زوجاتهم لغرض الجماع حيث يقوم السجين الذي ينتظر زوجته بابلاغ رفاقه بان اليوم هو يوم دخلته حيث يقوم رفاقه بمغادرة القاعة الى الباحة الخاصة بالتنزه يلتقون فيها مع زوارهم ليتركوا رفيقهم يستمتع بزوجته لم نكن نرى الزوجات بعد ان ينتهين من هذه المهمة كن يقمن بالمغادرة فورا وقبل انتهاء وقت الزيارة فيما يبقى اكثر الرجال ممددين او نائمين الى ان نعود اليهم لنجد بعضهم قد ذهب في نوم عميق وشخيره يملا القاعة لنعلم بعد ذلك اننا سنحظى اخيرا ببعض الراحة والسكون بعد ان افرغ الرجال قلقهم وغضبهم عبر تفجير شهوتهم وقذفها وتفريغها في نسائهم المتلهفات , ولم يكن كل الرجال يفعلون ذلك وانا منهم بالرغم انهن يفعلن ذلك في غرفة خاصة لاسباب تتعلق بزوجاتهم حيث ليس كل النساء يقبلن مضاجعة ازواجهن بهذا الشكل وانما كان عدد قليل منهم من يستقبل امراته في الغرفة البيضاء وكانت الزوجة كما قلت تحرص على مغادرة الغرفة والقاعة والتوجه الى باب الخروج لتنتظر من جاء معها من افراد او عوائل لتعود معهم الى بيتها ولم اكن اعلم الطريقة التي اتفقوا عليها لتحديد من منهم سيستقبل زوجته هذه المرة وكيف يكون التبليغ ايام لم يظهر بعد الهاتف النقال هل يقول لزوجته الاسبوع القادم موعدنا مثلا فتقول له اوكي او ما اكدر سيصادف ذلك**

موعد الدورة الشهرية فيتنازل زوجها كما اظن الى زميل اخر وهكذا .

اطل مصطفى براسه الجميل قائلا بشكل مباشر وبدون السلام عليكم او صباح الخير مثلا

- استا ذ منو اخترع اللباس الداخلي؟

ولم انتبه لسؤاله لاني كنت مستغرقا في الكتابة ومحافظا على سلسلة الافكار التي اردت تضمينها الكتاب الجديد الذي اخبرتكم عنه سابقا حوارات الرمل والماء والذي ساسميه لاحقا ولغرض الاختصار كتاب الحوارات، رفعت راسي ببطء بعد ان انتبهت الى ان من يقف بباب الغرفة هو الشاب مصطفى الذي لم يكمل العشرين بعد والذي تخلى عنه اهله وذووه قبل دخوله السجن لاسباب اخلاقية كما سمعت

- قلت ها مصطفى ماذا تريد؟
- قال استاد عدنا مشكلة
- قلت ماهي تفضل أستريح

وتفضل مصطفى الى داخل الغرفة الصغيرة وجلس على الكرسي الوحيد الذي كان يملا الغرفة حتى وان لم يجلس عليه احد، كان مصطفى شابا يمتلك وجها حلوا عينان كبيرتان ملونتان وشعر سرح لطيف وذقن حلوه ترك فيها بعض الشعر ليزيد من بهائه وشبابه، لم اكن اميل الى الحديث مع الشباب لعدم تقارب الاراء والافكار بيني وبينهم كان احدهم يمر بي بسرعة صارخا وبدون اية مقدمات

- فزنا استاد فزنا
- عليمن
- على مانشستر سيتي 6-5
- صدك بالله، العراق فاز على السيتي

وانفجر مصطفى بالضحك ورايت وهو يضحك كل اسنانه حتى اسنان العقل كانت ضحكة طويلة لم يستطع السيطرة عليها او على نفسه

- مصطفى بابا شبيك ليش تضحك

- استاد الله يخليك ياعراق ياستي
- مدا افتهم ابني شنو الموضوع
- استاد الريال استاد الريال مدريد ويه مانشسترسيتي فزنا عليهم ستة خمسة
- لعد ليش تكول فزنا اني عبالي العراق
- لااستاد فزنا احنه الريال

ولما لم استوعب مايقول عدت الى الحاسبة وانا انظر اليه مبتسما متذكرا سذاجتي عندما كنت اسال الاخرين عن اللاعب سقراط وزيكو واخرين اما ماتو او اعتزلوا اللعب ,فيما هو يحاول ان يكتم ضحكة اخرى توشك ان تنفجر، كنت كلما سمعت الصياح والضجيج العالي القادم من القاعة عرفت ان هناك مبارة لكرة القدم بين الريال واي فريق اخر سواء كان اسبانيا او اوربيا او حتى عراقيا المهم ان الفرحة واطلاق الرصاص يكون عندما يفوز الريال العراقي وكنت اذا اريد ان اعرف من فاز على من كنت اسال مصطفى رغم ان مثل هذه المعلومات يشترك بها الجميع حتى من غير المهتمين بالرياضة أمثال موسى ومرتضى ومهدي لكنهم وبحكم تواجدهم في نفس الغرفة كانوا على اطلاع على كل المعلومات التي يتم تداولها من قبل البعض ومنها اخبار الرياضة التي كانت اخبارها وتبليغها لي من مسؤولية مصطفى الذي لاادري من الذي اخبرني بقصته التي لاعلاقة لها باعتقاله وسجنه قال من اخبرني ان مصطفى بسبب جماله قد تورط مع احدى قريباته وعندما سالته يعني شنو تورط قال لقد ضبطوه وهو يمارس الجنس مع عمته

- ماذا؟ كيف؟ ولماذا؟ ولكنه مازال صغيرا
- استاد، مصطفى ليس كما يبدولك انه يقترب من الثلاثين ويزداد جمالا سنة بعد أخرى
- المهم ماذا حصل؟
- كان اهله ومنذ صغره يخافون عليه من الجميع خاصة من الذكور فكانوا لايتركونه مع أحد حتى مع اقربائهم كانوا حريصين عليه

كثيرا ويمنعونه من الجلوس مع الاخرين او في حضن أحدهم او تقبيل أحدهم الخ ولكنهم لم ينتبهوا الى ان الفتيات كن مولعات بمصطفى منذ ان كان صغيرا وتعرف استاد البنات وسوالفهن وحركاتهن تخليه بحضنها وتكوم تمطك بيه وتمص شفايفه وحبيبي واوي وفدوه وهي شابعة بوس وتمطك

- اوكي ولم ينتبه اهله لهذه الحالات
- لا لسوء الحظ لم ينتبهوا
- ومصطفى؟
- مصطفى كان صغيرا ولا يعرف دوافع من يجلسه في حضنه
- والاهل الم يلاحظوا
- يبدو ان الامر كله كان يجري بعيدا عن انظار الاهل
- حتى وقعت الطامة الكبرى
- بسبب تعدد الزيارات والنوم المشترك الذكور مع الذكور والبنات مع البنات حتى بعد ان كبروا قليلا لم ينتبه أحد الى قول النبي صلى الله عليه واله عندما اوصاهم: فرقوهم في المضاجع
- ومصطفى؟
- مصطفى تعلم ان يتسلل الى مخادع عماته، بعد ان قمن باغرائه بما كان يحب من نستلات وحلويات والعاب الخ
- وشب الولد على التقبيل في الفم ومص الثدي وامور أخرى اخجل من ذكرها
- من اخبرك بذلك؟
- مصطفى نفسه
- ماهو سبب اعتقاله؟
- وشايه من قبل احدى الفتيات بالانتماء لحزب الدعوة بعد ان رفض دعوتها لزيارتها في بيتها بعد مغادرة زوجها الى العمل فانتقمت منه بعد ان صدها ورفض عرضها أكثر من مرة
- الحقيرة
- كحاب

- تقول انهم ضبطوه مع عمته من ضبطه وكيف؟
- بسبب غيرة عمته الأخرى
- والسبب
- لان الأولى لم تقبل ان يذهب مصطفى الى اختها
- فتنت عليها
- نعم مو اكلك كحاب
- وأبو مصطفى ماذا قال وماذا فعل؟
- أبو مصطفى ميت، وليس لديه اعمام احياء لان كل اعمامه الباقين كانوا بين شهيد او اسير او مفقود
- اذن ماذا تقصد باهل مصطفى؟
- اخوته الكبار وأمه الذين حالما علموا بذلك بشكل او باخر قاموا بمقاطعة عماتهم واعمامهم وانتقلوا الى منطقة أخرى من بغداد حفاظا على أعمالهم واشغالهم بعد ان اقترحوا في البداية الانتقال الى محافظة أخرى
- ماهذا الزمن الاغبر. هل يعلم أحد اخر غيرك بهذا؟
- لاادري ولكن مصطفى وعدني انه لن يخبر أحدا غيري بهذا الامر
- وانت ارجوك ان لاتخبر أحدا بعدي بذلك وكان عليك ان لاتخبرني من البداية. هل تعتقد ان ماقاله لك مصطفى صحيح كله
- اعتقد ذلك استاد والا مامصلحته في الادعاء والكذب؟
- نعم صحيح اكتم سره ولاتفشه لاحد اخر، وقل لمصطفى الا يتحدث بهذه المعلومات لانها ستسيء اليه في المستقبل ولن تكون من مصلحته سواء في العمل او في الزواج وغيره
- اعدك ان لاافعل، سابلغ مصطفى بذلك كما تفضلت

كنت اقرا في كتاب روجيه غارودي واقعية بلا ضفاف الذي اشتريته نهاية الستينيات وكنت احب القراءة لغارودي وكنت اعود الى كتابه الممتع واقعية القرن العشرين لا لشيء الا للتمتع بعبارته الافتتاحية (*لم يعد الصمت ممكنا*) لم اكن شيوعيا ولكني كنت احب

الشيوعيين وكنت احترمهم جدا انهم من نوع اخر من البشر كانوا اصحاب خلق رفيع ومبدئية عالية وفكر متطور وهادئين جدا لم التق ابدا بشيوعي صاخب او معربد او فج او سمج كنت احب كل الشيوعيين رغم معرفتي بالحادهم وكنت ابتسم عندما ارى احدهم في احد الاضرحة والمشاهد زرت مرة احد الاصدقاء في بيته بعد ان تعرض للاصابة اثناء عمله في حديقة منزلة وكسرت ساقه قلت له كيف حالك الان قال بدون وعي وبدون تردد

-الحمدلله

واردت ان اقول له شنو؟ ماذا؟ ولكني استحيت من زوجته الى رسمت ابتسامة لطيفة وودودة على وجهها كانت تلك مفاجاة غير متوقعة لقد نسي الشيوعي انه شيوعي كان مثقفا جدا واستاذا في الجامعة كنت ازوره باستمرار واستمتع بحديثي معه كان يتحدث عن كل شيء باستثناء الحديث عن الشيوعية والاتحاد السوفيتي خاصة بل انه لم يكن يتحدث في السياسة غالبا, كنا نتحدث في الادب والفن رغم انه كان استاذا في الاقتصاد وكنت اساله واستفسرمنه عن امور خاصة بالاقتصاد ولكن الحديث كان ياخذنا الى عالم الادب والفن كان شاعرا متواضعا مثلي. كنا نكتب اشياء تشبه الشعر هذا ماقاله عنا احد الاصدقاء

انكم تكتبون اشياء جميلة جدا ليست شعرا ولكنها تشبه الشعر

وكنا راضين بذلك. كنت احب الواقعية بلا ضفاف اخذتها مرة اليه بعد ان رجاني ان احضر الكتاب اليه لانه لم يستطع العثور عليه في المكتبات لكنني تذكرت قال لي انك تملك نسخة منه واعجبه الكتاب كثيرا تحدثنا عنه طويلا وفي اكثر من لقاء كان يقرا على مهل سالته اما انتهيت منه قال هذه المرة الثالثة ارجوك لاتفكر باستعادته الان قلت ولا غدا او بعد غد وكنت اظن ان الكتاب بقي لدى صاحبي عندما طلبت من زوجتي ان تحضره لي في زيارتها القادمة وفوجئت عندما اخرجته من حقيبتها سالتها وانا مستغرب

- اين عثرت عليه؟

- قالت في مكتبتك طبعا

وسكت لاني تذكرت ان الرجل كان قد احضره الى منزلي بنفسه بعد بضعة شهور من استعارته عندما وجدها فرصة ان ينقب في مكتبتي الصغيرة ليلتقط عددا من الكتب التي لم تكن متوفرة لديه ويحملها وهو اشبه بالطفل عندما يحصل على هدية جديدة كان سعيدا عندما وجد هذه الكتب. كنا نقرا الكثير من الكتب والمجلات والدوريات ونشترك في عدد كبير من الكتب التي كانت تضمها مكتباتنا كنت اعيد قراءة الصفحات لاني كنت اسرح بفكري ولم انتبه الى انني لا استوعب ما اقرا عندما سمعت أحدهم وهو يصرخ بزميله في القاعة الكبيرة وبكل قوة

- خره بيك وخره بصدام وانعل ابوكم يابو حزب البعث ياخوات الكحبة انتو لمة مناويج الله ذبكم غضب ولعنة على العراقيين يامناويج ياخوات الكحبة.

كان الرجل غاضبا, وصياحه جعل الجميع منتبها وفزعت كالاخرين القيت الواقعية على السرير وقمت مفزوعا مرتبكا اردت ان اذهب حافيا الا انني تذكرت انني قد اغتسلت صباح اليوم وقدماي نظيفتان ولا احب ان امشي على ارضية السجن التي لايمكن ان تكون نظيفة ابدا. جاء حرس السجن وفي مقدمتهم ابو مشتاق يتصنع الغضب والاهتمام وينتظر ان يكلمه أحد ما لينفجر بوجهه كما هي عادته حيث التهور والنزق صفتاه الرئيستان ليروا ماالذي حصل, كنت انا قد وصلت الى القاعة التي لم تكن تبعد كثير عن غرفتي وعندما راني الجميع سكتوا وهدؤا ويبدو ان بقية السجناء قد سيطروا على الموقف وتمكنوا وبسرعة من اسكات الرجل الغاضب ومنعوا زميلهم البعثي من الرد مما ساعد على ضبط انفعال الرجل الصارخ عندما رؤوني عند الباب قالوا بصوت واحد

- ماكو شي استاد نقاش حاد على موضوع سخيف ماكو شي

وعندما وصل ابو مشتاق وبعض السجانين كان الموقف قد انتهى تماما وعاد كل موقوف الى ماكان عليه قبل الشجار بين الرجلين

كانا من نفس الطائفة ولكن احدهم كما يطلقون عليه لم يكن بعثيا فقط ولكن صداميا ويبدو ان الصدامي هو اسوأ البعثيين على الاطلاق كما يقولون كانوا يسمونهم بالمستفيدين من نظام صدام هؤلاء لم يكونوا بالضرورة بعثيين ولكنهم ولاسباب وظروف معينة استفادوا بشكل سريع ومرعب وحققوا مكاسب كبيرة خاصة ايام الحرب مع ايران وتدهور سعر صرف الدينار العراقي واصبحوا يتعاملون بالدولار كما يتعامل التاجر بالسلعة وقد عرفناهم جيدا وكشفوا عن حقيقتهم مباشرة بعد انهيار الدولار من 3000 دينار للدولار الواحد الى اقل من 400 دينار نهاية العام 1996 بعد اتفاق العراق مع الامم المتحدة على مذكرة التفاهم الخاصة بالنفط مقابل الغذاء والدواء حيث انهار الدولار بشكل رهيب وتلطمت واسودت وجوه المستفيدين مثل اي تاجر وضع كل ماله في بضاعة يستوردها راجيا ومتاملا منها ارباحا كبيرة ثم يخبرونه بغرق السفينة التي تحمل هذه البضاعة وضياع كل ثروته التي رصدها ووظفها في هذه البضاعة لقد عرفناهم جيدا وكشفناهم في ذلك اليوم السعيد وقد سمعنا قصصا عن اشخاص اقدموا على الانتحار بسبب الخسارة الكبيرة لقد كشفوا عن انفسهم كانوا يفرحون لاية مصيبة تحدث في البلد بما يساهم في رفع قيمة الدولار ليستفيدوا من فرق التصريف سالني احد سواق الاجرة مرة منتصف التسعينيات وفي خضم الحصار الاقتصادي الاممي على العراق

- قال كيف تفسر ان موظفة خريجة المتوسطة براتب ثلاثة الاف دينار شهريا لكنها تصرف أكثر من مئة ألف دينار في الشهر؟ ولم اجبه لاني لم أكن املك الاجابة الصحيحة اردت ان اقول له ان هذه وامثالها لابد ان تكون مشبوهة ولديها علاقات غير شريفة تحصل بموجبها على مورد اضافي لم يخطر ببالي ان مثل هذه الموظفة ممكن ان تعمل بسوق الدولار.

كان الدكتور موسى وكلما عاد من الحمام وقبل ان يضع قدمه في اول القاعة صاح كاظم

- ها جاموسه، أي جاء موسى

ويلتفت الجميع باتجاه الباب حيث موسى لايملك غير ابتسامة ناعمة ورقيقة ليرد على كاظم بكل ادب وحياء

- ماتجوز من سوالفك أبو جواد

كان كاظم هو عنصر المرح والمزاح في القاعة كلها لاينافسه أي أحد اخر، وحتى ان فعلوا لكنه يبقى متفوقا على الجميع بخفة دمه ولطافته ومرحه ومزاحه مع الجميع ولكن ليس مع كل واحد لانه وهذه من محاسن وماثر المازحين لايمزح مع من لايتحملون المزاح. خاصة عندما يكون المزاح ثقيلا او مزعجا، رغم ان كاظم لم يكن يمزح الا بما يسر ويفرح وكانت معظم نكاته وقفشاته على أبناء بعض طبقات الشعب وعندما انتقده البعض قال:

ان هذه حقيقة ثابتة, ولماذا نحاول انكارها لقد ظل أبناء مدينة بغداد مثلا يسخرون ويمزحون ويعملون المقالب مع أبناء المحافظات الوافدين الى العاصمة في البداية لمراجعة الأطباء او التسوق او زيارة اقربائهم وكان البغداديون أحيانا يقسون على هؤلاء الذين كما تعلمون ومعظمنا جاء من خارج العاصمة لهم تقاليد تختلف عن تقاليد بغداد وان اهل بغداد يعتقدون انهم اكثر نباهة واكثر ذكاء من أبناء المحافظات لانهم يعتقدون وهذا صحيح انهم قد سبقوهم بالتعلم فاول المدارس والجامعات والكليات فتحت في بغداد وأول من عمل لدى الدولة وأول , قاطعه شاكر,

- وأول هذه المقالب....
- وخره بشرفك، رد كاظم، ومنها وليس أولها ان أحد أبناء النواحي في جنوب العراق وصل الى بغداد لقضاء عمل ما وعندما أراد العودة توجه الى كراج العلاوي ليصعد في السيارة المتجهة الى مدينته فراى بائع صمون حار فاشتهاه لاهله وراى بائع الشعر بنات فتعجب منه واشتراه بعد ان قالوا له انه يؤكل وهو طيب

واخبروه بان يضعه في الصمون الحار ووضعه الرجل كما قالوا ولما وصل الى اهله واخرج هديته لهم فتحوا الصمون ولم يجدوا شيئا فقال الرجل على الفور

- خرب عراضكم اهل بغداد يامناعيل الوالدين انطوني الصمون فارغ
- ولكن هذا ليس مقلبا، رد أحد النزلاء هذه سذاجة وعدم معرفة من قبل الرجل القادم من الجنوب
- نعم ربما ولكنها طريفة على اية حال، رد نزيل اخر
- وتابع أحدهم:
- انني كنت اتابع تطور هذه النكات التي بداها البغداديون مع أبناء المحافظات خاصة أبناء المدن الجنوبية الذين كانوا يحرصون على الالتزام بلبس العقال العربي، حيث يبدؤون الطرفة بعبارة اكو واحد معكل أي لابس عقال التي تحولت بعد ذلك الى اكو واحد كردي ثم اكو واحد دليمي وهكذا, مقلدين ربما ماكان يفعله أبناء القاهرة بابناء الصعيد

كان النزلاء من سكنة بغداد رغم اختلاف اصولهم العشائرية ومذاهبهم الدينية وثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم فقد علمت بمرور الوقت انهم كلهم عرب وكلهم مسلمون ولكن بعضهم من المذهب السني والبعض الاخر من المذهب الشيعي والشيعة يتبع بعضهم هذا المرجع فيما الاخرون يتبعون مرجعا اخر. وكانت تجري بينهم غالبا خلافات ومشاحنات لايخلو منها كما اعتقد أي مجتمع تتنوع فيه الأديان والمذاهب وأحيانا حتى التقاليد والعادات كما يحدث دائما في مجتمع الولايات المتحدة الامريكية حيث العنصرية هي الطاغية في الغالب على معظم الخلافات تليها الخلافات الدينية بين اليهود والمسيحيين والمسلمين او بين اتباع المذاهب في كل ديانة خاصة بين المسلمين الذين حرصوا على نقل خلافاتهم التي لاتنتهي الى المجتمعات الجديدة التي وصلوا اليها اما بالهجرة او اللجوء.

لكن النزلاء جميعهم كانوا يتفقون على شيء واحد كان هو السبب او العنصر الوحيد الذي يوحدهم ويجمعهم في مكان واحد بدون سب او شتم او إساءة. كان هذا الشيء الذي لايدوم أكثر من ساعة او ساعتين هو الذين يخدرهم وينقلهم الى عالم القناعة والرضا والامتنان هذا الشيء هو الاكل, والعراقيون يحبون ويعبدون الطعام اكثرمن حبهم وعبادتهم لله سبحانه وتعالى كبارا وصغارا نساء ورجالا فقراء او اغنياء الكل كان يحب الاكل. كان الاكل هو الشيء الوحيد الذي يجعلهم طيبين وهادئين ومرحين ولطفاء ومؤدبين ونعسين وهنا فقط في هذه اللحظات فقط ليس قبل اول لقمة ولكن منذ النظرة الأولى وقبل ان تمتد اليد والاصابع المتمرسة ذات الخبرة الاصيلة وهنا وفي هذا الوقت تستطيع التحدث مع صاحب اليد في نظرية الاوتار او نظرية المؤامرة وتقنعه بان الرئيس الأمريكي اغتيل بسبب عدم موافقته على حرب فيتنام وعدم دخوله الحرب مع الاتحاد السوفيتي وان المالكي لايصلح للحكم ولاعمار الحكيم ولاهادي العامري ولا جماعة الصدر وان الديمقراطية في العراق فاشلة تماما ولم ولن تنجح واننا في العراق نحتاج الى اخ كحبه ليحكمنا كما نريد عملا براي معاوية بن ابي سفيان عندما نصح ابنه يزيد وهو على فراش الموت انه اذا جاءك اهل العراق يسالونك ان تولي عليهم اميرا كل يوم فافعل. ترى هل اوصاه بان يقتل الامام الحسين بعد ان تكفل هو بقتل الامام الحسن وتكفلت قطامه بقتل امير المؤمنين عليه السلام؟ هنا ستقولون بأنني طائفي.

عندما صعد الجبل الذي ظل يتسلقه كل ليلة وكل يوم على مدى خمسة عقود عندما كنت اتنفس عطره الذي اخبرته ان يضع منه كلما نام الى جانبي عندما حاول ان يبعد فخذي ليتخذ وضعية المحارب قال:

- ستشعرين بتعبي
- مازال كرشك صامدا
- ولكني هزلت وضعفت كثيرا كما قالت تلك القحبة قبل قليل
- دعني اتلمس طيزك
- لاتضحك مازلت أدعوك أبو طيز

- حاولي معه افركيه
- بلا جل
- بلاجل
- حاول ان لاتفكر بالامر
- أصبحت خبيرة ها
- الحرمان يعلم
- سبعة وعشرين شهرا تقولين انا نفسي لم أعدها قط لم أفكر بها لم أفكر كما مضى او كم بقي لي كم بقي يعني الماضي وانا لااريد ان أفكر بالماضي
- حتى انا. انا ماض حلو كنت تقول
- انت الحاضر دائما وابدا، كنت أفكر بك دائما
- تفكر بلحظاتنا؟
- أحيانا، ولكن بك دائما،
- سمعت إنك كنت تحاضر للسجناء والموظفين
- طبيب يداوي الناس وهو عليل
- هل تعلم؟ ان الذي كان يزعجني فعلا هو معرفتي إنك لم تكم سعيدا هناك.
- لكنني كنت مرتاحا الم اخبرك بذلك؟
- ماذا تقصد بانك كنت مرتاحا؟ سعيدا يعني؟
- لا لا اتحدث عن السعادة، لا أعني السعادة، ولكن الراحة
- راحة البال مثلا؟ كما كنت تفعل يوم الخميس من كل أسبوع. لان غدا هوالجمعة. بلا عمل. بلا مسؤوليات. كما كنت تقول
- نعم. بلامسؤوليات، بلا التزام، نعم كانت هناك التزامات من نوع ما، ولكن
- ولكن ماذا لقد كنت مسجونا، محبوسا، مقيدا. غير حر. بماذا كنت تفكر؟
- اعرف ان الامر يبدو غير معقول لك، ولكن

- بماذا كنت تفكر؟، ماالذي حدث لك؟ هل كنت تتفلسف هناك؟ من وضع هذه الأفكار في راسك؟ هل كنت مرتاحا لانك نجحت في فلسفة هذه المحنة؟
- ابعد كرشك قليلا ودعني انظر في عينيك؟ هل تظن انني استوعبت موضوع السرطان؟ الذي نجوت منه باعجوبة؟ الا ترى انه لا يقف؟ لايريد الانتصاب. انت متوتر. تفكر كثيرا، وهذا لاينفع، عجوز ويفكر ومتوتر، لايمكن ان ينتصب ابدا. لناجلها الى وقت اخر.
- حسنا، ولكني لست عجوزا جدا، ليس تماما، ولست متوترا كثيرا
- لماذا لا يقف اذن؟
- سيقف عندما يشاء وعندما يريد.
- انا اشعر بالجوع، مارايك ان نذهب الى المطبخ ونخرج بعض لحم على شيش؟
- Bastrama de corcan وخردل وخبز شعير وكاباتشينو
- وربع حبة زرقاء، ولاتقل لا
- Never say never again
- أي، حل مؤقت.
- وسريع.

وبينا انا اقرا في اخر كتاب احضرته لي زوجتي سمعت صوتا يشبه الغناء صوتا منفردا لم يكن عاليا جدا ولا خافتا جدا كان يمكن ان اسمعه بوضوح من غرفتي التي لم تكن بعيدة جدا عن باب القاعة التي يفتشرها اقل من ثلاثين شخصا ولكنني رغم طربي وافتنناني بالصوت واللحن الجميل كنت وهذه عادتي اطمع في معرفة كلمات اللحن فقمت من مكاني ولبست نعالي ابو الاصبع الذي اشترته زوجتي من محل O3 بداية شارع الربيعي من جهة شارع فلسطين واذكر انها اخبرتني انها اشترت زوجين من هذا النعال واحد للمعتقل والاخر للبيت كانت امالها كبيرة بخروجي من المعتقل وربما ظلت تقنع نفسها والاخرين

بقرب خروجي وتسال بعض اقاربنا هل هناك يوم محدد لخروج الموقوفين والمعتقلين؟ ويسالونها ليش؟ ولماذا؟ تقول حتى اكون متهيئة تقصد انها يجوز ان تاخذلها خوطه ع البيت من تنظيف ومسح وترتيب وتبديل ملاءات واخراج الصحون الخاصة بالضيوف مع الملاعق والسكاكين والاشواك والاهم من ذلك الصحن الخاص بي والذي لم اكن اكل في غيره مع الملعقة ذات اليد الحمراء التي احضرناها من سويسرا بعد ان تخليت عن ملعقة الفضة التي احضرتها معي من رومانيا بعد ان قرات انه لايجوز الاكل بملاعق الذهب والفضة لكنها كانت تذكر لهم كل شيء يخص المنزل ولا تذكرنفسها ابدا وبعد ان وضعت قدمي في النعال الجديد خطوت بتمهل وتوءدة املا ان اصل الى باب القاعة والمطرب لازال يعيد في المطلع الذي يقول

ع البانية وع البانية.. يابو بنات ثمانية

وع البانية وع البانية.. يابو بنات ثمانية

وكان الصوت صوت كاظم ابو حيدر كما توقعت وظل يعيد المطلع كأنه كان ينتظرني او يريدني ان أشبع منه قبل ان ينتقل الى المقطع الثاني

ع البانية وذب روحك.. هيه التطيب جروحك

وع البانية وذب روحك.. هيه التطيب جروحك

واستمر وبنفس النغمة ولكن بشيء من السرعة الخفيفة

تكطع بجيك ونوحك.. تكطع بجيك ونوحك

وتوصلك الالمانيا

وقبل ان اصيح الله وقبل ان اهم بالدخول لاحتضان كاظم على هذه المبادرة الحلوه صاح شاكر وهو يهم بدخول القاعة حاملا صفطة كبيرة من الخبز العراقي الذي احضره أحد الحراس الذين توسلوا اليه ان يجلب لهم من الخباز القريب عددا من ارغفة الخبز العراقي المعروف بالخبر الابيض او خبز مي مع كيس نايلون مملوء بالبصل الابيض وحتى بعد ان راني شاكر احاول ان ادخل استمر قائلا

ـ انت والبانية شكجا مرحبا اي ماعلاقتك انت والبانية ياكاظم وانت تكول اني من الكاظمية يعني اكلكم كله شجر اي كوسه بالمصري

والسوري وان اخوض في تفاصيل ماحدث خلال الثواني التي تلت هذا التصريح الذي تفضل به الرفيق شاكر الذي ضيع علي فرصة التمتع بهذه اللحظات العراقية الثمينة لان كل من كان في القاعة هجموا على كاظم ليمنعوه من افتراس شاكر الذي وصل الى مكان قدر البانية الذي كان يشرف عليه احد الاختصاصيين بخطوات تشبه القفز بعد ان لمح بطرف عينه تاهب وانتباه واحتقان عيون كاظم الذي هجم عليه الاخرون وابقوه جالسا في مكانه حيث منعه غضبه من النطق باية كلمة تجاه شاكر ولما رايت ان الامور كانت على مايرام سحبت نفسي عائدا الى غرفتي بنعالي الجديد وانا اسب والعن شاكر في سري وصارخا بغضب fuck

ومن غرفتي التي لاتبعد كثيرا عن القاعة جاءني صوت جهوري واضح وهو يقرا فيما يشبه الشعر قصيدة ربما ولكن ليست من الشعر العمودي انها شيء اخر اردت ان اقوم كالعادة لارى ماذا يحدث حيث كانت بعض الكلمات تصل الى مسامعي واضحة كانه يجلس امامي ويقرا وفكرت بسرعة انه شيء مالوف سبق وان مرت علي هذه الكلمات كاني سمعتها الاف المرات يالهي هذا صوتي وهذا جرحي انه المي اي نعم انه المي ووجعي على لسان شخص اخر شخص ربما يكون مجروحا ومهضوما مثلي انه يقرا بصوتي انه صوتي انا انه يقرا مثلي يتحدث عن نفس الجرح عن نفس الالم انه انا انه يتحدث عني يجب ان انهض واذهب كما كل مرة لاسمع بوضوح اكثر ولكن فيما انا اهم بالنهوض وقبل ان اضع رجلي الكبيرة في نعالي الجديد الذي اشترته زوجتي بعشرة الاف دينار من محل O3 اطل علي كالفرح الصادق العزيز كاظم ابو حيدر وهو ضاحك مستبشر فرح وسالني قال سمعت استاذ انه انت اليس كذلك انه اسمك لم نتمالك انفسنا عندما بدا الدكتور موسى بالقراءة سالنا ونحن متلهفين للمزيد من الشاعر من الشاعر انه اسمك نحن نعرف اسمك الكامل كان الدكتور مهدي فرحا بقراءة هذا النص لا اعرف كيف حصل عليه لاني لم اكن بدات بالنشر فعلا وانما كان النشر

مقتصرا على موقعي الشخصي وصفحتي الخاصة بالشعر في الفيس بوك قبل ان اغادره للتفرغ للكتابة قلت لكاظم الذي كان مرتبكا بسبب سعادته واكتشافه انني صاحب هذا النص قلت استاذن من الدكتور موسى ودعني اطلع عليه قال حاضر استاد وقفل عائدا الى القاعة وماهي الا لحظات الا وكلاهما مهدي وكاظم ومن خلفهما حفنة من النزلاء الذين ارادوا التاكد من انني صاحب هذا النص وقبل ان يقولوا او يصرحوا باي شيء خاصة الدكتور مهدي الذي وجد الكنز قلت دكتور لديك صوت رائع اين كنت طيلة هذه المدة المرة القادمة ساطلب من زوجتي احضار ديوان الجواهري لنتمتع بصوتك الجميل وبسبب خجله وارتباكه ودفع ومزاحمة الاخرين له عند الباب لم اجد نفسي الا وانا احتضن الدكتور مهدي الذي انهال علي تقبيلا ولثما وانا احاول ابعاده قليلا خشية العدوى لاني لم اكن اطمئن لنظافة السجن خاصة ايام الحر ولكني انتبهت لنفسي وخجلت من تصرفي وقمت بالطلب من مهدي ان يجلس على الكرسي الوحيد المتهالك امام سريري وقلت له تخيل انك صاحب هذا النص فاقرا ارجوك دكتور وقرا

اشربوا معي
نخب
حريتنا الزائفة المتقلبة
وحريتنا التي نفقدها كل يوم
وحقوقنا المستلبة
نخب نصب الحرية الصامد ابدا
خلف حمامة السلام
نخب الزوجة الطيبة
ومحاولاتها البائسة للسيطرة
بعد نصف قرن من العذاب
على فراش المتعة المستديمة
نخب

اولي العزم
الذين لم يبلغوا رسالاتهم الا بالتهديد
نخب ملوك الجزيرة الفاسدين
نخب
الصليب الذي احمله على ظهري منذ نصف قرن
ولا أجد من يصلبني عليه
نخب
زوجاتنا الغاضبات
وعشيقاتنا البريئات
نخب
جرح قديم
لايريد ان يندمل
نخب
روحي التي تتسكع على ارصفة الحزن
واحزاني التي تمسح روحها على شبابيك الغربة
على خيبتي المستمرة
وسوء حظي
ورغبتي في البكاء
وشعوري
باني فائض عن الحاجة
مثل ذكر النحل
على مصيبتي التي تتكرر كل يوم
وموتي الذي يتاخر دائما
على فراشي البارد
وغرفتي المشوشة
على خطيئتي التي اقترفها كل يوم
وخطيئتي التي لم اقترفها بعد
وخطيئتي التي نسيتها

والتي لا اريد ان انساها
على امراة اريدها كل ليلة
امراة تذكرني باني لم ازل ملعونا
على جنودنا الذين لم يذهبوا الى الحرب
وجنودنا الذين لم يشاركوا في حرب التحرير
وجنودنا الذين شاركوا في حروب الطائفية
اشربوا
نخب العراق
وسقوط الحضارة في بغداد
نخب الاخلاق
التي هاجرت قبل ان يهاجر الينا اولاد الزنا واولاد الكلب
اشربوا
نخب
بطنها قبل ان يحتلها السكري
قبل ان تقول لي كل يوم
لماذا كبرنا؟
اشربوا
نخب
ديك الجن قبل ان تظهر براءتها او
اشربوا نخب
وضاح اليمن قبل ان يدخل صندوقها
اشربوا نخب كتاب الالم
وكتاب الرمل
او اشربوا نخب
مكتبتي التي بعتها من اجل حذاء جديد
اشربوا
نخب ايامي الاخيرة
في عقد الستينيات

قبل ان تقول لي سيدة ارمنية
بعدك زغير

اشربوا نخب
امراة العزيز
وامرة قالت لي هيت لك
وقلت لها معاذ الله
اشربوا
حتى يطلع فجر جديد

اشربوا
نخب ام الفستان الاحمر
قبل ان تفقد عذريتها على ارصفة الباعة المتجولين
اشربوا
نخب وجدي الذي يقتلني كل يوم
وشوقي الذي يحاصرني
ورغباتي التي تستفزني
وموتي
الذي ياتي ولا ياتي
على صراخي الذي لايسمعه أحد
وصمتي المفضوح
على رجل يصرخ بي
اصعد
انت في سفينة نوح
على جرحي الذي لايشبه الجروح
وروحي التي ظلت تنوح
اشربوا
نخب

بغداد التي تستطيع ان تفعل فيها اي شيء
باستثناء ان تكون شريفا
اشربوا
نخب
مستقبلي الذي أصبح قريبا جدا
وقصيرا جدا
ومملا جدا
على وحدتي المليئة بالمفاجات
على ابوابي المغلقة
وصراخي الذي لايسمعه أحد
على طيبتي
التي تصرخ بي كافي

اشربوا
نخب
مدينتي الفاضلة
الضائعة في صحراء الربع الخالي
اشربوا
نخب
عاهرات المونديال
القادمات من اجل السلفي
ومن اجل قبلة مجانية او شو شنو المجاني
على ضربة الجزاء التي ضيعها ميسي
وفرصة الفوز التي ضيعها العرب
وعلى الغضب
الذي يجتاحنا بلا سبب
علاء العبادي

***

وكنت اسمع وعلى مدى اقامتي هناك عددا لايحصى من الشتائم والسباب مثل خره بصدام التي كنت اسمعها كثيرا وخره بالبعث وطز بالحزب واخيرا خره بالمالكي وخره بالعامري وخره بالعبادي وطز بالحكيم وخره بالوقف الشيعي وخره بالوقف السني وخره بالديمقراطية والاحزاب والبرلمان والوزير الفلاني والوزير الفلاني وطز بامين بغداد ووزارة الصحة ووزارة المهجرين والمهاجرين وعدد هائل من الشخصيات والمؤسسات العراقية وكنت عند كل سباب اسمعه او شتيمه اقفز من سريري لاضع قدمي في نعالي الجديد الجوزي الذي اشترته زوجتي من محل O3 بمبلغ عشرة الاف دينار محاولا قدر الامكان امتصاص غضبهم واسكاتهم خاصة بوجود الحارس ابو مشتاق الذي ظل يبحث عن ذريعة لابتزازهم ماليا واحثهم على عدم مناقشة اي شيء يتعلق بالسياسة ووضع العراق وان يلتهون بالطوبه والقفز العالي والسلة وغيرها او ربما بالغناء مارايكم بالغناء؟ الابوذيات مثلا او الدارميات الستم تحفظون الكثير منها دعونا نعمل مسابقة في احسن دارمي واجمل ابوذية عليكم بالابوذيات والدارميات خاصة الابوذيات الفرحة والتي تتحدث عن السعادة والفرح

- ولكن استاد لاتوجد ابوذيات تتحدث عن الفرح والسعادة الابوذيات استاد خاصة بالحزن
- الحزن العراقي
- نعم لاباس غنوا بحزن لاباس ولكن بعيدا عن كل مايثير الغضب لان الغضب غير جيد
- غير جيد للصحة؟
- أي شاكر الغضب غير جيد للصحة
- استاد ليش مانغني ع البانية، كان ذاك يوسف قالها ببراءة وصدق

- نعم غنوا على البانية وعلى التشريب والتبسي
- والباجه
- والباجه، وكان أحدهم يحدق في نعالي الجديد الذي اشترته زوجتي
- مبروك النعال الجديد، استاد
- مبروك استاد. يبين خوش نعال. ولم ينقذني من هذا النقاش الا دخول أبو مشتاق مناديا باسمي.. استاد، المدير يريدك. وتلك كانت اول مرة يريدني مدير السجن، لماذا؟ لا اعرف، ولم يخطر على بالي مايريده المدير، لانني كنت مهتما بمتابعة وجوه وعيون اقل من ثلاثين نزيل تخلوا عن كل شيء حتى الذين كانوا في اخر القاعة ترك مافي يده والتفت اتجاهي كان الجميع ينظر الي ولكن لم يخرجنا من صمتنا الذي خيم علينا الا صوت يوسف
- خير ان شاءالله، وصاح الجميع وبصوت واحد
- خير خير

وقبل ان أقول لابي مشتاق انني حاضر للمقابلة سمعت أحدهم يقول وبصوت صادح

- صلوا على محمد وال محمد

كانت مقابلة مدير السجن كارثية دائما الا في حالات معينة، قبل ان افكر بشيء يخص المدير، قررت وبسرعة ان اخلع خاتمي واخفيه في جيب السروال الى جانب المسبحة الكهرب، كنت اعرف ان أبو مشتاق سيسطو على غرفتي يقلبها راسا على عقب ولن يجروء احد على منعه او الاعتراض، بعد ان اطمنيت ان اصابعي خالية من الخواتم، نظرت الى مؤخرة أبو مشتاق الذي بدا بتسلق السلم الموزائييك بكل مايملكه من هيبة زائفة ووقار مصطنع كانه يستعرض حرس الشرف، كنت افكر بسرعة الضوء، ماذا يريد المدير ياترى؟ بعد مرور سنتين من دخولي المعتقل، ماذا يريد هذا الامعه الفارغ؟ لابد ان مالديه يتعلق به هو، لانه عادة مايقوم بارسال أبو مشتاق او احد العاملين معهم

الى الاخرين اذا كان هناك ثمة تبليغ او امر ما، ونادرا ماكان يستدعي أحدا او يطلب مجيئه اليه، الا اذا، نعم هذه هي، الا اذا كانت لديه مصلحة مع هذا الشخص، نعم انها هي، كما حدث مع دكتور صفاء الذي حاول ابتزازه باي شكل من الاشكال، قبل ان يخبره بخبر اطلاق سراحه، ولا ادري كيف ملص الدكتور صفاء منه؟ ربما أخبرني ونسيت، هل يحاول ابتزازي؟ وصعقت.. يارب هل سيطلقون سراحي؟ هل ساخرج؟ لم أفكر سوى بزوجتي.. من الغباء ان تفكر بشيء او شخص اخر. لم يكن لدي سوى زوجتي. كنا بدون أبناء. كنت أفكر فيها أينما كنت، وانا أفكر بها الان ولا أفكر باطلاق سراحي، ولكن.. دخل أبو مشتاق قبلي بعد ان فتح باب غرفة المدير بطريقة مسرحية معروفة عنه هي مزيج من التذلل والتملق، شعرت بالاشمئزاز من رؤية المكتب، كان فخما جدا، وكان المدير يتحدث في الهاتف ويقول مواصلا حديثه مع الطرف الاخر..

- اوكي اوكي اطمئن.. طبعا طبعا بلا شك.. يمعود.. تتدلل ولايهمك.. صار وتؤمر امر. بس عليها عزيمة.. ممنون.. ماتقصر.. كفو.. سلم لي.. يوصل.. اغاتي.. حبيبي.. مع السلامة.. مع السلامة..

وبقيت واقفا متسمرا في مكاني وعلى شفتي ابتسامة خبيثة حاولت ان اخفيها بتعبير وجهي الكئيب كان ينظر الي عندما بدا سلسلة المحاباة والتملق والسفه.. وحالما وضع سماعة الهاتف الأرضي وهو لايزال ينظر الي، صاح بابي مشتاق بعصبية واضحة.. شكرا خالد.. اخذ راحتك.. اهلا استاد

- تفضل ارجوك أستريح، وخرج خالد أبو مشتاق وليته ماخرج لاني لم أكن مرتاحا لوجودي مع هذا السافل ابن السافل الذي لايتورع عن ابتزاز امه لوشاء. كنت أكره وسائلهم وطرقهم العجيبة ولكن الكريهة في التعامل مع الاخرين، كنت اشعر بالمهانة والاحتقار وانا انظر اليه، كان ممتلئا وبصحة ممتازة

يعتني كثيرا بجسمه الرياضي طويلا جدا وانيقا أكثر مما يجب والرائحة العطر، العطر، كان مدمرا لم يكن عطرا رخيصا، لم اتعرف عليه، لكني احببته، عطر راقي، كنت أكرههم. لم أكن أكره المدير شخصيا، لقد كنت أكره واشمئز من المنظومة التي ينتمون اليها ويمثلونها، لانها كانت تضم كل القذارات التي يلقي بها البلد، طماعون وجشعون ومتوحشون وقتلة وسفاكي دماء ومبتزون ومستغلون وقوادون وحقراء وتافهون وغير متعلمين وحاقدين على كل ماهو شيوعي وكل ماهو مثقف، اذا اصطحب اخواته المتعبات من الدراسة والتهيوء للامتحانات النهائية الى مدينة الألعاب السندباد قال له عمه المتخلف ... شنو صاير مثقف؟ كنت أكره واحتقر ولا اطيق هذه المنظومة. كنت احتقر حاملي الدكتوراه والماجستير بالاخص. لأنهم كانوا يمثلون التخلف والابتذال والجهل غير الأكاديمي بكل معنى الكلمة. لذلك لم أستطع التفكير مطلقا بالانتماء الى هذه الفئة البائسة الا إذا اضطررت لذلك تقية لاغير.

***

وكنت كلما تذكرت واشتهيت الكابتشينو انهض من سريري واتمشى في الممر الذي يبدا من باب غرفتي الى الحمامات وحيث على يسار باب الغرفة تقع غرفة الحرس وعندها يبدا سلم الطابق الثاني وفيما كنت اخطط وأفكر بان اطلب من زوجتي ان تاتيني ببعض الاكواب الخاصة بالكابتشينو سمعت أحدهم يهبط السلم بسرعة فائقة وكان ذلك هو محسن الذي هبط قفزا ليكون عند باب الحرس متجاهلا وجودي ومحاولتي الاستفسار عن الامر لكني سمعته يخاطب أحدهم

- فاضل المدير يريدك
- شيريد
- ما أدرى بس يبين الطاوة محروكه كوم بسرعة تحرك

وقام فاضل الذي كنت اسميه التافه منذ اليوم الاول لدخولي المعتقل عندما صاح بنا انا واحد اصدقائي الذي جاء بي بسيارته الشخصية لايصالي الى السجن

- اخونا... صاح فاضل.. ممنوع الوقوف هنا تحرك طلع السيارة

وتحرك صاحبي الذي كان ينظر له بمراة السائق وهو يقول يالها من بداية انه صباح رائع اليس كذلك

ماذا تتمنى الان؟ ها

لم اجبه ثم تذكرت، بل قل ماذا تشتهي..

- فجر يوم جديد وخبز العباس وليتنا في محرم

كان فاضل أتفه الموجودين واكثرهم حقارة بعد ابو مشتاق كان لئيما وحاقدا ومزعجا جدا لكنه لم يكن غبيا, جاهلا ربما, ولكن ليس غبيا لا لم يكن غبيا كان ضخم الجثة عملاقا ولكن بملامح عادية جدا لم يقرا اله المتاهة ولم يسمع بكولن ولسون كان يمر علي احيانا يتصنع الطيبة والحرص والاهتمام لكنه كان واضحا جدا لقد كان خادما لمدير السجن يلبي كل طلباته مثل

- نادي على فاضل لينظف التواليت او,

- صيح فاضل خلي يصبغ حذائي الخ

وكان فاضل يلبي كل طلبات المدير ومنها انه كان يرسله يوميا لياتيه بمشتريات البيت من لحم ودجاج وطماطم وبطاطا وبصل الخ

وذلك بعد ان قام المدير بمنحه سلفة مستديمة يصرف منها لمشتريات ومتطلبات المدير التي كان تشمل كل شيء بما فيها اخذ ملابسه وملابس البيت الى المكوي بين حين واخر او تصليح سيارته وسيارة زوجته بين الفينة والاخرى لم يكن المدير يقبل ان يقوم أحد اخر بتلبية احتياجاته الشخصية وكان يغضب عندما يقوم ابو مشتاق الذي كان يتصرف كمعاون للمدير بارسال شخص اخر لانجاز مهمة للمدير بدلا من فاضل لان ابو مشتاق لم يكن على ود مع فاضل لسبب ما

ولم ارى فاضل وهو يصعد السلم لاني كنت قد دخلت غرفتي محاولا بطريقة او اخرى تجاوز رغبتي بشرب القهوة التي كانت قد نفدت تماما

لدينا ولدى الحرس وفيما انا احاول ان اتمدد على السرير سمعت صوتا خافتا كانه صياح ولكن صوت بعض القهقات غير المكتومة كان واضحة جدا فقمت ووضعت قدمي مرة اخرى في نعالي الجوزي ابو الاصبع الذي اشترته زوجتي من محل O3 بمبلغ عشرة الاف دينار وخطوت خطوتين هي المسافة كلها بين سريري وباب الغرفة ومددت راسي لارى كل الحرس متجمعين عند باب المكتب وعيونهم شاخصة الى اعلى السلم عارفين ان الصوت هو صوت مديرهم القادم من غرفته في الطابق الثاني وفي مقدمتهم محسن وقد بدا عليه وعليهم علامات الرضا والسرور والابتهاج بل وربما علامات التشفي لانهم سمعوا صياح المدير مخاطبا فاضل...

- اخ الكحبة ليش اني مقصر وياك بشي؟ كواد ابن الكواد اكو واحد صرف عليك وعلى مرتك الكحبه, وهنا اختفى تقريبا صوت المدير وصراخه المتواصل على فاضل لان احدا ما ولابد ان يكون فاضل نفسه قد اغلق الباب التي صممت لحجب الصوت تماما وكان تعبير وجهي حياديا تماما لكنني لم اتمالك نفسي لاسال
- خير شكو شبيكم؟ وهي عبارة كما ترون وكما قررت حيادية جدا ليس فيها اية اشارة للمدير او لفاضل او حتى لمايجري في الطابق الثاني وعندما حاول محسن ان يفتح فمه قام احدهم بقرصه ودفعه بغية اسكاته خوفا ان يتطور الامر الى سيل من الاعترافات التي اشتهر بها محسن الذي كان كثيرا مايعاقب لافشائه اسرار السجن وخاصة مايحدث في غرفة المدير كان محسن يعرف الكثير ليس بحكم قرابته من زوجة المدير ولكن لان احدا لم يكن يراه. كان محسن غير موجود في نظر الاخرين لذا لم يكن احد يعيره اي اهتمام وقد روى لي الكثير من المعلومات والكثير منها كانت اسرار حرصت على ابقائها لنفسي وعدم التفوه بها او ذكرها امام احد. قال محسن: استاد امس بالليل بعد رزالة المديرلفاضل كنت في الغرفة انظف بعض محتوياتها بناء على طلب المدير ويبدو انه بعد مضي بعض الوقت لم ينتبه

لوجودي وقام بالاتصال باحد اصدقائه كما يبدو وسمعته يقول له

- نعم نعم كما قلت لك هذا الكواد فاضل كان يعمل قوادا على امراته ويرسل من يدفع له الى بيته لمضاجعة زوجته العاهرة كأنه نسي او تناسى المبالغ التي كنت اعطيها لامراته القحبة ومثاقيل الذهب التي كانت تشتريها ومشترياتها التي كنت البيها دائما وطلباتها التي لاتتوقف واخرها طلبها بالسفر الى تركيا لترى الشيف مال طيزي
- شيف بوراك
- اي زربان شيف باراك
- بوراك
- اي هو هذا الشيف التركي، وراحت لمدة اسبوع مع اختها وقبلها سافرت هي وامها واختها الى لبنان وعندما سألتها لماذا لبنان؟ قالت بسبب تدهور الليرة اللبنانية وقلت لاباس خلي تروح وراحت العاهرة بنت العاهرة ومن مكان ما في لبنان كتبت لي لاحول لها بضع مئات من الدولارات وكانت غاضبة ومنفعلة ومتذمرة
- يكولون الليرة متدهورة شو بعدها اسعارهم معلكه وملابسهم غالية
- كتلها مو لبنان كلها ماركات انت ماسامعه بيها ثم من قال لك ان تدهور اية عملة يعني هبوط الاسعار ورخص المواد

ولكن في النهاية لانها كانت بقره والبقر لايفهم في هذه الامور حولت لها ماتريد

وتالي يقوم كوادها ابن القحبة بعرض كس زوجته العاهرة بنت العاهرة على بعض من يعملون عندي تصور

- ابو مشتاق
- لا شحده ابو مشتاق غير اطيح حظه
- لعد منو

- ياسر وعمر الاول ارسلته الى سجن الحلة والثاني ارسلته الى سجن بعقوبة
- وفاضل ماذا ستفعل به
- بسيطة ولايهمك، أسلط عليه ابو مشتاق ينيج اخته.

لا أدرى كيف تذكر محسن كل هذا الحوار خاصة الحوار الخاص بتدهور الليرة لان محسن كان طفلا لايعي او يستوعب مايقال له او مايحدث امامه.

وكان في القاعة جهاز تلفزيون بائس قديم يتابعون فيه نشرات الاخبار والبرامج الرياضية ليس من اجل الاخبار نفسها ولكن من اجل مذيعات التلفزيون الفاتنات وكنت اجلس معهم احيانا عندما نسمع ان هناك خبرا مهما سيذاع اليوم وكنت اصغي الى التعليقات والهمس كلما اطلت احدى المذيعات بوجهها الجميل الممتليء وعينيها الكحيلتين وشفاهها الحمراء وشعرها الاسود المنسدل فوق كتفيها كنت انظر اليهم خلسة كانوا يحدقون فيها كانهم لم يروا امراة من قبل كانوا يشتهونها ويتصاعد هذا الاشتهاء وتتزايد الرغبة بها كلما عادت المذيعة الى الشاشة بعد الخبر المصور وكانوا يتابعون وبكثير من الحرص والاهتمام كل المسلسلات والافلام العربية ولم يكن احد منهم الا قلة من يتابع مثلي الافلام الاجنبية التي كان تلفزيون بغداد يعرضها مساء يوم الاحد من كل اسبوع .قال احدهم

- هاي واكفه هيجي لعد لو تنام شلونها؟ وكانت مذيعة النشرة الجوية تحاول وتتعمد عرض مؤخرتها كلما استطاعت لذلك سبيلا وكانت مؤخرتها رائعة وكنت كلما نظرت الى مؤخرة امراة ما تذكرت راي الطبيبة الالمانية التي قالت في دراسة بحثية ان نظر الرجل الى مؤخرة المراة يقلل من توتره او شيء من هذا القبيل وكان هذا الراي حجة لي للدفاع عمن ينظرون الى المؤخرات. وكان أحدهم كلما استدارت المذيعة باتجاه شاشة العرض التي توضح تفاصيل المناخ والطقس همس لمن حوله

- بغداد كبرانه.

كنت اود لو يقول لي الطبيب ستكون اسعد اذا تناولت هذا الدواء بدلا من هذا الدواء, انهم لايفعلون ذلك, لماذا لايفعلون ذلك؟ لماذا لايقول لي الطبيب صدقني ياسيدي انك ستكون اسعد بكثير فيما لو تناولت هذا الدواء انه حتما وانا متاكد مما اقول سيجعلك اسعد مما لو اخذت هذا الدواء لم اسمع احدا من الاطباء يقول ذلك كنت ارى احد الاطباء الشباب ياتي غالبا الى السجن لعلاج او معاينة احد الموقوفين لكني لم احتاجه قط خلال مكوثي في المعتقل رغم ان لي تاريخا طويلا مع الاطباء ومنذ ان كنت صغيرا كنت اتعرض الى ازمات صحية كانت كلها اما بسبب اللوزتين اللتين تخلصت منهما اخيرا قبل ان ابلغ الثلاثين عندما بدات بالالتهاب كل شهر او اقل او بسبب مشاكل الانحراف والجيوب الانفية التي كنت اعاني منها كثيرا ومازلت. كنت احب زيارة الطبيب واكثر من ذلك احب النوم في المستشفى ربما لاني كنت احب الزيارة, ان يزورني احد ويجلس معي بعض الوقت وياتيني بهدية ما او طعام كالفاكهة وغيرها. لادري لماذا كنت احب ذلك, كانوا في الغالب يضعونني كما هو الامر الان وانا في الموقف في غرفة وحدي اتمتع بمزاياها التي لاتعجب احدا, غرفة صغيرة جدا بالكاد تتسع للسرير ودولاب صغير من الحديد يكون عادة الى جانب السرير يضعون عليه بعض الاشياء وكرسي صغير ربما لجلوس الزائر او الضيف نعم كنت احب البقاء او ان صح التعبير العيش في المستشفى احب رؤية الممرضات الناعمات الرشيقات السريعات في خطوهن ومشيهن الشاطرات النبيهات يسرعن اليك كمن تسرع الى لقاء حبيب وتلبي كل طلباتك واحتياجاتك كنت انظر اليهن خاصة عندما يقوم الطبيب المختص بالجولة اليومية على المرضى الذين اجرى لهم العملية او من سيجري لهم العملية كن مؤدبات كتومات حريصات على ابداء مظاهر الاحترام والاستجابة الى حركات واشارات وتوجيهات الطبيب وكنت كلما رايت واحدة منهن اتذكر على الفور الرويات والافلام التي

تتحدث عن كفاءة وقدرة وسخاء وعطاء المراة في ساحات القتال ودورها الفريد في العناية بجرحى الحرب والتفاني في انجازمهمتها الانسانية الفريدة باروع واكمل صورة

قال عبد الحميد

- **لاجدوى من الانتظار، هل تعلم، قلت: لماذا**
- **لاننا مازلنا نكبر ونتقدم في العمر، سيكون الانتظار بلا معنى، اليس كذلك؟ إذا كان هناك من شيء يجب ان تفعله، فافعله، إذا كنت تريد ان تخبر احدا ما بشيء ما، فأخبره، سيكون الانتظار بلاجدى، اننا ننتظر النهايات وحسب. النهايات ياسيد, النهايات, قالها واعادها بالم وحزن لم ارد مقاطعته , تركته يقول مايريد , لقد بدا كئيبا ومحبطا, كان وقورا دائما, وبسبب وقاره وهدوئه وصمته , يظنه الاخرون كئيبا او حزينا , لايتحدث مع اي كان , يقول لي لاجدوى يايسوع لاجدوى, ولاني كنت ارغب بالمزيد من احاديثه الشيقة الممتعة , بل المتنوعة دائما, كانت لديه هذه الطريقة العجيبة في طرح واثارة اكثر من موضوع في ان واحد واكثر ماكان يعجبني فيه وفي نفس الوقت يثير غضبي احيانا هو تنقله من موضوع الى اخر دون ان يشعر المستمع له بذلك ولاني كنت مولعا بالمعلومات كنت احاول ان اتذكر هذه القصة وتلك الحادثة لكي اساله عنها مرة اخرى وكان كلما عاد الى تلك القصة تشعبت مرة اخرى الى قصص واحداث ووقائع جديدة ولكني لم اسام ولم امل, نعم كنت اغضب قليلا وكان لذكائه ينتبه الى غضبي وحنقي فيقطع روايته ويقول لاتخف ساعود اليها حالما انتهي من هذه الحكاية, قل لي الان ماتعريفك لكلمة مثقف؟ قلت:**
- **هو نفس تعريف العرب لكلمة مثقف كما اعتقد اخذوها من ثقف اي برى القلم (*وهي تعني في المعجم الشخص الحاذق والفطن والذي يُنسب إلى أهل العلم والفكر) قال وهو يحاول اخراج سيكارة من علبة السكائر والتي اعادها بعد ان اشرت له باصبعي ان التدخين ممنوع***

- هل سمعت بتعريف عباس محمود العقاد، قلت وانا محبط لانه لم يقتنع بكلامي
- لا
- لدى العقاد تعريف لطيف وشيق وذكي لكلمة المثقف
- حقا ' ماذا قال العقاد بهذا الخصوص؟
- يقول عن المثقف: ان يعرف كل شيء عن شيء، ويعرف شيئا من كل شيء

لم استطع تمالك نفسي فصحت الله ياعبدالحميد الله عليك وعلى العقاد هذه اول مرة اسمع بها ان يعرف كل شيء عن شيء رائع رائع جدا ياسيدي لماذا لم اطلع على هذا الراي انه راي وتخريج رائع من قبل العقاد اليس كذلك ساحاول حفظها لتثبيتها في دفتر الملاحظات حال عودتي الى الغرفة كانت حواراتي مع عبدالحميد قصيرة وسريعة ومقتضبة كان حريصا على الانتقال والقفز من موضوع الى اخر دون ان يغمط الموضوع الذي قفز منه حقه في الشرح او التفسير وكنت احب هذه الانتقالات السريعة واحاول جاهدا ان احفظها في ذهني لتسجيلها لاحقا في دفتر الملاحظات لكني لاحظت ان عبدالحميد رجل ذكي فقد انتبه الى قصر مدة الزيارة وان هناك وفي كل مرة واحد او اكثر من زائر يرغب برويتي والحديث معي وفي مقدمتهم طبعا زوجتي التي كما قلت لم تتخلف عن الحضور الا مرة او مرتين كانت فيهما مريضة جدا ويبدو ان عبدالحميد كان حريصا على ان لا يحرم الاخرين ايا كان من زيارتي خاصة وان الزيارة ليست هينة وسهلة تماما فقد كان الزائر ياتي مبكرا جدا ومن مسافات قد تكون أحيانا بعيدة ووسائل نقل غير مريحة وفي ظروف مناخية قاسية احيانا خاصة ايام الصيف العراقي

- ساحدثك عن الجمال ايها العزيز قال عبد الحميد
- سئل مايكل انجلو مرة كيف تنحت الجمال من حجر جامد فرد قائلا انا لا انحت ولكني ارى الحقيقة داخل الحجر وازيل عنها اي شيء اخر

كان عبد الحميد هادئا وعلى محياه ابتسامة رضا وسرور وربما لو كان أحد غيره لاعترته حالة من الغرور والاعجاب بنفسه ولكن ليس مع عبد الحميد المثقف الرزين الذي لاتهمه انفعالات الاخرين او اعجابهم بما يقول لانه يعرف قدر نفسه ويعرف تماما انه متقدم على الجميع بالخزين الهائل من المعلومات التي تحتفظ بها ذاكرته العجيبة اتذكر انني عندما قمت بالثناء عليه واطرائه ومدحه واعجابي بادبه وثقافته ومعارفه المتعددة قال

- انت تعتقد انني مثال للرجل المثقف ولعلك تظن أنك أحد أكبر المثقفين في هذا البلد ولكن هذا غير صحيح يا صديقي تذكر مقولة سقراط
- لااعرف سوى شيء واحد هو انني لااعرف شيئا
- نعم اعرف ذلك واحفظ العبارة تماما واعرف قوله
- تكلم حتى اراك
- هل تتابع الافلام الاجنبية؟
- نعم بالتاكيد انها احدى هواياتي ومصدر مهم من معرفتي ومعلوماتي
- الم تلاحظ كمية مايرد فيها من معلومات عن شعراء وادباء وفنانين ومقولات وعبارات ونصائح وامثال لم نسمع بها من قبل
- نعم صدقت يحدث ذلك معي كثيرا وكلما سمعت احداها اعود الى محرك البحث كوكل لابحث عنها نعم يحدث ذلك كثيرا بل أنى اعود لمشاهدة الفيلم مرة اخرى فقط للاستمتاع بهذه المعلومة اوتلك
- الا ترى، نحن لا نعرف كل شيء ولكننا ربما نعلم أكثر مما يعلمه الاخرون
- الذين لايعلمون شيئا
- او يظنون انهم يعلمون
- نعم نعم صحيح صحيح جدا
- اما انتهى وقت الزيارة؟ بدات اشعر بالجوع.

- دعني اتي لك بشيء من غرفتي قلت هذا بسرعة وبدون تفكير وندمت لاني قلته لاني تذكرت بعد ذلك انني قد ارسلت قطع الكيك والبسكت وعلب الحليب المطعم وكيس كرزات وغيرها الى القاعة بعد ان سمعت ان أحدهم اشتهى نستله بنسبة 85% كاكاو وكانت هذه عادتي انني اعطي كل مالدي ولكن الحمدلله ان أحد الحرس أعلن عن انتهاء الزيارة فما كان من عبد الحميد الا ان نهض عن كرسيه ومد يده قبل ان انطق باية كلمة
- شكرا على استقبالك لي هذه المرة ايضا سلم لي على موسى واتمنى له الشفاء العاجل واردت ان اقول ولكن موسى ليس مريضا على حد علمي ولكن اثرت السكوت لاني كنت قد شككت فعلا في عدم استقبال موسى لصديقه عبدالحميد لان هذه المرة الثانية التي استقبل فيها عبدالحميد بعد ان التقي بزوجتي وتخبرني بما لديها وتسلمني الحقيبة المليئة بطلباتي لتنصرف بعد ذلك وتتركني مع عبدالحميد الذي يبقى واقفا ينتظر موسى وعلامات الاستغراب والدهشة ظاهرة على محياه يبدو ان احدهم اخبر عبدالحميد ان موسى مريض ويعتذر عن لقائه ولان عبدالحميد لم يكن يريد ان يضيع هذه الفرصة اي فرصة الحضور الى الزيارة وقعت عيناه علي عندما راني اهم بالمجيء اليه لاطمئنه بان موسى على وشك الحضور لمقابلته قال فورا لقد اخبروني بان موسى مريض وقد قلقت عليه اريد الاطمئنان عليه انه رجل كبير كما تعلم وصحته ليست على مايرام كنت اتي له بادوية القلب ودواء موسع الشرايين وادوية الضغط والسكر والنيروبين وغيرها ولكن هذا لم يكن السبب الفعلي لزيارته كل اسبوع كنت ازوره منذ وقت طويل بعد شهر من دخوله السجن لاني كنت في اوربا في اجازة الصيف ولم يخبرني احد بذلك حتى عودتي ولقائي ببعض الاصدقاء في مول المنصور واخبروني بما جرى للاخ موسى
- اعتقد انه سيكون بخير وسينتظرك في الزيارة القادمة

- ارجو ذلك والان قبل ان اذهب دعني اعرفك بنفسي
- لاداعي لذلك دكتور عبد الحميد انا اعرفك الان لقد حدثني موسى عنك كثيرا ويسرني ان اتعرف عليك إذا سمحت واستقبلك بدلا او مع الاخ موسى في حالة عجزه عن المجيء اليك إذا سمحت
- يشرفني ذلك فانت كما يقول موسى الموسوعي اللطيف
- لست موسوعيا تماما دكتور ربما كنا كذلك قبل عصر النت ومحركات البحث التي اصبحت تتفوق علينا بمعلوماتها الغزيرة وتفاصيلها وذاكرتها المدهشة لقد أصبحنا من الماضي
- ولكننا سنبقى نحظى بالاحترام والتقدير اليس كذلك
- نعم نعم بلا شك
- اود ان اعبر لك عن شكري وامتناني واعتذاري لاني اخذتك من زوجتك كما اظن
- نعم انها زوجتي جاءت بسرعة وارادت المغادرة بسرعة اضطرت بسبب الزيارة الى ترك اختها القادمة من كربلاء هي وزوجها معتذرة بعدم امكانها ان لا تاتي لزيارتي تعتبره واجبا مقدسا وامرا حتميا
- بارك الله بها تحياتي لها

ورايت مايشبه الدمع في عيني عبد الحميد الذي بدا بهز يدي التي لم يتركها منذ خمس دقائق

- سنتحدث في المرة القادمة نجلس انا وانت وموسى على منضدة واحدة ونتحدث سوية شنو رأيك
- ساكون سعيدا
- بلغ سلامي لهذا الشيوعي الصلب المريض او المتمارض وقل له اصمد يقول لك عبد الحميد: هناك وقت للموت ووقت للحب.

حالما غادر عبد الحميد وقبل ان تنتهي الزيارة حيث الجميع مازالوا مشغولين بذويهم اسرعت انا الى القاعة لاجد بعض الشباب مستلقين على فراشهم يشغلون أنفسهم بشيءما وسالت اين موسى

قال أحدهم انه في الحمام وكنت قد وصلت الى فراش موسى وجلست عند طرفه البعيد عن المخدة وقبل ان أرد على الشباب بالله بالخير دخل موسى والمنشفة على راسه ودشداشته مازالت رطبة في بعض الاجزاء وحالما راني احاول الوقوف صاح بي

- بالعباس ماتكوم صدك جذب صار شكد ماشايفك ارجوك اخذ راحتك , بالرغم من انه شيوعي الا انه لم يتخلى عن عاداته التي جاء بها من الشنافيه التي قضى فيها فتوته وشطرا من شبابه قبل ان يحصل على احدى الزمالات الى الاتحاد السوفيتي ابان حكم الزعيم عبدالكريم وهي ربما كانت احدى الاسباب المؤكدة التي دعته للانضمام الى الحزب الشيوعي بعكس ماحدث لي انا بعد اكثر من عقدين عندما غادرت للعمل في السلك الدبلوماسي في سفارة الجمهورية العراقية في بخارست عاصمة رومانيا عندما كنت اؤمن بالاشتراكية لاعود وانا اميل كثيرا الى الراسمالية التي لم اتبنى اتجاهاتها واطروحاتها لاني لم اكن اؤمن بها اساسا كنت اعتقد واؤمن بالقيم والافكار الاشتراكية التي سرعان ماتهاوت الواحدة تلو الاخرى طيلة وجودي في رومانيا الاشتراكية .

وبينما كان يحاول لم المنشفة على راسه كان أحد الشباب قد جاء بكرسي من غرفة الحرس حيث اجبروني على الجلوس عليه لمعرفتهم بمشكلة ساقي التي لم اعد أستطيع طويها طويلا وجلست على الكرسي بينما القى موسى جسده على فراشه مبديا فرحته برؤيتي واراد ان يعبر فرحه وسروره بكلمات الا انني بادرته بسرعة

- شبيك ويه عبد الحميد؟
- شبيه ويه عبد الحميد مابيه شي ليش شكو
- لم تخرج لزيارته للمرة الثانية بدعوى المرض واراك بصحة جيدة ولم اسمع أنك كنت مريضا خلال الاسبوعين الماضيين

انتبهت الى انني اتحدث بحدة وغضب مع موسى وشعرت بالاحتقار كيف أقف مع رجل غريب واتخلى عن زميل وصديق عزيز مثل موسى الشيوعي الطيب النبيل لماذا لم... وقبل ان اكمل سؤالي رد على بسرعة

- تشاجرنا في اخر لقاء وتهجمت عليه وررددته بقوة وغضب لم يكن موقفه جيدا من الحزب

قلت وانا احاول ان اكون منصفا وهادئا

- ولكن هذا لايستدعي ان تغضب منه ولاتستقبله بل لايستدعي الشجار اصلا
- على اية حال حصل ماحصل ربما تصرفت معه بقلة ادب
- ولم تحترم حرصه ورغبته المستمرة بزيارتك والاهتمام بك
- نعم كما تقول الان بدات اشعر انني تصرفت برعونة

قلت

- هذه ليس اخلاقنا كما تعلم كما هي ليست اخلاق الشيوعيين الذين عهدت فيهم العقل والتاني والكياسة وحسن التصرف لماذا تسرعت وتهجمت عليه وفوق ذلك تكون انت ابو الراهي وانت صاحب الحق كانما هو من هجم عليك واخطا بحقك
- نعم لقد اخطات بحقه ولم يكن علي ان اتصرف بهذا الشكل اذاعرف الحزب بذلك سيوبخونني وربما يغضبون مني بالرغم من موقف عبد الحميد الذي لن يقبلوا به ابدا بالرغم من انه ليس شيوعيا كما تعلم
- لا لا اعلم انه غير شيوعي ولايهمني ذلك مايهم هوان يقول ويعبر كل انسان عن رايه ذلك من حقوقنا اليس كذلك ايها الشيوعي المتمرس الستم من يدعو الى حرية الراي وحرية التعبير الى جانب مطالبكم بالحرية الشخصية وغيرها
- نعم استاد

كان موسى يتحدث معي كما يتحدث تلميذ في الابتدائية من معلمه الذي وقف يوبخه على تصرفه المتسرع والارعن مع عبدالحميد لم

اشا التحدث مع موسى بهذا الشكل كنت احاول ان ابقي صوتي منخفضا حتى لايسمعنا الشباب الذين بدؤوا بالعودة الى القاعة ويجلس كل واحد في فراشه تاركا عينيه واذنيه مصوبتين نحوفراش موسى ونحوي بالذات ماالذي يجري مابال الاستاذ يكاد يوبخ موسى بهذا الشكل اجبرت نفسي على خفض الصوت صوتي فقط لان موسى كان صامتا وراسه منحنية الى حضنه ويداه تعبثان بالمنشفة التي ولطول بقائها على فخذيه بعد ان انزلها من على راسه قد نقلت كل رطوبتها وبللها الى الدشداشة الخفيفة وبسبب خنوع وضعف موسى وعدم رده علي او دفاعه بشكل صحيح واعترافه بخطئه وسوء تصرفه مع صديقه عبدالحميد رفع راسه مثل تلميذ ينتظر العقوبة فقلت له وبصوت خافت وسخيف

- موسى عيب كلش عيب تدري عبد الحميد ماجاب اي طاري لهذا الشجار بل بالعكس قبل ان يغادر طلب مني نقل تمنياته لك بالشفاء العاجل متمنيا ان يراك قريبا بعد ان تبرا من مرضك وان نجلس ثلاثتنا الى طاولة واحدة لنتحاور ونتحدث في مواضيعنا الادبية والثقافية ارايت مثل هذ الاخلاق انتما في سن واحدة كما اعتقد ومثقفان ومفكران ولديكما خبرات وتجارب كثيرة كما اعتقد اليس من المعيب ان تختلفا لسبب تافه مثل هذا السبب او بالاحرى بسبب راي وقبل ان استرسل وانا استرسل عادة إذا لم يقاطعني أحد قال
- أنى حاضر استاذ لاي شيء تكوله
- تعتذر
- ولكن نعم نعم اعتذر بكل سرور الخاطرك ولكن وجها لوجه ستكون صعبة علي ستكون صعبة إذا عرف انني تعمدت الابتعاد عنه وادعيت كذبا المرض
- اكتب له رسالة
- بعد ان صفن موسى قليلا سارحا ببصره في وجوه بقية الزملاء الذين عادوا تدريجيا وواحدا بعد الاخر الى ماهم عليه من حديث

وانشغال بشيء ما وبعد ان وجدت انها فرصة للضغط على موسى واجباره على كتابة رسالة الاعتذارحاولت القيام الا انه وضع يده الرطبة على عضدي وقال

- اشكرك استاذ ريحت بالي كان هم ثقيل وانزاح هذا أحسن حل كتابة رسال فقاطعته وانا مستمر بالنهوض
- رسالة اعتذار ياموسى
- نعم نعم رسالة اعتذار صار حاضر ساكتبها قبل ان يحين موعد الزيارة القادمة
- جيد
- لم اسال الدكتور موسى عن مشكلته مع عبد الحميد وكان الاستاذ عبد الحميد من اللباقة والفطنة والنباهة وحسن الذوق انه لم يتطرق الى ماحدث بينه وبين الدكتور موسى ليس لانه اعتقد ربما انه من غير المناسب ان يشير الى ماحدث بينهما ولكن لانه لم تكن مناسبة تسمح بالتطرق الي ماحدث وماحدث كما أخبرني الدكتور موسى انهما وفي اخر زيارة لعبد الحميد الذي كان ممتعضا وغاضبا كما يقول موسى قلت وانا غير مهتم
- لماذا لماذا كان ممتعضا وغاضبا
- كما تعلم بسبب اتفاق الحزب مع الحكومة على تسوية الخلاقات بينهما والتوصل الى تشكيل الجبهة الوطنية القومية الاشتراكية قلت
- اي وشنو كان راي عبد الحميد
- عبد الحميد لم يكن راضيا على هذا الاتفاق وتحدث معي بحدة كانني انا المسؤول عن الاتفاق مع حكومة البعثيين كان مستاء جدا وغاضبا قال لي مؤنبا
- دكتور موسى كيف سمحتم لانفسكم ان تتفقوا مع هؤلاء؟ انهم قطاع طرق ومجرمون وسفلة
- حتى بوجود الدكتور سعدون حمادي وغيره من الشخصيات التي تحظى باحترام الجميع؟

- سعدون وغير سعدون موجودون معهم لتحسين صورتهم امام العراقيين وحسب انهم مكروهون، كل الشعب العراقي يكرههم منذ انقلابهم على عبد الكريم قاسم الزعيم المخلص الشريف نحن لانحبهم ولانريدهم ولانثق بهم انهم غدارون ولايؤتمنون ابدا وأنتم تعرفونهم أكثر منا ومافعلتموه كان خطئا كبيرا بل اثما كبيرا بحق الشعب العراقي الذي لن يغفر لكم هذه الخطيئة ابدا

استغرق الدكتور موسى ثلاثة ايام لكتابة رسالة الاعتذار وكان الرفاق في القاعة يمرون بي لتزويدي بالموقف اليومي بل عما يحدث كل ساعة ومنها انهم كانوا يلعبون الدومنة وعيونهم شاخصة الى الدكتور مهدي الذي استغرق طويلا في كتابة الرسالة فما كان من شاكر الشقندحي المرح ان رفع صوته موجها الكلام الى موسى قائلا وبصوت عالي

- دكتور ماتحتاج الى مساعدة؟

فضحك الجميع لعلمهم ان شاكر لم يكمل الخامس الابتدائي ولكن لديه فعلا خط جميل اطلعت عليه لاحقا عندما طلبت منه ذلك وما ان أنهى شاكرعرضه حتى خاطبه كاظم الذي كان مشغولا بما يملك من احجار الدومنة

- انجب لك انت لو بيك حظ جان كملت الابتدائية قبل ماتصير بحزب الدعوة ال,,, وقبل ان يكمل صاح اخخخخ لان احدهم قرصه في خاصرته لئلا يكمل كاظم عبارته ويقول العميل بعد ان تيقن الجميع من انتماءات وولاءات كل واحد منهم واصبحوا حذرين جدا فيما يقولون واصبحوا لايتحدثون في السياسة مطلقا ولا في الدين ذلك كان اخطر ما في حياة العراقيين في كافة العصور والازمنة اضاع الكثيرون حياتهم بسبب صراعاتهم وجدالهم حول السياسة والدين ومازال الخبر الاثير والمعلومة الاكثر رواجا ان العراقيين وبعد 1400 سنة مازالوا يتشاجرون ويصرخ بعضهم على بعض ويضرب بعضهم بعضا ويسبون بعضهم البعض ويشتمون ويلعنون ويجرحون بعضهم البعض بسبب رجلين

عاشا وماتا قبل 1400 سنة والخبر هو قول الشيعة باحقية علي بن ابي طالب بالخلافة ودفاع السنة عن عمر بن الخطاب وابي بكر وعثمان وعائشة وحفصة كلما اعتقدوا ان الشيعة سبوا او لعنوا ايا منهم واطلقوا على هذه المناكفات التي لا تنتهي ابدا اسم الطائفية

وظل عبد الحميد يختم كل رسائله الموجهة لي بهذا السؤال الجدلي المرعب: هل انت سعيد؟ ومنذ رسالته الاولى التي حسبت انها ستكون رده على رسالة الاعتذار التي كتبها دكتور موسى بناء على طلبي والتي سلمتها اليه في اول لقاء بعد اتفاقي مع موسى على كتابتها والتي قراتها في غرفتي اكثر من مرة ولم اجري عليها اية تعديلات لاني رايت انها ستكون اكثر مصداقية واكثر اقناعا مادامت بكلمات وبخط الدكتور موسى والغريب ان عبدالحميد لم يقم بفتح الرسالة امامي ناهيك عن قراءتها لقد طواها مرتين ووضعها في جيبه وانا مندهش ومتعجب, كان هناك المزيد من وقت الزيارة وكان بامكانه على الاقل الاطلاع عليها او قراءة شيء منها ولكنه لم يفعل وعندما وجدني متعجبا وغير راضي قال وهو يبتسم ساقراها في البيت ولكنني لم اقتنع باجابته ولا بموقفه وطلبت منه ان يطلع علىها ولو لدقيقة فقط ولكنه لم يعرني اي انتباه بل استمر في حديثه الذي بدا به حالما جلس امامي بعد ان غادرت زوجتي التي لم تبق طويلا واكتفت بتسليم قدر الدولمة الصغيرلانها عرفت ان عبدالحميد قادم من اجلي لذلك اثرت المغادرة واجلت كل اخبارها الى لقاء اخر وبعد هذا اللقاء وبعد ان كتب لي عبدالحميد انه غير راض عن تصرفه في الاستحواذ على وقتي مع زوجتي وشعوره بالعار كما يقول اثر كما اقترح ان تستمر لقاءاتنا عن طريق الكتابة بعد ان عرف انني مولع بالتعبير عن ارائي وافكاري عن طريق الكتابة بادر وبشكل مفاجيء ان نستغل هذه الموهبة في التعبير عن ارائنا ومواقفنا عن طريق المراسلة حيث ظل مواظبا على الحضور في موعد الزيارة المقرر ليقوم بتسليم رسالته لي لاحد الزوار الذي تعرف عليه اثناء

فترة الانتظار وساله عن امكانية ايصال رسالته الي ووافق الرجل وبقيت استلم رسائل عبدالحميد اسبوعيا وكانت كل رسائله كما قلت يختمها بالسؤال التقليدي هل انت سعيد؟

- رائع كانني اشاهد بيكاسو يغني
- تقصد يرسم
- لا

كان الاحتلام رائعا. كنت اسميه الزنا الحلال. لم يحرمونه كما فعلوا مع الاستمناء، او مايسمى بالعادة السرية. لولاهما، كلاهما، الاحتلام والاستمناء، وبغياب الزوجة، لقتل أحدنا الاخر. رغم ان الاحتلام كان بلا متعة، ويتركني في المنطقة الرمادية، الا انه كان مفيدا، حتى بعد ان تبلغ السبعين، إذا لم يكن هناك قذف، ستحتلم لامحالة، حتى اذا لم يكن هناك انتصاب، فانك ستحتلم، ولاتراها في الاحتلام، سترى غيرها، وماهمك من تكون؟ أي عاهرة أخرى ستفي بالغرض، اذا لم تحصل عليها هنا، فستحصل عليها هناك، وستقذف فيها بعد ان تلقي عليها خطبة قصيرة، لاتزيد عن أربع ثوان، هي مدة الحلم كله، الخطبة والقذف،

اعتقد انني عندما اخترقتها في تلك الليلة الكشرة، لم أفكر بالابوة، نعم فرحت عندما حبلت وعندما توقفت دورتها الشهرية بسبب الحمل، وفرحت عندما ولدت، وعرفت انني أصبحت أبا، لم يقل لي أحد انك أصبحت أبا، ولا اخ كحبة قال لي هذه العبارة، يافلان مبروك لقد أصبحت أبا الان،

- إذا لم تعجبك حياتك غيرها
- كيف
- لا أدرى اسال سارتر
- سارتر مات اليس كذلك؟
- نعم مات منذ زمن طويل.

كانت هذه بعض حواراتنا انا وعبد الحميد الخبير بانتقاء العبارات والمواضيع التي تثير التفكير والتامل. لكنه كان حزينا.

- لماذا لايتحدثون عن الموسيقى مثلا؟ هل سمعت احدا يحدثك عن الفلسفة او الموسيقى او الادب بشكل عام هل جاءك أحد ما وسالك عن رأيك برواية مئة عام من العزلة لماركيز قلت قبل ان يسترسل عبد الحميد
- اظنك تذكر راي الفيلسوف شوبنهاور الذي كان يرتاد المطعم الذي يقع تحت شقته
- نعم كيف لا اتذكر ذلك انني كثيرا ما استشهد به في حواري مع الاخرين هل تظن ان شوبنهاور كان مبالغا
- لاابدا بالرغم من ان الواقعة حدثت في المانيا كما يبدو ويفترض بالاخرين الذي يشاركونه الجلوس في المطعم ان يتمتعوا بشيء من الثقافة ليتحدثوا او يتناقشوا في امور أكثر اهمية من الأحاديث التافهة التي مل وسئم منها شوبنهاور
- يبدو لي ياعزيزي ان هذه المشكلة تسري وتشمل معظم مجتمعات العالم وربما كلها ليس بسبب نقص الثقافة لدى هذا المجمتمع او ذاك ولكن بسبب الاهتمام والمشاغل تعلم ان الناس لايهمها غير هموم العيش ومشاغل الحياة.
- نعم اعرف ذلك

بقيت لعدة اشهر استمتع بالرسائل المتبادلة بيني وبين الدكتور عبدالحميد, الذي لم يبخل علي بتزويدي بكل مايحدث في العالم الغربي , ولاني عرفته مولعا ومهتما بهذه الأمور مثلي , فاني حرصت على ان اساله في كل رسالة أرسلها اليه عن المستجدات , عن حفلات الموسيقى والاوبرا ومهرجانات الغناء والموسيقى, وعن المتاحف وصالات عرض اللوحات , الى جانب طبعا , عما يحدث في عالم الادب والكتب, ترشيحات نوبل, والندوات العلمية والأدبية والفكرية, كنت الهث وانا اتابع مايكتبه لي عبدالحميد, كنت اخشى ان يفوتني شيء, وقد فاتني الكثير بسبب غباء وجهل النظام السياسي في بلدنا, عندما

كنت اكتب لعبدالحميد, كنت أتذكر الكثير من الشخصيات من مؤلفين وفنانين, كنت ارغب في معرفة اخبارهم, كنت اساله عن كل شيء, سالته مرة عن احد البحوث, ويبدو انه كان مولعا بهذه الأمور, فاصبح يتقصى ويستفسر ويسال ويبحث بكل وسيلة متاحة له آنذاك, ويطلع عليها ويقوم بترجمتها وارسال ملخص لي بذلك , كنت اشعر بسعادته وفرحه, كان سعيدا بانجازه, انه انجاز, انجاز كبير,
كنت اعرف مايسعده، تلك الرغبة العارمة في البحث عن المعلومة، ان تلتقطها من احد المتحدثين في مقهى، او في سوق الخضار عندما يمر بجانبك اثنان يتحدثان بشكل سريع، او في سيارة النقل العام رجل يتحدث مع ابنه في المقاعد الخلفية، او عندما تشاهد فيلما ولاتنتبه الا الى تلك المعلومة، تلك المعلومة وحسب، كنت احب مشاهدة الفيلم وحدي، انانية نعم ولكن لهذا السبب لاغير، اشعر انني اكبر باحث عن المعلومة، كنت احب واعشق المعلومات، لايهم ماهو مصدرها، المهم انني استطيع الحصول عليها والتمتع بها،
كنت ممدا في سريري عندما تذكرت ان زوجتي وفي اخر زيارة لها احضرت معها كيسا كبيرا مليئا بعلب دشاديش جديدة من انتاج شركة شاكر اشترتها لي ابنة اخيها المقيمة عندنا منذ بضعة اشهر هي وولديها بعد خلاف مع زوجها او اهل زوجها اضطرها الى مغادرة بيت اهل زوجها والمجيء الى بيتنا للبقاء مع زوجتي التي ظلت لوحدها لفترة طويلة كانت التفاتة جيدة ان ابنة اخيها اختارتها هي بالذات دون اقربائها الاخرين لمعرفتها ربما بطيبة وكرم عمتها ورحابة صدرها وحسن استقبالها للجميع بوجودي او عدم وجودي تذكرت الدشاديش عندما رايت اكثر من بقعة مرق ودهن على الدشداشة التي كنت ارتديها فقمت على الفور وسحبت الكيس من تحت السرير وانا سعيد انني تذكرته لانها ستسالني حتما عنه عندما تاتي لزيارتي قريبا. قمت بإخراج العلب كلها وبدات بفتح العلب الواحدة تلو الأخرى عندما سمعت طرقا خفيفا على بابي شبه المغلق ونظرت تجاه الباب فاذا هو كاظم

يحاول الاعتذار ظنا منه انني ربما أكون نائما لاني لا اغلق بابي الا اذا كنت اريد النوم كان كاظم يريد من يشاركه الضحك قلت

- تفضل أبو حيدر
- ماارید ازعجك
- ابدا تفضل بالمناسبة شكد تلبس دشداشه
- مشكور استاد اشكرك بس خليني احجيلك شصار قبل شوية
- تفضل كاظم ارجوك ادخل
- لا خليني واكف اريد اروح للحمام
- طيب
- وانا أحاول الدخول الى الحمام خرج مصطفى وسالني فورا
- اكلك أبو حيدر
- ها
- عود ليش الاستاد بغرفة وحده واحنه ثلاثين واحد بغرفة واجبته بدون تفكير وبسرعة
- لأغراض الرواية، ولم يتمالك كاظم نفسه من الضحك قلت وانا ابتسم لاني يجب ان ابتسم مع كاظم مهما كان نوع الحديث الذي يجري بيننا
- يارواية؟
- الرواية التي ماتزال تكتب فيها، الرواية التي نحن فيها
- ولكنها ليست رواية، انها خليط من القصة والسيرة الذاتية
- على غرار أسلوب ونمط كتابة هنري ميلر، كان ذلك الدكتور مهدي الذي اظهر راسه خلف كاظم الذي ظل مذهولا لايعرف ماذا يقول، هل أنقذه الدكتور مرتضى
- تفضل دكتور مرتضى. نعم كما تفضلتم احسنت، اتراك قرات له
- نعم بالانكليزية لانها لم تكن قد ترجمت بعد
- اظنها قد ترجمت. عثرت عليها على النت قبل بضع شهور وقرات له مدار السرطان بعد ان انتهيت من كتابي الأول الخروج من الجحيم

- ماشاء الله استاد دعني اقضي حاجتي أولا واعود اليك
- كل الهلا

بعد ان غادر الدكتور مرتضى الذي بدا متعبا قلت لكاظم ادخل دعنا نتحدث قليلا وانا أحاول إقناعه بقبول احدى الدشاديش التي كان حجمها اقل من قياسي وفيما انا أحاول إقناعه بالجلوس على الكرسي قمت بفتح باقي العلب التي كانت كلها بنفس القياس قلت وبحزم

- هيا اختر ماتشاء
- ولكنها كلها لك استاد
- الا ترى انها ليست قياسي، اسمع أبو حيدر، قلت له ذلك وانا اعيد كل الدشاديش الى علبها، خذها كلها ووزعها على الاخرين بعد ان تأخذ منها حصتك
- ولكن استاد
- بلا ولكن كما قلت لك اعتبرها هدية مني
- طيب وانت شلون
- ولايهمك هناك المزيد في الطريق، لان زوجتي حدثتني عن كرم وطيبة ابنة اخيها وموقفها النبيل معها منذ اليوم الذي حلت فيه في بيتنا وكيف انها ظلت تفاجؤها كل أسبوع بشيء جديد كانت زوجتي بحاجة اليه لكنها لاتستطيع شراؤه بسبب عدم كفاية راتبي التقاعدي او بسبب وهذا هو الأهم وجودي في السجن عندما اتخذت قرارها بتاجيل كل شيء طالما انا في السجن
- مشكور استاد، قال كاظم اشكرك جدا ساخذ واحدة فقط واوزع الباقي على من تناسب قياسه، شكرا، جئت لكي نضحك معا على اجابتي لمصطفى وعدت بخمس دشاديش ...

وبعد اقل من عشرة دقائق جاءني واحدا بعد الاخر كلا من الأستاذ خليل والأستاذ عدنان واثنان لا اعرف اسميهما قدما شكرهم لي على هدية الدشداشة معتذرين انهم لايملكون حاليا مايقدمونه لي بالمقابل قمت للترحيب بهم حالما رايت خليلا على الباب وبعد ان

وضعت ذراعي على صدري محاولا إخفاء بقع المرق المخجلة كي لايرونها متذكرا زوجتي التي طالما كانت تنظر الى دشداشتي بعد كل وجبة طعام لتسال سؤالها التقليدي

- خو ما خرخرت؟ او
- لاتخرخر، الدشداشة جديدة
- او انزعها خلي اغسلها، واجيبها باستغراب
- مو الصبح بدلتها بعدها جديدة
- ميخالف، متشوف شمسوي بيها،
- شلون دتشوفين البقع؟، شو أنى ما شوف،
- انزع

شكرت الجميع خليل وعدنان والاخرين اللذين لا اعرف اسميهما وعدت الى سريري أحاول ان اكتب شيئا على اللابتوب ولكني انتبهت , انا لم اتحدث قط مع عدنان ولا اعرف عنه شيئا , ولم يحدثني احد عنه , انه احد الثلاثين المقيمين في القاعة , يزيدون او ينقصون كلما جاء نزيل جديد او كلما افرجوا عن واحد, وكنت اظن واعتقد انني انا كنت السبب في عدم تواصلي مع الاخرين ولكن لا لايمكن ان يكون السبب هو انا فقط هناك من يتصرف مثلي هناك من لايريد ان يتواصل مع الاخرين ولايلتقي مع الاخرين ولايتحدث معهم , ولم اسال نفسي عن السبب, كنت اعرف السبب. على الأقل انني كنت اعرف اسبابي، اعرفها جيدا، او انني ادعي انني اعرفها، لأنهم هم الجحيم، كما قال سارتر، لاني لا اطيق الحديث مع الاخرين، ولكنك أحيانا تحب الجلوس والحديث مع الاخرين، هذه حقيقة أيضا، لاتستطيع انكارها، هل تنكر أنك تحب كاظم، وتود كلا من الدكتور مرتضى والدكتور موسى، واصدقاءك في الخارج الذين لم يدخلوا معك السجن، وبعض اقاربك، وزوجتك، الست تحبها وتهيم بها، ليس لانها جميلة وطيبة وعطوفة وحنينه، لا ليس لهذه الأسباب فقط. إنك تحبها وتحب الاخرين لانك طيب، وصادق ونبيل، وإنك لاترتاح ولاتطيق البعض، البعض، وليس الكل. إنك لاتحب الجلوس

والحديث مع الاغبياء والجاهلين، كما إنك لاتحب الحديث مع النساء، لانك كنت تعتقد أنك كلما تحدثت مع اية امراة كان عقلك الفاسد ياخذك الى مابعد ثيابها وحجابها وبرقعها وحذائها وعباءتها، ياخذك الى هناك، الى حيث يطمئن دماغك الفاسد، الذي يشبه كل ادمغة الرجال، ادمغة فاسدة، لاتفكر الا باللذة، اتراها تنظر حيث قضيبي، هل تغافلني وتنظر؟ هل تسترق النظر. هل تنظر خلسة؟ انها تنظر او ستنظر الى مؤخرتي حتما. كلهن ينظرن الى مؤخراتنا. نحن ننظر الى صدرها حتى وان كان مسطحا مثل صدر نيكول كيدمان، لأننا نعلم انه هناك. مستقرا ومحبوسا بحمالة الصدر، التي لاتتخلى عنها ابدا، انها تحتاجها، لان واحدة منهن اخترعتها لسبب ما، لان ثدييها ثقيلين ويسحبان قوامها الى الامام؟ هذا هو السبب؟ ام هناك سبب اخر؟ انها ماتزال متمسكة بحمالة الصدر. هل هو السبب في انوثتها؟ وليس المؤخرة. لأننا جميعا لدينا مؤخرات وبعض مؤخراتنا أحلى وأجمل من مؤخرتها. ولكننا بلا نهدين مثل نهديها. انها تتفوق علينا بهما. انه لن ينام على بطنها إذا لم يكن ثدياها هناك انه ينام فوقها من اجلهما. ومن اجلهما فقط يحدث كل شيء. انه وبعد القبلة الطويلة اول شيء تريده ان يفعل بها ان يمصه ويفركه ويسحقه ويلعنه ويلحسه ويشمه ويبصق عليه ويمصه مرة بعد مرة ولاتقول له توقف انها تشجعه. العاهرة تريد ان ينسى فمه وشفتيه ولسانه هناك عند الحلمة التي أرهقها لثما وقرصا ومضغا وتقبيلا وصفعا وطعنا الى ان تستسلم، ولن تستسلم ابدا

ولم يوقفني شيء عن الكتابة الا طرق خفيف على الباب لاني كلما اردت الكتابة او النوم أقوم بغلق الباب وهم يعرفون ذلك لكنهم ياتون الي مرغمين مضطرين عندما يكون هناك امر عاجل او طاريء. فتحت الباب وإذا به كاظم يكاد يبكي،

- ابوحيدر؟، خير؟
- انه الأخ أبو سميرة، وسالت مستغربا
- من هو أبو سميرة؟، وكان يجب ان أقول:

- مابه؟
- انه الأخ عدنان، انطاك عمره. ولم اتذكره لولا الدشداشة
- لاحول ولا قوة الا بالله، ولكنه كان بصحة جيدة كما يبدو، لااله الا الله، الى رحمة الله
- كان متعبا ومهموما
- الله يرحمه برحمته الواسعة، كانت اول مرة اراه عن قرب واتحدث معه عندما جاء يشكرني على هدية الدشداشة
- عندما عاد من شكرك، وقبل ان يدخل القاعة بدا بالبكاء والنحيب فقمت اليه واجلسته على فراشي، لم اقل لك انه كان جاري في الكاظمية لم يسكن فيها طويلا انتقل اليها من حي العدل، قاطعت كاظم بعد ان شعرت انه سياخذني الى متاهات وقصص ووقائع
- ولكن مابه لم كان يبكي الم يكن فرحا بالدشداشه
- انا سألته أيضا مابك يا أبا قحطان، نظر الي والدموع تملا عينيه قال
- تدري أنا وابن الكلب البعيد نلبس نفس القياس مال الدشاديش لعنة الله عليه وعلى البزره، سالت كاظم
- من يقصد؟
- يقصد ابنه الزنيم الحقير طايح الحظ الاغبر الرزيل لعنة الله عليه وعلى أصله الكلب الحقير
- كاظم ارجوك من هو المقصود
- انه ابنه قحطان
- مابه؟
- هذه قصة طويلة سارويها لك باختصار
- اجلس أولا ودعني اغلق اللابتوب اجلس
- عطلتك استاد
- لا ابدا
- ماطولها عليك قحطان ابن عدنان طلع دودكي
- أي

- وعرف ابوه بامره بوقت متأخر كانت امه واخواته يتسترن عليه بعد ان طرده الكثير من اباء أصدقائه الذين كانوا مثله يمارسون الرذيلة في بيوتهم وبعد ان منع من الذهاب إليهم صاروا ياتون الى بيته بعد ان يذهب ابوه الى العمل، عندما كان لايزال نائب ضابط في الجيش، فصار يستقبل الشواذ في بيته وبعلم امه العاهرة التي كانت تغطي عليه وتحاول ان لايعلم ابوه بامره الى ان قامت اخته الصغيرة باخبار ابيها انتقاما من أمها التي منعتها من شراء شيء ما
- وماذا فعل ابوه؟
- ماذا تعتقد ان بامكانه فعله, انا أقول لك لاشيء كان عدنان رحمه الله ضعيفا ولكن طيبا وساذجا ولسذاجته قام باخبار بعض أصدقائه المقربين واحد اخوته وكانت تلك الطامة الكبرى حيث قاطعه معظم أصدقائه وانبه اخوته واخواته على هذا العمل الذي يقوم به ابنه وعندما كان يسالهم عما يجب عليه فعله كانوا يقولون القتل يجب ان يقتل وان يذبح حاله حال قوم لوط ان من العار عليك ان يبقى هذا الحقير في بيتك ياكل سم وزقوم ان شاء الله يجب عليك قتله والتخلص منه او تسليمه الى الأجهزة المختصة الا تعلم ان هناك قرار صدر منذ سنوات يقضي بإعدام من يمارس اللواط وهذا لواط ياعدنان ياخويه ابنك لوطي تعرف شنو يعني لوطي يعني ينطي طيزه للاخرين يفعلون به كما كان قوم لوط يفعلون يجب ان تسلمه الى السلطات لينال جزاءه هذا مرض ملعون يستحق الحرق يجب قتله والتخلص منه كيف ستنام وتشعر بالأمان ولوطي دنس في بيتك ياكل ويشرب وينام في بيتك تخلص منه ادخله الى الحمام واحرقه بالنفظ وقل لمن يسال انه انتحر قتل نفسه وانتحر. لا أدرى كيف انتهى كاظم من هذه القصة وكيف انهاها؟ كان منفعلا. يتحدث بقوة وبغضب شعرت انه يتحدث هكذا بسبب فعلة الابن وعمله السيء ولكن لا كان كاظم الذي شرع بالبكاء غاضبا من اجل صديقه عدنان الذي

لم يفعل كما علمت بعد ذلك من كاظم عندما كان يزورني في البيت بعد خروجنا من السجن سوى ان غير كنيته وطلب من الجميع ان ينادونه بابي سميرة بدلا من ابي قحطان، وسالت كاظم في احدى الزيارات عن قحطان فاجابني وبعض السرور والارتياح بادي على محياه

- مات وخلصنا منه
- كيف
- لا اعرف التفاصيل ولكني علمت انه قد تزوج ولكنه ظل على شذوذه ويقال ان الزوجة علمت بذلك واخبرت اباها واخوتها الذين طلبوا منه ان يطلقها فورا ورفض ذلك فما كان من أحد الاخوة الا ان اخرج مسدسه وارداه بثلاثة رصاصات اثنتان في صدره وواحدة في راسه ولم يطالب بدمه احد خاصة عائلته التي كانت قد تبرات منه قبل ان يدخل ابوه عدنان السجن بوقت طويل واعتبرت القضية كما قيل لي غسل عار وهاي هيه
- لاحول ولا قوة الا بالله

بعد عدة محاولات فاشلة لايقاظ صاحب السيادة قضيبي المتمرد رغم كل المحاولات التي بذلناها انا وهي قالت

- لاجدوى، يجب ان نهاجر.
- الى اين؟
- الى اوربا، المانيا ربما، ولكن ليس قبل ان نذهب الى العمرة، لعله يستعيد وعيه ونشاطه هناك، سنفعلها هناك، في المدينة وفي مكه
- ولكن،
- لايوجد حل اخر، يجب ان نهاجر، سنطلب اللجوء في احدى دول اوربا، نحن كبار السن، لن يضطروننا للعمل، سيلقون بنا في احدى القرى الزراعية التي ستقبل بنا لسبب او لاخر
- ولكن،

- **الفياغرا، حل مؤقت، حل خطير، انت لاتحتملها، انها مؤذية، وانا لا ارتاح عندما تتناولها، أخاف عليك، أبقي مشغولة عليك.**
- **لنجرب الجرجير لعله ينجح يقولون لوعلمت المراة مافي الجرجير لزرعته تحت السرير او الشلغم لانه يزيد الباه ويزيل البلغم او..**
- **حلول بطيئة وتحتاج الى وقت قد تنفع مع الشباب ولكن ليس معنا**
- **ماهو الحل اذن؟ لقد جربنا كل شيء.**
- **سنجد حلا. لن يذهب صبري وانتظاري لك هباء. العمرة ثم الهجرة.**
- **ولكن؟**
- **يجب ان نغادر فورا لكي....**
-

- To see a World in a Grain of Sand
- And a Heaven in a Wild Flower,
- Hold Infinity in the palm of your hand
- And Eternity in an hour.

- **نعم، لنرى العالم في ذرة رمل والنعيم في زهرة برية. دعنا نهاجر هذا الوطن لم يعد امنا.**
- **ولكنه وطننا**
- **لم يعد امنا**
- **ولكن الهجرة واللجوء، السفر، الغربة كل ذلك سيكون عبئا جديدا مسؤولية جديدة ربما لن اتحملها ولن اطيقها لقد أصبحت هشا هناك شي ما في داخلي تم كسره عندما خرجت كنت أقول وانا في الطريق اليك ان هذا سيكون اخر كسر لي لن اتحمل كسرا اخرا لااريد سواء هنا او في أي مكان اخر لااستطيع لن أستطيع**
- **لاباس دعنا نجرب العمرة وبعد ذلك نقرر**
- **لنذهب الى المول**

- هل أصبحنا تافهين؟ ماذا تحتاجين؟
- فنجان قهوة.
- لنذهب الى الكرادة الى رضا علوان او مقهى وكتاب لنتصرف كاننا مثقفين قديمين
- هيا بنا
- هيا

سألني كاظم السؤال التقليدي الذي يدور في ذهن الجميع سواء من المسجونين او من زوارهم:

- استاذ تعتقد ممكن نطلع من السجن؟
- لا أدرى يا ابوحيدر حقا لا أدري.
- ماذا فعلنا ليحدث لنا كل هذا؟

ولان من عادة كاظلم عندما يكون منزعجا او غاضبا فانه سيستمر في طرح واعادة طرح هذا السؤال ولاني لم أكن مستعدا لسمفونية العذاب التي يلهج بها الجميع وأعني بها سمفونية الشكوى والتذمر وعدم تحمل المسؤولية، قلت بملل ولكن محاولا عدم ابداء ذلك له

- عزيزي كاظم لكل شيء وقت كما يقول اريك ماريا ريمارك وقت للحب ووقت للموت. ماذا لو خيرت بين ثلاثين سنة اخرى من العمر؟ هنا في هذا المكان، او الخروج الان الى الجحيم هناك؟
- لماذا انت راض هنا؟ تبدو مرتاحا دائما؟
- الا ترى اننا هنا بلا مسؤوليات وبدون واجبات نحن بلاواجبات ياكاظم فكر بهذا. منذ ان دخلنا الى هنا ونحن لانفعل شيئا كل الجهد الذي نبذله هو اثناء التغوط عندما نتذمر بسبب الامساك هذا هو كل ما نفعله ونبذله من جهد نحن لانفعل شيئا لاننا لا نعمل اننا في حالة سكون مستمر انا متعب قليلا لاني افكر وانت متعب لانك مللت من البقاء هنا لانك تفكر بالخارج للالتقاء بالاصدقاء والخروج معهم يوم السبت من كل اسبوع لتلعبون النرد او الدومنه وغيرك لديه اشياء اخرى يود فعلها في الخارج يبحثون

عن التعب ربما يحبون تعبهم يحبون ذهابهم الى العمل كل يوم في ايام البرد وايام الحر وتعرضهم للشمس في صيف العراق القاسي ومواجهة لؤم مدرائهم وخباثة زملائهم في العمل ونظرات الاشتهاء التي يرونها في عيون زميلاتهم وهن يقضين اوقات الدوام عين عليهم وعين على النقال الذي لايفارقهن لحظة ويحبون ان يمرضوا كل شتاء ليرقدوا في اسرتهم لبضعة ايام لايتناولون الا الشوربة الساخنة والبابونك وعدد من حبوب الالتهابات وخافضات الحرارة وانتظار يوم الجمعة الذي غالبا مايصبح مزعجا ومملا منذ ساعات الصباح الاولى التي تبدا بصراخ وضجيج الصغار يملا المنزل وشكوى الام وسبابها احيانا لاولادها اكعد ولك وانجب واكل خره وابن الكلب وطيح الله حظك قبل ان يتجرا على طلب فنجان القهوة الذي تعود عليه اثناء الدوام الذي ياتي به اليه الفراش ابو غازي

- ولكننا نفتقد اشياء كثيرة كما تعلم
- لانفتقد شيئا نعم ربما بعض الاشياء ولكنك لو فكرت بالامر قليلا وتساءت عن مدى حاجتك لهذا الشيء او ذاك الشيء ستجد انك لاتحتاج الى اي شيء ابو حيدر الا ترى ان من منافع وجودنا هنا ان الجميع ياتي لزيارتنا والكل يسال عنا والاهم من ذلك اننا نحصل على كل مانريد انهم الذين في الخارج يلبون كل طلباتنا عندما يشتهي بعضنا بقلاوة الحاج جواد الشكرجي او رعد الشكرجي او باب الاغا وتطلبها من احدهم الا ياتي لك بها في الزيارة التالية ومعها اشياء لم تطلبها ولم تفكر بها ناهيك عن زوار العتبات المقدسة الذين ينقلون الينا الكثير من منتجات المدن التي تتواجد فيها هذه المراقد الساهون من كربلا والدهين من النجف والحلاوات بانواعها وغيرها ياكاظم حتى من لم يستطع الحصول على هذه الاشياء عندما كان في الخارج حصل عليها هنا ثم اننا لو تعلم في امان مستمر هنا امان لاتحص عليه عندما تكون في الخارج حتى مع اقرب الناس اليك زوجتك مثلا

وهنا لاحظت ان تعبيرا عن الاسى قد علا وجه كاظم وهو ياخذ وجهه بعيدا عني حالما ذكرت زوجته ولكني كنت مستمرا في الحديث

- ومع الاهل والاقارب والمعارف والاصدقاء والجيران والزملاء في العمل الخ ولكن الاهم من كل ذلك هو الامان من الدولة ومؤسساتها المختلفة هنا ليست لديك اية علاقة مع الدولة اذن انت في منجى من شرور الدولة كلها خاصة اذا كانت علاقتك طيبة مع ممثلي الدولة هنا فانك ستكون بخير حتما ولان كاظم كان يهم بمقاطعتي لاحظت ذلك قبل ان يفتح فمه لان جسمه راسه ويداه واحدى ساقيه كانت تهم بمقاطعتي الا انني لم اسمح له ان يوقفني لاني اعلم كما اخبرتكم انه لن يتوقف ابدا وسيقلب الامر الى المزاح مرة اخرى بل في كل مرة اوقفته بالسبابة ومستمرا بالحديث
- هل تريد ان اسرد لك عددا اخر من المنافع والايجابيات هنا وقبل ان يوافقني على كلامي قلت
- الا تلاحظ ان الجميع هنا يحبك واولهم انا انا احبك بصدق ولا اظن ان احدا يمكنه ان يكرهك او يحقد عليك هنا ولكن هناك في الخارج كم لديك من الحاقدين والكارهين البعض تعرفهم والكثيرين تعتقد انهم محبين ولكن لاتدري حقيقة مشاعرهم وانت هنا بلا ديون لست مدينا لاحد ولااحد مدين لك وانت هنا بعيد عن ثرثرة ومطالب الزوجة التي لاتنتهي وطلبات الابناء وهموم العائلة ومسؤولياتك الجسيمة كزوج واب انت هنا في اجازة ربما تكون طويلة وهذا افضل او قصيرة وهذاافضل ايضا بالنسبة للكثيرين الذين يودون مغادرة هذا المعتقل حيث لايذكرون منه الا السلبيات معاملة ابو مشتاق السيئة وتنمر الحرس وابتزازهم المستر وسوء معاملتهم لكم جميعا
- ولكن هنا يا استاذ هنا الموت حتمي نحن في عداد الموتى سنموت حتما لا احد ينكرذلك ان مصيرنا بيد كل واحد من المسؤولين عنا

بيد ابي مشتاق او بيد محسن او بيد فاضل او حجي خالد ابو مصطفى هؤلاء مسؤولون عن موتنا وسنموت حتما على ايديهم بامر من السلطات العليا او بدونه لقد سمعنا الكثير ممن سبقونا في المعتقل ماتوا لاسباب تافهة شجار سخيف على امر سخيف الكثير منهم ماتوا لانهم لم يستجيبوا للاوامر لانهم لم يسمعوها لسبب ما لانه لم يسمع الامر جيدا او لم يكن واضحا لديه طبيعة الامر الذي لم يسمعه جيدا فانه فقد حياته بضربة عصا غليضة من قبل حجي خالد الذي لم ينتقم منه احد لانه كما علمنا اختفى بعد هذه الحادثة ولم يسمع به احد بعد ذلك هذه ياسيدي واحدة من عشرات الحوادث التي تسببت في موت العشرات من المعتقلين الذين كانوا ينتظرون احالتهم الى المحكمة المختصة للنظر في القضايا المتهمين بها

- نعم ياكاظم ماتقوله صحيح جدا وانا سمعت ببعضها قبل اعتقالي
- اتعلم ماالذي يؤلمني ياسيدي ليس الموت لا ليس الموت انا لاافكر به لااخافه ولا اخشاه الموت سهل اليس كذلك سهل جدا الحياة هي الصعبة ما اخافه حقا هو التفكير في ان هذا الصباح سيكون اخر صباح وهذه الصلاة ستكون اخر صلاة واخر وضوء انا ابقى مستيقظا انظر الى رفاق الغرفة واحدق في وجوههم النائمة هل ساراهم مرة اخرى هل سارى شاكر مرة اخرى هل سارى الدكتور موسى لا اريد ان احدثك عن السماء والقمر والنجوم لاني او لاننا لانراها كما تعلم اعرف انني اكون احمقا احيانا واتمادى في المزاح واضحك كثيرا احاول ان اسعد الاخرين احبهم عندما يكونون سعداء احب ضحكهم وابتساماتهم وفرحهم اشعر بفرح كل واحد منهم واعرف كيف اجعلهم سعداء ولكنني كلما بقيت لوحدي بعد ان يغفو الجميع اشعر بالاسى والالم بان كل ذلك سيختفى فجاة عندما ياتي ابو مشتاق ليسحب احدهم الى مصيره المحتوم الموت سياتي حتما انه ات لامحالة
- كاظم

- الموت في اجازة، الموت في اجازة، لكنه سياتي حتما اقول لك انه ات لا شك ات
- كاظم ارجوك
- هادم اللذات ات اقول لكم انه ات لامحاله ات ات ات
- ابو حيدر ارجوك تماسك، ماهذا التشاؤم، فكر، فكر بمصاب ال البيت، فكر بسيدنا الكاظم، الم يعش في سجن طويل، مابك ياعزيزي لاتفقد اعصابك هكذا. كلنا ميتون، اعرف إنك مؤمن وعقيدتك قوية فلا داعي ابدا لهذا الكلام لاداعي له ابدا عليك ان تتماسك وان تكون قويا، وعد الى طبيعتك اللطيفة المرحة ولاتفكر بهذا الامر حاول ان تهدأ
- ماذا افعل؟
- مارايك ان تبكي قليلا البكاء جيد احيانا القليل منه يزيل الهم ويفرج عن الكرب ويهديء النفس ويطيب الخاطر، ابك ياكاظم ابك كلما شعرت بالضيق والغضب ابك قدر ماتستطيع وستجد ان همك قد زال وان بالك قد صفا وان كل ما كان يعكر صفوك قد انقضى ابك حتى يتبدد همك وتهدا نفسك. ابك كما بكيت انا من قبل عندما قلت:

ماجدوى كل شيء بدون وطن

ابك يا بلدي الحبيب
على خيباتك المستمرة
وحظك السيء في الحب والمنازعات
على رجالك المتعبين
ونسائك المتعبات
على اطفالك الذين فقدوا الذاكرة
والارامل الصابرات
على مقابرك التي لا تمتلئ

وانهارك التي لا تجف
على بيوت الطين
على نخيلك الحزين
وحزنك السرمدي
على بابل التي لا تعرف الضحك
وسومر المشغولة بالبكاء
ابك
على الموصل
قبل ان ينهار سد الموصل
وقبل ان تنفجر البصرة
ابك يا بلدي
على ايامك البيض وايامك السود على ضمائرنا قبل ان تصحو
ووعينا قبل ان يعود
على أحاسيسنا التي لا يفكر بها أحد
ابك
على نفطك البريء واقتصادنا الارعن الاغبر
على نفط البصرة ابك بحرقة
وعلى نفط الشمال
ابك أكثر
ابك
على احزانك اليومية
واحزاني التي لا تنتهي
على عصافيرك التي لا تتكلم الفصحى
وحقولك التي لا تزرع الزعفران

ابك
على عشيقاتي الصغيرات
وحفيداتي
قبل ان يكبرن في حقل البنفسج
وقبل ان اموت على نهر الراين
ابك
على نخلة في جنوب العراق
تحفظ أسماء القتلى وأسماء الشهداء عن ظهر قلب
وتضحك علينا
لأننا نسينا أسماء امهاتنا
بعد ان تهنا طويلا في حقول الخطيئة والغفران
ابك
على مصيرك المعروف
وسرك المكشوف
ابك
على رجل لا يعرف كيف يبكي امام اطفاله
ورجل يبكي كل يوم
ابك علينا
قبل ان نموت
ابك
على الحرية التي افسدتها القبائل
ابك على سنوات الجمر
التي لا تريد ان تنطفي في خيام الهنود الحمر
ابك
على خندق لم يمت فيه أحد

يا بلدي
ولان الهجرة خيار
والعودة قرار
ابك علينا
قبل ان نهاجر وقبل ان نعود
ابك قليلا علينا
قبل ان تموت
يابلدي

تحفظ اسماء -

قلت لها وهي تتهيأ

- لنخرج الى الكرادة او الى المول

كنت خائفا ان أعيش حياتي كلها بالكامل وانا متاكد ان كل شيء متماسك وعلى مايرام ثم فجاة وفي لحظة واحدة ينهار كل شيء

- **هل يمكن ان نتوقف قليلا عن التفكير ريثما انتهي من ارتداء ملابسي؟ فكر بالقهوة الان.**
- **الجكليتية؟ ام الفرنسية؟**
- **لاتخلي هواية ريحة.**
- **اوكي**

هذه كانت مشكلتي اذن

I don't care

لم أكن اهتم بشيء ولكن ربما لاني اهتم بكل شيء عرفت ذلك بعد السبعين عندما لم احقق اي شيء لاني لم انخرط في اي شيء، لاني لم اكتب شيئا ذا قيمة بعد، ولم اطبع وانشر شيئا بعد، لان ثمة حرب تجري ضدي، لا أدري من يديرها ومن يقودها، الكل كتبوا والفوا وطبعوا

ونشروا واقاموا احتفالات التوقيع في هذه المقهى او تلك المقهى، وانا انتظر ان يطبع كتابي الأول، سيطبعونه، لن يطبعونه، يحبني، لايحبني، وهكذا الى ان خرجت من السجن وانا لا أفكر الا في كتابي الأول وكتابي الثاني وكتابي الثالث

- وفي المستقبل ربما المستقبل القريب سوف لن تكون مجبرا على توضيح وجهة نظرك،

هذا ماقلته في ختام لقائي القصير مع السيد مدير السجن ردا على كلام له لم افهمه او لم اسمعه بشكل صحيح، هل كان ماقاله مجرد راي، ام سؤال او طلب؟ اظنه كان يطلب شيئا مني؟ هل كان يطلب شيئا مني، طلب حقير كما اظن، انا لم أكن انظر اليه ولم أكن اسمع مايقول. كان يجب علي ان انتبه انه مدير السجن يارجل، ممثل النظام، وعصاه الغليظة، على المساكين الذين يملؤون قاعته البائسة، انه الحاكم الفعلي هنا، الحاكم الحقيقي، لا ابومشتاق، ولا أبو زربان، انه هو الامر الناهي، كان يتحدث بدون توقف، ولم اكن انظر اليه، كنت افكربمونيكا بيللوتشي، واحيانا بصوفي مارسو واحيانا أخرى، ببنت ادجاني، لم افكر بامراة أخرى، حتى زوجتي لم افكر بها، اللعنة، من ذكرها؟ لقد سمعت اسمها، هل هو المدير، المليء بالويسكي والفودكا وسمك البني والكطان والتبولة والحمص بطحينة؟ هل ذكرها؟ انه يسالني, لقد سمعته عندما وصلت الى نيكول كيدمان, سمعته يذكر زوجتي نعم كان يقول لي : هل تسمح لي بان انيك امراتك هنا في مكتبي وعلى اريكة الجلد وبالطريقة الفرنسية كما يفعلها بعض المدراء في دوائرنا التي لا يقل الراتب فيها عن ستة ملايين دينار, عندما يساومون المحجبة الجميلة الفاتنة على تلبية طلبها غير القانوني وغير المشروع والذي لايمكن ان يتم لو يجي الحمزة مقابل نيكها على اريكة الجلد المخصصة لهذا النوع من النيك عندما ترفع له عجيزتها وهي بكامل ملابسها وبنفس حجابها الذي اشترته عن طريق الديليفري وهو بنفس بدلته الإنكليزية ورباط العنق الحرير وخاتمه الذهب ذي الحجر الأسود الذي يضعه دائما في خنصره الأيمن, وصلعته اللامعة وجبهته المختومة

بخاتم الصلاة على محمد وعلى ال محمد, هل كانت هذه وجهة نظره , ان يقول رايه في المساومة كما ساوم فاضل من قبل؟ هل كان الرفيق فاضل يحتاج الى المساومة ليقدم عاهرته الى المدير ومقابل ماذا؟ لقد تذكرت شاكر عندما ركض خلفي وهمس لي

- اليوم الغدا تشريب احمر.

***

يحبني لايحبني يحبني لايحبني

لم يكن ذلك مهما ان يحبني او لايحبني رغم صغري كنت اعرف ان الزيجات, كل الزيجات, لايمكن ان تحدث بهذ الشكل ولكنها تحدث لسبب ما والسبب معروف دائما, عرفت ذلك عندما قلت له خذني الى السرير وكنت اقول في نفسي ارجوك اغتصبني اقتحمني ياحبيبي يارجلي فضني وافترعني. هل قلت كل ذلك عندما كان يخلع عني اخر قطعة من ملابس العرس لم يبق الا اللباس الداخلي ياخجلي السخيف قلت له عندما كان ينظر الى صدري الممتليء بالرغم من نحافتي الواضحة كان وزني 47 كيلو فقط ولكن صدري كان ممتلئا وعظيما ورائعا ومنتصبا مثل الناقوس, عارما متحديا بحلمته السمراء الداكنة. لم ينظر الى وجهي ظل متشبثا بصدري ينتقل من ثدي الى ثدي ومن حلمة الى حلمة

- لنترك اللباس الداخلي قليلا دعنا نستلقي الان لاتشغل بالك به لن يصمد طويلا.

ياويلتي هل قلت كل ذلك؟ لن يصمد طويلا هل كنت انا التي تتحدث وعن ماذا تتحدث عن اللباس الداخلي وعن الافتراع واقتحمني وفضني، هل قلت كل ذلك؟ لا أدرى، لم اعد افرق بين ما كنت اقوله على لساني وبين ماكنت اردده في قلبي. لقد تهت قليلا' لم يقل شيئا, كان مضطربا وقلقا وخجلا وتائها بعض الشيء كنت اشعر به يريدني ولكن لايعرف كيف. قال لي بعد سنوات انه في تلك الليلة نسي كل شيء عن هذه الليلة الكشرة كما يسميها لقد قرا الكثير عما يجب ان يفعله في هذه الليلة قال لي اتصدقين اني حفظت الفصل الخاص بهذه الليلة بعد ان ترجمه

احدهم من الموسوعة البريطانية ولكنني نسيته تماما عندما اصبحت عارية امامي. لم اكن جميلة جدا, كنت نحيفة وبعض عظامي بارزة ووزني دون المتوسط بكثير فمي كبير ولوني اسمر وشعري عادي جدا لم اكن اعتني به كما تفعل الفتيات بل لم اكن اعتني بكل شيء يخص جسدي ولكنني كنت احب لون عيني كان لونهما بنيا وكنت احب ان انظر اليهما في المراة كنت اقول الحمدلله هناك شء جميل. قال لي اكثر من مرة احب النظر الى عينيك حافظي عليهما وكنت احافظ عليهما واعتني بهما من اجله ولكنه كان مخادعا كان ينظر الى صدري اكثر من اي شيء اخر اعرف انه كان يحب اشياء كثيرة في جسدي وكان هذا يرضيني ويمتعني لاني لم اكن ذكية تماما رغم تفوقي قليلا في الدراسة وقدرتي على الاستيعاب الا انني وبسبب خجلي الشديد كنت لا اتكلم كثيرا ولا ادخل في حوارات طويلة مع الاخرين كان هذا الخجل هو احد الاسباب التي جعلت الاخرين يعتقدون انني غير ذكية ولكنه كان راضيا لم يجعلني اشعر قط انني اختلف عن الاخرين لقد رضي بي تماما . كان يحب ان يقبلني واحب كثيرا قبلاته التي كنا نتفق على ان نبقيها طويلا قليلا كنا نستمتع بذلك . كان شاطرا في التقبيل واحب ان يقبلني لانه كان يترك يده تتجول فوق جسدي تتحرك من منطقة الى اخرى وكنت انا افكر بيده اكثر مما افكر بشفتيه وطعم لعابه الحلو ولسانه الفاسق يتجول داخل فمي كنت دائخة بين لسانه ويده انه ليس تائها ويده تعرف المسار جيدا وتعرف اين سينتهي بها المطاف وكنت اسمح لها ان تتحرك بحرية تامة كنت احب جسدي وكنت اقول دائما الحمدلله ان خلقني انثى لم اكن اتفق مع شوبنهاور الذي كان يفضل جسد الرجل على جسد المراة ويعتبر جسدا المراة مقلوب جسد الرجل لكنه لم يكن يعلم ان الرجل يحتاج الى عناية خاصة لكي يمتلك جسدا جميلا الا تراهم يتسابقون لتنمية وبناء عضلاتهم ويمارسون كل الرياضات من اجل الحصول على التناسق المثالي لعضلاتهم ونحن بخلافهم لم نكن نفعل اي شيء, تكفينا النعومة فقط: كوني ناعمة فانا ناعمات كما تقول المراة العربية حين توصي ابنتها المقبلة على الزواج

ولاتريه مايسؤوه وحفظت المراة العربية وسواها من نساء العالم هذه الوصايا وطبقتها بحذافيرها لانها تعلم ان الرجل يحتاج الى اكثر من اغراء لياتي المراة, لاتكفي نعومتها فقط, انه يحتاج اكثر. اعرف انه عندما كان يحدق في ثديي كان دماغه يفكر بمؤخرتي قلت له مرة

- لماذا لاتترك مؤخرتي وتفكر بشيء اخر قال
- مثل ماذا قلت
- هل تحب بنكرياسي او مرارتي او الاثنا عشري او زائدتي الدودية قال
- انتظري انت الان تقلدين سارتر هل تذكرين الفصل الاخير من روايته دروب الحرية

لقد كنت امراة عادية, عادية جدا لم تكن لدي اي افكار او رغبات او طموحات لم اكن اقلق على شيء ما, كان يومي يمر مثل اليوم السابق وغدا سيمر كهذا اليوم لاشيء جديد حتى بعد ان نضجت قليلا لم يكن يثيريني اي شيء كنا نستقبل الاصدقاء والاقارب في بيتنا الصغير شرق بغداد واستمع الى الاحاديث بين ابي والاخرين كنت اظن انني افهم مايقولون لكنني حالما اوي الى السرير كنت انساها تماما ولا افكر فيها ابدا نعم حتى بعد ان نضجت وقبل ذلك عندما حصلت على الدورة الشهرية وقيل لي انك اصبحت امراة الان لم اشعر انني تغيرت فعلا وانني اصبحت امراة لقد كنت امراة منذ ولادتي لم يتغير في شيء بسبب الدورة الشهرية نعم كنت مهتمة وقلقة بشانها لاني وبسبب طبيعة جسدي الضعيف كنت اعاني قليلا قبلها وخلالها واشعر بالالم والضعف طيلة ايام الدورة التي كانت ربما الشيء الوحيد الذي حصل لي خلال العقد الثاني من عمري كانت طفولتي عادية جدا بالرغم من وقوع بعض الاحداث فيها فبعد ولادتي بسنة كما قيل لي طلق ابي امي وارسلني واياها الى بيت اهلها في مدينة اخرى بعيدة عن العاصمة وبقيت مع امي قرابة السنة او اكثر قليلا لاعود الى بيت جدي لابي بعد ان تقدم لامي احد الرجال بعد ان يئس من الحصول على الذرية رغم زواجه من امراتين ولما قيل له بان امي قد طلقت وقد رزقت بابنة تقدم

لخطبتها فورا بل قيل لي لاحقا ان والد امي هو من عرضها على الرجل الذي كان صديقه منذ وقت طويل, ولرد ادعاءات الناس حول عدم قدرته على الانجاب. كيف يمكن ان اتذكر تلك الاحداث؟ انا لا اتذكرها فعلا ولكني اتذكر عندما اخبروني بها لقد صارت جزءا مهما من ذكرياتي ولوانها قيلت لي واخبروني بعد سنوات طويلة من وقوعها وبعد ان تزوجت وانجبت وسافرت وصارت لي ذكريات جديدة اتذكرها انا وحدي لم اكن افكر بالجنس الاخر اعني الرجال وكنت اظن انني لا اعرف شيئا عن علاقة الرجل بالمراة وان مايحدث بينهما غير واضح وغير مفهوم لان احدا لايعرف ماذا يحدث بين الرجل والمراة في غرفة النوم لم اكن افهم سر العلاقة بين ابي وامراة ابي وحالات السعادة والمرح والبهجة والسرور التي تعتري كل واحد منهما او حالات الكابة والغضب والحزن في اوقات اخرى الا بعد ان انتبهت انني كنت اسمع عرضا ودون قصد الى عشرات بل مئات التاوهات والصراخ المكتوم والشهقات التي تصدر منهما بعد ذهابهما الى غرفة النوم التي لم يكن يفصل بينها وبين غرفتي التي كانت تضمني واخوتي سوى فتحة كان مخططا لها ان يضعوا فيها بابا الا انهم تركوها هكذا وفصلوها بدولاب خشبي كبير كان راسي قريبا جدا من هذه الفتحة وكنت ارى اقدام امي عندما تنزل من السرير لتذهب الى الحمام او المطبخ وكنت اسمع تقريبا كل شيء حتى الحوارات التي لم يكونا راغبين في قولها امامي كان يؤجلانها الى موعد النوم كنت اسمع كل شيء وكنت انسى كل شيء عندما استيقظ صباحا. اعتقد انني كنت احلم بشيء ما, نعم بلاشك انني كنت احلم بشيء ما ولكن المؤسف انني لا اتذكر احلامي لا اتذكر اي حلم ربما لم اكن احلم لا ادري لقد حلمت باشياء كثيرة هل كانت تلك احلام ام رغبات طفلة عانت كثيرا من الاهمال وعدم الاهتمام وربما النبذ لم ار امي بعد ان اعادوني الى بيت جدي لوالدي الذي اخذني بعد ذلك بعد زواجه مرة اخرى لاعيش في بيت ابي وامراة ابي ماتبقى من حياتي وانا عذراء لم استطع ان اتذكر امي لقد وصفوها لي كثيرا ولكنني لم استطع ان ارى ملامحها بالرغم من دقة الوصف ربما لاني كلما حاولت

ان ارسم وجهها في مخيلتي اتذكر احدى قريباتي او اية امراة اخرى اعرفها. لم اقل لا ابدا ولكني كنت في امان ليس لاني كنت اعيش في صندوق مغلق ولكن لان الاخرين احترموا هذا الصندوق ولم يقتربوا منه لم يساني احد عن رايي او عن مشاعري او افكاري حتى ضمن حدود الاشياء التي تهمني كطفلة او كفتاة او كامراة واجهت الكثير من المودة والتعاطف لكنه كان تعاطفا غريبا عدم الاساءة لي يعتبر تعاطفا لم يتعرض لي ابي وعاملني بشكل طبيعي لم اكن اعرف فيما اذا كان يحمل افكارا خاصة حولي هل يحبني هل يكرهني هل يعتبرني عالة عليه خاصة بعد ان نمت عائلته مع امراته الجديدة التي والحق يقال لم تسيء لي ابدا لكنها لم تعاملني قط كابنة لقد كنت احبها واعتبرها اما لي كنت اقول عنها امي واخواتها خالاتي كنت اتصرف مثل ابنتها. لم ابك قط لا اتذكر انني كنت ابكي لقد كنت اصرخ وبصوت عال لم يكن يصل الى حنجرتي صوت قوي مليء بالاسى والالم والعذاب صراخ من نوع اخر صراخ لايريد ان يخرج بقي محبوسا طيلة اقل من عقدين وغضب عارم بقي كامنا في داخلي يخجل من الاعلان عن نفسه لقد كنت جبانة دائما ومترددة وشاردة وغير حاسمة هل كانت خياراتي قليلة كلا ابدا لم تكن لدي اية خيارات كانت حياتي سهلة وبسيطة وغير معقدة الخيارات كانت معدوة لاني كنت بلا متطلبات وبدون رغبات كان كل شيء في داخلي متوقفا لا اطالب بشيء ولا اريد اي شيء حياتي كانت سهلة وتركتها تمضي كما تريد لم اتدخل في توجيهها لم اعط رايا باي شيء ولم اقترح شيئا قط لم يسالني احد عن رايي او عما ذا احب وماذا اريد كانت اخطائي قليلة ربما لاني كنت بلا اخطاء لاني كنت بلا مسؤوليات مباشرة وحاسمة باستثناء الدراسة التي كنت متفوقة بها كنت بلا اخطاء لم يحاسبني احد على مايمكن ان يكون خطا ابدا حتى ابي لا اتذكر انه عنفني او صاح بي او ضربني يوما ما او حتى عاتبني على تصرف ما كنت سعيدة عندما كنت اتي له بشهادتي المدرسية يبدو سعيدا وراضيا وكان ذلك يكفيني تماما عندما يرضى عليك الاب يرضى عليك الله كنت احب ابي رغم كل تصرفاته وسلوكه العنيف مع اهله

وذويه لم يكن ودودا معهم لم يكونوا على وفاق تماما ربما منذ ان كان شابا في تلك المدينة البعيدة قبل ان ينتقلوا الى العاصمة اوائل الخمسينيات كان شابا جميلا جدا رشيقا ووسيما كنت احب صورته ببذلته البيضاء وشعره الذي داب على تسريحه بدهن خاص كان مشهورا ايام شبابه يستعمله معظم الشباب ليعطي لهم مظهرا متميزا لااتذكر الان اسم هذا الدهن الذي ياتي عادة في علبة زجاجية صغيرة وبرائحة نفاذه تثير الانتباه ساخبركم باسمه عندما اتذكره كنت احب ابي وكنت احب الجلوس معه عندما نكون لوحدنا ولكننا لم نكن لوحدنا دائما لذلك حرصت على ان لا اثير الفتنة طالما كانت امراة ابي موجودة دائما لقد حرمت نفسي من هذه الميزة ان اكون الى جانب وجوار اب وام وظننت انني بوجودي قريبة من ابي فانني ساعوض عدم وجود امي بوجودي معه الا ان مجرد معرفتني بانني اعيش معه في نفس البيت اراه كل يوم واحيانا طوال ساعات النهار وانني انام في الغرفة المجاورة لغرفته واسمع حديثه وهمسه لامراة ابي واسمع شخيره بعد ان ينتهيا من كل تلك التاوهات حيث يغرق كلاهما في نوم عميق لانام بعد ذلك بعمق ورضا مطمئنة الى انه مازال ابي وانه مازال موجودا وقريبا مني اتذكره كثيرا واحب عندما ارى الاخرين يذكرونه سلبا او ايجابا احب ان اسمع ذكرياتهم عنه كيف انه بعد طلاقه من امي غضب عليه جدي اي ابوه الذي اختارها له لانه يعرف اباها لانهما عاشا في نفس المدينة وكان كما يقول البعض اختيارا صائبا كانت امي طيبة وهادئة وعطوفة ومتسامحة مع الجميع لم يكن احد يتذكرها الا اذا سالتهم عنها او سال احدهم عنها لم يكن ابي يليق بها بسبب اختلاف طبيعة كل منهما هو سريع الغضب عنيف لايفكر وينساق وراء عصبيته وهي هادئة لايكاد يسمع صوتها واذكر انني عندما رايتها والتقيت بها بعد اكثر من عشرين عاما بقيت اسال نفسي لماذا شاء الله ان اكون بعيدة عن هذه السيدة الطيبة لماذا حرمني الله من الام من امي كنت اعتقد ان كل مصائبي واحزاني والامي كانت بسبب عدم وجود ام ولكني انتبهت مؤخرا وبعد ان التقيت بها وبعائلتها زوجها وابناءها منه ان

الله شاء حرماني منها ليعوضها برجل نبيل وهبها كل شيء ووفر لها كل ماتبغي وتشتهي وعاشت معه كما علمت في بحبوحة ورخاء لقد كان طلاقها نعمة وخيرا لها حرمها مني وحرمني منها ليهب لها زوجا طيبا ذا سمعة طيبة ومكانة مرموقة في بلدته الصغيرة كان تاجرا ناجحا استطاع ان يكون ثروة جيدة خلال سنوات وترك لها واولادها ارثا طيبا مازالت هي وبناتها واحفادها يعيشون ويتنعمون ويعملون بميراث هذا الاب المكافح المتفاني فيما عاش ابي بعدها في عوز وضيق وحاجة مستمرة لم اره متنعما ابدا ظل موظفا بسيطا وباجر زهيد في احدى دوائر الدولة التي يلجا اليها غير الحاصلين على شهادة جامعية لقد كنت اراه يعمل بجد هو وامراته في عمل الملابس النسائية التي يخرج بها بعد عودته من العمل الوظيفي ليعرضها في احد اسواق العاصمة الخاصة بمشتريات النساء ليعود في وقت متاخر من مساء ذلك اليوم مجهدا متعبا ولكن فرحا بعض الشيء لانه تمكن من بيع بعض القطع حيث يكون بامكانه شراء قماش جديد يقوم هو وامراته بتفصيله وخياطته ليخرج مرة اخرى الى السوق يعرضه على الفتيات والنساء في ذلك الشارع العجيب . كان المي هو مصدر قوتي الوحيد لم اكن اعرف ذلك كانت الالام كثيرة كنت اعالجها بالصمت والتحمل والتجاهل كان الالم ياكلني من الداخل الم التجاهل والشعور بانني نكرة وانني موجودة لان علي واجبات يجب ان اقضيها واقوم بها ليس لان لي حقوق لا ولكن واجبات يجب انجازها وكانت تلك الواجبات سببا في بقائي صامدة صمدت بها وتحملت من اجلها واجبات تافهة وحقيرة يجب القيام بها من قبلي كل يوم واجبات الابنة او ابنة الزوج كان مشروع الدشاديش النسائية المصنوعة اكثرها من قماش الكريشة هو المشروع الثاني لوالدي الذي وكما اعتقد انبثق فجاة وبدون تخطيط حيث استيقظنا يوما لنجد امامنا ماكنة خياطة كهربائية حديثة وبضعة امتار من قماش الكريشة بالوان واشكال متعددة ويبدو ان امراة ابي كانت تعرف شيئا ما عن الخياطة كانت دون العشرين فتية وجميلة بملامح عربية بحته وكنت اراها متحمسة لهذا المشروع الذي وقع

تنفيذه على عاتقها حيث تولت هي مهمة الخياطة بعد ان يقوم ابي بالتعاون معها على فصال الدشداشة وبالعدد الذي يتفقان عليه مسبقا لتبقى هي بعد ذلك ولوحدها تعمل بجد ومثابرة على خياطة كل ماتم فصاله ليقوم ابي بمهمة بيعه في شارع النهر احد اشهر شوارع بغداد الذي كان منفذا رئيسا للعوائل تتسوق فيه مايحتاجونه من ملابس ومستلزمات خاصة بالعرائس او بالفتيات عموما كان مشروع الخياطة هذا هو المشروع الثاني لابي حيث سبقه مشروع اخر هو مشروع الكتاكيتز لم يتحرش بي احدو ربما مرة واحدة عندما كنت حاملا بابني البكر صاح احدهم من سيارة مارقة من نفخك ؟ لم اشعر بالغضب قلت في سري طاحظك ولم اشعر بالغضب لان احدا لم يتحرش بي كنت اسمع عرضا طالبات المدرسة معي يتحدثن عن التحرش خاصة بعد عودتهن من المدرسة فرادى او جماعات يتحرش بهن الجميع واتذكر انهن كن يتمتعن بذلك ويعجبهن الامر كثيرا. كنا عندما نتجمع صباحا في ساحة المدرسة لاداء طقوس اليوم المدرسي المعتادة وقبل ان تظهر مديرة المدرسة وحولها المعلمات بوقت طويل تسال احداهن الاخر ها بشري تحارشوا بيج اي هل تحرش بك احد امس وهنا كنت استمع لقصص عجيبة عن التحرش كنت في البداية اصدق مايقولن ولكن بمرور الوقت وجدت ان اكثر هذه القصص من نسج خيالهن وحسب كنت اعرف حتى وانا في تلك السن ان التحرش لا يتم الا لوقائع تستدعي التحرش وتدفع بالرجل الى التحرش مثل الجمال وبياض البشرة والطول والامتلاء والنحافة حسب ثقافة الجمهور وجمهورنا كما علمت لاحقا لايحب الا الممتلئات خاصة في بعض المناطق مثل الردفين الذين يعتبران هنا بالذات الداعي الاول لمن يريد ويرغب بالتحرش كان هذا يسمى تحرش الشارع وفيه قصص عجيبة لايمكن تذكرها وحسب وهناك تحرش العائلة اذا كان فيها اخ كبير ومنه ايضا تحرش الاقارب كابناء العمومة وغيرهم المهم انني لم اعرف التحرش على كافة المستويات ربما لانني لم اكن امتلك المتطلبات الحقيقية التي تستدعي التحرش عندما انظر الى بعض صوري القديمة كنت ارتعب منها كيف

قبل ان يتزوجني هذا الرجل الم يشاهد صوري هذه؟ لعله لم يرها او لعله راها وغض النظر عنها او نسيها او انه قبل ورضي بشكلي الجديد بعد ان بلغت الثامنة عشرة كنت اعلم انه عند كل نهاية هناك بداية جديدة لم اكن املك اية ثقافة, ناهيك عن المعلومات والمعرفة. كان الغرض من دخول المدرسة هو النجاح وحسب كل ماعرفته لاحقا جاء منه وعن طريقه حفظت اسماء الروايات والكتب التي كان يقرؤها واسماء السمفونيات والسوناتات التي ظل يستمع اليها كانت المعلومة تاتي الي دون قصد كنت مختبئة وراء تجاهل الاخرين لي لايسمح لي بالحديث او ابداء راي اوقول اي شيء حتى امراة ابي لم تسمح لي بملاحظتها والتعلم منها كنت بحاجة الى امراة ترشدني امراة اتعلم منها كنت وحدي في عالم لايسمح لي بالحديث عالم حقير يحب المستضعفين والمساكين مثلي لم يكن احد يسمع صوتي اعتقد انني تكلمت بعد سنوات طويلة بعد زواجي بسنوات بدات اتعلم الكلام وابدي الملاحظات لزوجي وابنائي بعد ذلك بعد ان اصبحت لي غرفة نوم خاصة بي وسرير ومنضدة زينة ودولاب لملابسي واشيائي التي بدات تنمو سنة بعد سنة بعد ان كنت لا املك اي شيء اصبحت املك اشياء كثيرة كل ذلك حدث بعد الزواج. نعم الزواج يجعلك تمتلك اشياء كثيرة وكانت تلك الاشياء مصدر سعادة لي بعد حرمان طويل كنت اشتهي بعض الاشياء واود الحصول عليها وكنت احب ان يهديني احدهم شيئا كانت اغلى هدية حصلت عليها هي ساعة يدوية جاءتني من جدي لابي بمناسبة نجاحي في احدى المراحل الدراسية لا ادري اين اصبحت تلك الساعة ربما تركتها لسبب ما في بيت والدي بعد ان انتقلت للعيش مع عائلة زوجي وهناك كانت حياة اخرى كنت انتظر حلول الظلام وذهابنا الى النوم كنت احب النوم المبكر وكان زوجي يحب النوم مبكرا منذ ان كان فتى كنا نعرف انه كان ينام في وقت مبكر بعد ان يقضي ساعات طوال في القراءة يقول عندما لايكون هناك من شيء افعله يكون النوم هو العمل الاخير وكنا ندخل الى سريرنا بشغف ولهفة كنت اعرف ماذا سيحدث لاحقا تلك المتعة التي تعرفت عليها ليلة الدخلة اصبحت تحدث كل ليلة

وكنت ادعو الله ان لايحرمني منها ابدا لقد تمتعت كثيرا في ذلك السرير لقد شهد وعلى مدى سنوات الكثير من اللذات التي حصلت عليها يوما بعد يوم كانت تلك اللذات التي كثيرا ماتاخذني الى بلوغ النشوة orgasm التي اكتشفت بعد وقت ليس طويلا انني لا استطيع الوصول اليها الا بوضعية الفارسة اي ان يتمدد الرجل على ظهره وتجلس المراة فوقه كما لو انها تمتطي فرسا وتقوم هي بالتحرك صعودا ونزولا او الى الامام والى الخلف حتى تاتي النشوة لقد كتبت لاحقا مقالا حول موضوع لماذا يقوم الرجل بما يسمى بالخيانة الزوجية اكثر من المراة وارسلته الى احدى المجلات العربية المختصة بالمراة ولكنهم لم ينشروه لاسباب لااعرفها قلت في تلك المقالة ان المراة لاتجازف كثيرا بالخيانة لانها لاتضمن حصولها على النشوة كما يعرف الرجل انه سيحصل عليها حتما لان النشوة التي يحصل عليها الرجل تاتي عن طريق القذف وهو امر مؤكد عند الرجل. كنت احب الاخرين كما هم عليه كانت براءتي تجعلني محبوبة ومرغوبة جدا ظل يسالني بعد اربعة عقود من المعاشرة هل فعلناها هنا هل فعلناها هناك هل فعلناها في الحمام وكان جوابي دائما نعم فعلناها في كل مكان وطبقنا كل الوضعيات بما فيها واحدة او اثنتين اخترعناها انا وانت هل تذكر اه نعم ياعزيزي فعلنا كل شيء كنت اتركه يفعل مايريد ولم اكن اعترض بل انني كنت كما اتذكر اقوده الى الطريقة التي اريدها او يريدها هو بما يزيد من لذتنا المشتركة وكانت الطريقة الفرنسية The doggy style(*الوضعية الفرنسية والمعروفة ايضاباسم الوضعية الخلفية وهي التي تقضي بان يكون الرجل خلف الزوجة خلال عملية الايلاج بينما تكون هي في وضعية اشبه بالركوع*)

كنا نسميها طريقة الشيخ محشي وهي اكلة عراقية كما تعلمون يحبها الكثير من العراقيين واظن ان لاعلاقة لها بهذه الوضعية ابدا ولكننا في وقت ما ولسبب ما ابتكرناها من اجل المزاح ولكنها بقيت معنا الى ان توقفنا عن فعل هذه الوضعية بعد ان تقدم بنا العمر وبدانا نتخلى عن الكثير من الوضعيات التي كنت احفظ اسماءها قبل ان احفظ اسماء

الروايات التي كان يقرؤها انا كارنينا والحرب والسلام والدون الهاديء ومؤلفو الموسيقى الكلاسيكية شوبان وبيتهوفن وموزارت وريمسكي كورساكوف صاحب شهرزاد وجايكوفسكي مؤلف بحيرة البجع ووصل بي الامر الى حفظ بعض اسماء الفلاسفة مثل نيتشة وليبنتز واسبينوزا وغيرهم لم اكن اقرا ولا اشاهد التلفزيون الا عرضا عندما انتهي من غسل الصحون الخاصة بالعشاء وقبل ان ينتهي فيلم السهرة على القناة العراقية كنت اشاهد غالبا نهاية الفيلم قبل ان يظهر المذيع ويقول: كافي عاد روحوا ناموا وتصبحون على خير كنت جاهلة بارادتي كاني كنت احب وارغب واود ان اكون جاهلة ولا اعرف شيئا كانت القحاب العاهرات حولي طوال الوقت ولم تقل لي ايا منهن ماذا يجب ان افعل في تلك الليلة لقد جرت العادة كما علمت بعد ذلك ان تقوم الام او من يقوم مقامها ان تعلم ابنتها قبل واثناء وبعد الزواج كل مايتعلق بعلاقتها بالرجل لان هناك تفاصيل لاتتعلمها الفتاة من تجربتها الخاصة لم تخبرني ايا من تلك العاهرات عمات وخالات واقارب وجيران واصدقاء لم تقل اية واحدة منهن خاصة ممن كنت اودهن واحبهن افعلي كذا ولاتفعلي كذا لقد تعلمت كل شيء لاحقا مع زوجي الذي تعلمت معه كل شيء كانت السعادة التي حظيت بها وتمتعت كانني صحوت من نوم طويل وكان ذلك رائعا استيقظت فجاة لاجد نفسي تحته تماما يحدق في وجهي وانا غير خجلة وانظر اليه مثل عاهرة تطلب المزيد لم اكن اشعر بالبراءة معه كنت اقترف الفواحش كلها معه على مدى اربعة عقود مثمرة حبلني اكثر من مرة وامتعني حد النشوة الاف المرات كان استيقاظا رائعا لقد صحوت بعد سبات طويل نسيت طفولتي المريرة ومراهقتي البائسة وعنفواني نهاية العقد الثاني نسيت كل شيء بعد ان اصبحنا عاريين تماما ونعلم ان الجميع في الخارج في الرصافة وفي الكرخ في بغداد كلها والعراق كله يعلم ماذا سنفعل خلال الساعات القادمة وماكنا سنفعله تكرر الاف المرات بوجود او عدم وجود الكوماسوترا كنا نطارد اللذه ونحصل عليها متى واين شئنا مادام قضيبه اللطيف يستجيب لكل نداء ويلبي كل دعوة كنا نستغله تماما قال

لي انه توقف بعد اول قذف عن الاحتلام الذي كان يلازمه طيلة شبابه ومراهقته ولم يعد اليه الا بعد سنوات عندما توقفت عندي الرغبة في ممارسة الجنس لاعتبارات واسباب تتعلق بالنساء عندما يبلغن سن الياس ومابعدها. لم تكن لدي اية مواهب كان ضعفي هو موهبتي الوحيدة كنت احب ان اكون ضعيفة شيء من المازوكية اليس كذلك ونعم كنت جبانة وخوافة جدا اخاف من كل شيء لا ادري كيف استطعت ان اتمدد على ظهري واثني ساقاي وارفع ركبتاي حتى صدري ليستلقي فوقي وامكنه من ادخال قضيبه داخل مهبلي هل كانت تلك شجاعة لا ادري ولكن تبين ان كل النساء يفعلن ذلك وينفذن كل الوضعيات حتى الصعبة منها هل كان كل ذلك شجاعة كنت اظن ان ذلك يشبه الفسق وكأن الفسق حكر على السيئات العاهرات والقحاب ولكن تبين انه حتى الزوجات الشريفات يفعلن ذلك بمن فيهن نساء الانبياء كلهن كن يستلقين مثلي وكما افعل انا على ظهورهن ويرفعن سيقانهن ليستلقي الرجل فوقها ويفعل بها مايفعله رجلي بي كان الفخر كل الفخر للرجل وللرجل وحده هو المعطي وهو الفاعل الم تقل جين سيمونز في فيلم Say hello to yesterday يجب ان لايترك الخيار للمراة كانها كانت تقرا افكاري تماما ونعم تعلم المراة الامية الجاهلة والطبيبة واستاذة الجامعة وامراة النبي والحرة والعاهرة ان الامر كله بيد الرجل واننا محض متلقيات لا اكثر ولكنني استطعت ان اتخلص واتحرر من هذا الالتزام حالما جلست فوقه وتركت وركي يرقص فوق قضيبه الشامخ نعم تحررت واخذت زمام الامر بيدي ولكني لم اصفعه على وجهه كما فعلت تلك المراهقة العاهرة عندما جلست فوق قضيب جارها ووالد صديقتها في مسلسل Calfornication بل كنت انحني فوقه واقوم بتقبيل وجهه والثم شفتيه واعبث بلساني في اذنيه واصرخ بصمت واتاوه كما اريد واحذره: لاتقذف ليس الان كما تفعل فتيات مسلسل Sex and the city قبل ان اشاهده باكثر من ثلاثة عقود كنت انا القائدة وانا المبادرة وكان يسمح لي بفعل ما اريد كنت احب وضعية الفارسة احبها كثيرا غدا وغدا وغدا حتى المقطع الاخير من

الزمن المكتوب كان يرددها دائما مقدمة احدى قصائده التي كتبها مطلع السبعينيات عندما كان يقرا لشكسبيراضافة الى مقاطع عديدة من قصائد اليوت التي كان يحفظ بعضها كنت احب ان اسمعه يقرا باللغة الانكليزية

Let us go then, you and I,
When the evening is spread out against the sky
Like a patient etherized upon a table;
Let us go, through certain half-deserted streets,
The muttering retreats
Of restless nights in one-night cheap hotels
And sawdust restaurants with oyster-shells:
Streets that follow like a tedious argument
Of insidious intent
To lead you to an overwhelming question...
Oh, do not ask, "What is it?"
Let us go and make our visit.

In the room the women come and go
Talking of Michelangelo.

كان بيتنا الصغير واحدا من 911 بيتا بمساحة 108 متر مربع بنتها الدولة ابان حكم الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم مطلع الستينيات لحل مشكلة سكان الصرائف والمهاجرين الى بغداد خاصة من الجنوب

مكونة من غرفتين مع مرافقهما. كنت اعرف ان الله معي وانه يمهل ولايهمل تعلمت ذلك من المدرسة. لن يتخلى عني الرب ربي كيف يتخلى عني ويتركني لمصير مجهول ومستقبل مظلم لا ابدا. حياة المراة في الزواج لا ادري من القائلة وكنت راضية بذلك اي بالزواج اذا كان فيه خلاص كما ترى الافلام والمسلسلات المصرية فاهلا به وبما ياتي به اهلا بهما معا الزواج والزوج. سانتظر كنت جيدة في الانتظار اجيده بشده الانتظار جيد الزواج يعني الخروج من الجحيم والحياة قبله عذاب والم وكنت صغيرة جدا نحيفة بلا لحم جافة ويابسه ولولا بضعة عضام واعصاب لسقطت منذ زمن طويل ولكن الفتيات يكبرن وينمين بسرعة ويتغير شكلهن وينمو كل شيء فيها تكبر الشفتان وينفجر الثديان الناعمان كانهما برعمان ويبقى الخصر نحيفا يكاد يتقصف عندما تمشي ويمتشق القوام الذي لولا المؤخرتين لتكسر وهوى ولكن رغم حياتها المضنية المؤلمة تستطيع الفتاة الحصول على شيء من الرضا والهناء ولقد حصلت على الكثير من الرضا نعم لقد كنت راضية وممتنة لم اطالب بالمزيد او بالمعجزات كنت راضية وقانعة بما ياتي وبما احصل عليه لم اطلب شيئا لم اقل اريد ان اتزوج كما تفعل الفتيات في الافلام المصرية ويفرحن بجنون كلما سمعن عن مجيء احدهم لخطبتها وبلى لقد فرحت عندما قال لي ابي ان فلانا تقدم لخطبتك فرحت نعم وفرحت كثيرا كانني كنت اتمنى ذلك وكانني كنت اخطط لذلك ولكنني لم اكن على الاقل لا اتذكر انني فعلت ذلك هل تجرؤ مثلي على التفكير والتخطيط او حتى ان احلم بهذا لم يكن جسدي يصلح للزواج كان صالحا لراقصة باليه او دمية في محل ازياء كيف يصلح هذا الجسد لان يتمدد تحت رجل يزن قرابة الثمانين كيلوغراما كنت اخاف ان يفطرني او يكسرني لولا انني تذكرت ان الكثير ممن كنت اعرفهن وكن انحف واضعف مني قد تزوجن وحبلن وانجبن واصبحن بمرور السنين بدينات وثخينات وذلك طمانني كثيرا واخبرته بكل ذلك واخذنا نضحك على هذه الذكريات كلما تقدم بنا العمر كنت احبه وكنت اشتهيه وكنت اخاف عليه ان يكبر كنت اراه رقيقا لايحتمل اي شيء خفت عليه كثيرا

من المرض ومن خدمته في الجيش والتحاقه بالجبهة مباشرة عند الحجابات وقصف الراجمات على السريتين الاخريين عندما امر امر السرية معاونية ان ياخذوه بعيدا عند زمرة الهاونات خوفا من تحول قصف العدو الى سريته لمصادفة يوم غد انتهاء معايشته التي فرضتها القيادة على من لم يلتحق بالجيش بسبب العمل او الدراسة خارج البلد وكنت اخاف عليه كلما ترك العمل في هذه الشركة او تلك الشركة وخفت عليه اكثر قبل ذلك عندما احال نفسه على التقاعد قبل اكماله الخدمة المقررة مستغلا قرارا للدولة تجيز للموظف الذي اكمل خمسة عشرة سنة في الوظيفة وانهى خدمته العسكرية ان يحيل نفسه على التقاعد وكنت اخاف عليه واقلق كثيرا كلما خرج للعمل او خرج للتسوق او لزيارة احد ما. لقد مارست الجنس معه كثيرا وكان مايرعبني ويثيرني حقا انني في كل مرة نكون معا اردد في نفسي هل هذه اخر مرة امارس الجنس معه او امارسه على الاطلاق هل هذا اخر قضيب يلتقطه مهبلي ويبقى هناك لبعض الوقت هل هذه اخر مرة ام ستكون هناك مرات اخرى كنت اريد ان اكون سعيدة ولكني لم اكن اعرف ماهي السعادة ان يمر اليوم بدون شجار بدون صداع او الم بدون مغص او بلا الم عند مجيء الدورة الشهرية. ماهي السعادة؟ ان تحصلي على النشوة بالطريقة التي تريدينها ان ياتي لك احدهم بهدية جميلة ان يقول لك احدهم شيئا يسرك كان يقول لك عاشت ايدج على هذا الطبخ اللذيذ وشكرا لك على ضيافتك الكريمة وعلى كرمك وسخائك ماهي السعادة؟ ان تكتب رواية يقرؤها الجميع ويسالك عنها الكل ان يتردد اسمك في المجالس انك صاحب هذه القصيدة وصاحب ذلك المنشور ان يتداول الاخرون قصيدتك التي سجلتها على فيديو ونشرتها على حسابك في اليوتيوب هل هذه هي السعادة؟ ان تشعري بالاطمئنان لانك تملكين اكثر من خمسين مليون دينار ذهب وبضعة عقارات وبستان وعمارة مؤجرة كمدرسة اهلية وسيارة لكزس. كنت اقول له عندما يكون مريضا ياعلي ارجوك لاتمت قبلي وكان رده دائما انا الان في الخمسين او انا الان في الستين واخيرا وقبل ان يعتقل قال لي حسنا انا الان في السبعين حددي

لي عمرا للموت وساقبل به حتى اذا قلت مئة عام ساقبل اما زلت تدعين لي بطول العمر ساقبل بهذا الدعاء ولكن شرط ان تحددي لي عمرا للموت لعله يسمع كلامك الان بعد ان ظل طويلا يستمع وينفذ ويستجيب لدعائك مازلت حيا كما تريدين. كنت اعرف ان لكل رجل قبلته الاولى ولكل امراة قبلتها الاولى البعض يحصل عليها في ليلة الدخلة وهم قلة اما الباقون فيحصلون عليها في وقت مبكر مبكر جدا قبل سنوات طويلة من ليلة الدخلة وانا اعترف لكم انني حصلت على قبلتي الاولى التي لم تكن طويلة ولاقصيرة في وقت مبكر وقبل سنوات من تلك الليلة الكشرة كان طعمها رائعا واذكر انها لم تكن تشبه اي شيء شممته او تذوقته لاقبلها ولابعدها ظل طعمها في فمي وفي انفاسي حتى اليوم التالي كنت سعيدة بها كانت سريعة ولكن لم تكن سريعة جدا وضع شفتيه على فمي ولااتذكر ماذا فعل هناك لم نكن نعرف شيئا عن القبل كنا نعتقد ان المتزوجين هم وحدهم الذين يمارسونها ويعرفون سرها انا عرفت سرها لاحقا عندما كنت انام على ظهري وياتي الى جانبي يضع ذراعه الايمن تحت رقبتي وياخذني اليه ويسمح لي بان امد ساقي اليمين بين ساقيه ليترك يده اليسرى تتجول فوق جسدي فيما فمه ولسانه يتصارعان على فمي المستسلم كنت كلما قبلني تذكرت الفتيات في الافلام العربية والاجنبية كيف يغمى عليهن في بعض المشاهد التي كانت تفلت احيانا من مقص الرقيب في تلفزيون بغداد ابان فترة الستينيات وخلال فترة حكم حاول تقليد كل شيء في مصر ابتداء بالسياسة وانتهاء بسماحه بعرض مشاهد الرقص الشرقي التي تظهر فيها الراقصة شبه عارية حيث كانت الراقصات يتحكمن بنوع الرقصة او نوع ثوب الرقص تبعا لتعليمات الحكومة ورقابتها التي كانت تتشدد احيانا وتترك الحبل على الجرار احيانا اخرى ويقال بهذا الصدد ان الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر عندما جاء الى الحكم اوائل الخمسينيات اراد منع الرقص الشرقي فثارت ثائرة الناس واعترض الجميع باستثناء مؤسسة الازهر التي ايدت كما اتذكر قرارعبدالناصر الذي سارع وتحت ضغط الشارع الذي كان بحاجة الى دعمه وتاييده

في خططه ومشاريعه المستقبلية الى الغاء القرار او تعديله كما قيل حيث سمح بالرقص ولكن شرط تغطية الصرة اي صرة بطن الراقصة وبقي الجميع يستمتع بالرقص الشرقي ويستمتعون اكثر بما تسمح به حركات الراقصة من عرض ولو للحظات قليلة من اعلى الفخذ اي جزء لاباس به من مؤخرتها . كنت دائما اقول الحمدلله ان النساء لايمرضن كثيرا سوى في حالات معينة كالحمل والولادة والنفاس لاني رايته كيف يكون مهموما وقلقا ومضطربا كلما راني راقدة في السرير يمر بي وينحني يقبلني ويسالني: اسويلج جاي او بابونك او اي شيء اخر والحمدلله ان مرضي لم يكون يطول كثيرا كنت اصاب بنزلة البرد بداية كل شتاء لاننا لم نكن نتقي البرد كما امر الامام علي عليه السلام عندما كان يقول اول البرد اتقوه واخره تلقوه فانه يفعل في الابدان فعله في الاشجار اوله مورق واخره محرق . لم نكن نتبع هذه النصيحة الثمينة لذلك كنا قليلا ما ننجو من اول برد. ومازلت احبه حتى وهو بعيد عني كما كنت احبه عندما كنت انام تحته او اتمدد فوقه او عندما يغيب لايام او اسابيع ومازلت احبه وهو بعيد لكنني اراه كل اسبوع بعيوني كل مرة وبعين عبدالحميد بضع مرات لاادري لماذا سمحت له ان ياخذ فرصتي في زيارة زوجي انه حقي اليس كذلك ماذا قال لي لكي اقتنع باقتراحه قال دعيه ياتي لزيارتي لن يبقى سوى بضع دقائق ولكن عبدالحميد المتحدث اللبق الذي لايسمح للاخرين بمقاطعته استولى على كل مدة الزيارة وبقيت انا انتظر تحت شجرة الكالبتوس البائسة خارج المعتقل وحدي بعد ان دخل الجميع لمقابلة احبائهم بقيت انا انتظر خروج عبدالحميد الذي كان اخر من خرج واردت ان اتنفس الصعداء بعد الانتظار الطويل الا انني لم افعل كنت غاضبة عليه وعلى زوجي الذي سلبني حقي في رؤيته لقد راني حال خروجه من الباب الرئيسي لقد كان طويلا ربما لانه كان نحيفا جدا وكل من حوله كان قصيرا نساء بعباءات سود لقد رايته بشعره الفضي اللامع وقامته المديدة توقف برهة ثم استدار باتجاهي لقد قرر المجيء الي فكرت ماذا يريد هل بلغه زوجي شيئا ما لابد انه سيكون خبرا مهما كنت افكر

بسرعة انه يتقدم نحوي ويحاول تفادي سيل النسوة اللواتي خرجن واحدة تلو الاخرى يملان الرصيف العريض الذي كان فارغا تماما قبل دقائق وانا كنت عبر الشارع اراقب هذا السيل الاسود الذي خرج فجاة من تلك الباب الصغيرة كان عبدالحميد وسطهن يحاول ان يجد منفذا ليقفز الى الشارع ويتخلص من كومة السواد المحيطة به لكنه وقبل ان يضع قدمه على اسفلت الشارع المغبر صاح به احدهم وسط عاصفة العباءات السود دكتور ؟؟؟؟ لم يلتفت لكن الصوت عاد مرة اخرى وبقوة يصيح عبد الحميد.. وحاول عبدالحميد ان لايلتفت الا ان يدا من خلال عباءتين ظهرت فجاة لتمسك باسفل سترة عبدالحميد وتمنعه من النزول الى الشارع وقد كانت مفاجاة سريعه حاول فيها ان لايفقد توازنه ويمد يده ليمسك باليد التي كادت ان تفقده توازنه ليعود بقدمه التي مدها باتجاه الشارع الى حافة الرصيف ويلتفت على مضض وربما قليلا من الغضب مع شيء من الدهشة باتجاه صاحب اليد الذي ظل يتحدث كما يبدو الى ان ادرت وجهي الى جهة اخرى بعد ان انتبهت ان النسوة اللواتي بدان بالنزول الى الشارع لعبوره باتجاه السيارات التي وقفت بشكل عشوائي في الساحة الترابية التي تواجه المعتقل اخذن يرمقنني بشيء من الفضول والتساؤل لماذا لم تدخل ؟ ماالامر؟ شعرت بما يفكرن لكنني لم اعرهن اية اهمية كنت افكر بعبدالحميد الذي ما ان قررت اعادة وجهي صوبه حتى رايته يمر من جانبي وصاحبه على بعد خطوة او خطوتين لان عبدالحميد كان اكثر رشاقة وخفة من صاحبه الثخين اربكتني رؤيته, حاولت التبسم لكنه بادرني وهو ينظر باتجاه شيء ما, خذيه الى باريس انه بحاجة الى فنجان قهوة تحت برج ايفل او بضعة فناجين اخرى في مقهى دي فلور *(المقهى الباريسي الشهير الذي كان يجلس فيه الفيلسوف والاديب الفرنسي جان بول سارتر وكتب فيه معظم كتبه ومنها كتاب الوجود والعدم)* , لا ادري ماالذي حدث ظننت انه يتحدث مع نفسه او مع شخص اخر امراة اخرى ربما كنت مرتبكة وغير واثقة من اي تصرف قد اقوم به بعد تلك العبارات التي القاها عبدالحميد وهو يسرع الخطى باتجاه سيارته

السوبرصالون البيضاءالتي صعد اليها وقام بتشغيلها بسرعة دون ان يعير اهمية للرجل الذي ظل يتبعه باصرار وانطلق بالسيارة وهو يسمع اخر كلمات التوسل التي ظل يقولها الثخين دكتور ارجوك الله يخليك بس هالمره كنت قد استدرت بالكامل تجاه هذا المشهد الذي حصل بسرعة كبيرة دون ان يسمح لي الوقت لاستيعاب وفهم ماحدث . وعن زوجي عن الدكتور موسى، عن الدكتور عبد الحميد، انه قال، طز بالحكومة، وطز بالشعب، وطز بالاحزاب، وطز اقولها بقوة، طز بالحزب الشيوعي، ولاتعترض ياموسى، اننا كنا نأمل منكم خيرا، بعد ان توفرت لكم الظروف، واتيحت لكم أكثر من فرصة، لكنكم لم تغتنموها. كضيتوها بالخريطي، التهيتوا بالشرب، والنقاش الفارغ، كنت كلما جلست معكم اشعر بالفخر وبالسعادة، اننا شعب محظوظ، محظوظ حقا، ان تكون بنا مثل هذه العقول النيرة، في الاقتصاد والعلوم والانسانيات وغيرها. عقول يمكن ان تبني وطنا حرا ومزدهرا.

-ولكن يادكتور عبد الحميد

-طز بعبد الحميد وطز بيك ياموسى لقد مهدتم الطريق لكل السفلة والفاسقين وقطاع الطرق والجهلة والحاقدين واصحاب العقول الضيقة ان يتحكموا بالعراق كما يتحكم طفل بعصفور يتيم لقد كانوا ينيكوننا ياموسى هل كنت تعلم ذلك؟ هل يعلم حزبكم الموقر انهم كانوا ينيكون العراق كله على مدى عقود من وره ومن كدام وانتم ملتهين بالويسكي والجاجيك

-تقصد العرك والجاجيك

-اي اقصد الخره والجاجيك, والله لعبتوا نفسنا وسئمنا من نزاهتكم السخيفة خاصة بعد سقوط النظام في 2003 كنا ننتظركم وايدنا بريمر وامريكا لانها اقترحت النظام الديمقراطي للعراق رغم انكم تعلمون قبل وبعد ذلك ان العراق والعراقيين مو شكول ديمقراطية احنه ياموسى مو مال ديمقراطية احنه مال جلاليق ميفيدنا نظام ديمقراطي تعرفون كلش زين ان العراقيين ميفيدهم غير واحد اخ كحبة . لقد خذلتمونا, وقفنا معكم ضد راي مرجعية محسن الحكيم عندما قرر عدم

التعامل معكم لانكم كفرة وملاحدة بعد ان قربكم الزعيم عبدالكريم قاسم الذي لم تنصروه ولم تقفوا معه وربما لم تنصحوه لم تنصحوه اليس كذلك لانكم كنتم ملتهين بالتنظير والحوارات والجدال واصدار البيانات لم تفعلوا شيئا للعراق وللعراقيين حتى بعد ان كنتم قريبين جدا من استلام السلطة وهذا امر يحيرني فعلا لماذا لم تستطع او تحاول الاحزاب الشيوعية خارج منظموة الكوميكون في اوربا وامريكا اللاتينية ودول العالم الثالث من السيطرة على الحكومة؟ لماذا انتم لاتختلفون عن البعثيين ولا عن العسكر الذين يبيعون امهاتهم من اجل الوصول الى السلطة كان البيان الاول دائما يتحدث عن الوطن والشرف والشعب وخدمة الشعب وكل هذا كان هراء محض هراء اعتقد انكم نجوتم عندما لم تقرروا الصعود الى كرسي الحكم ربما نجحتم لهذا السبب لكنكم اخطاتم ايضا بعدم الوصول الى السلطة لو وصلتم الى السلطة فعلا كنا سنقبل بكم حتما اذا ما اسقطتم الملكية او انقلبتم على عبدالكريم او اطحتم بالحكم العارفي اوثرتم على حكم البعثيين او ربما تحركتم بشكل صحيح للحصول على دعم الشعب في انتخابات مابعد 2003 واسستم لنظام ديمقراطي حر وجيد لماذا لم تفعلوا ذلك لقد قرانا لكم الاف البيانات والمقالات وحفظنا ايدولجياتكم عن ظهر قلب وكنا نتمنى ونامل ان تبادروا لاستلام السلطة او المشاركة مع جهة قادرة على استلام السلطة مادمتم جبناء وغير قادرين على الفعل اي نعم عزيزي موسى انتم اصحاب كلام مجرد كلام كما يقول رياض احمد لاتعرفون سوى الجدال والكتابة التنظيرية وحسب, والشعب اي شعب لايريد الذين لايملكون سوى الكلام, الشعب يريد فعل, يريد عمل حتى اذا كان الصعود الى السلطة يتطلب شخصا ارعنا او عملا ارعنا مادامت الديمقراطية لاتاتي سوى بالاغبياء والسيئين والفاسدين سواء من رجال الدين او العلمانيين او , وهنا انتهت رسالة زوجي التي نقلها لي بواسطة الفلاش USB , يبدو انه كان يكتب بسرعة لكي يتذكر كل العبارات التي يقولها له الدكتورموسى , لم ار الدكتور عبدالحميد لعدة اشهر وعندما سالت زوجي قال عاد الى انكلترة . ماذا يعني عاد هل

كان مقيما في انكلترة نعم لديه جنسية بريطانية ويقضي معظم ايامه هناك ولاياتي الى العراق الا نهاية الصيف وبداية الشتاء في شهر تشرين الثاني غالبا عندما يكون الصيف صيف العراق قد انتهى على الارجح وعادة مايكون وصوله الى بغداد مع اول امطارها التي اصبحت شحيحة في السنوات اللاحقة. كان عبدالحميد رجلا يحب الوحدة ولكنه كما يعترف يحب ان يكون مع الاخرين ولكن لوحده اي ان يتركوه وشانه عندما يكون لوحده وهذا هو السبب الذي جعله يتزوج من امراة انكليزية حالما انهى دراسته الجامعية هناك وقبل مجيئه الى العراق وتعيينه في وزارة النفط التي ترقى في مناصبها حتى وصل الى منصب خبير لم يات بزوجته الى العراق الا بعد سقوط النظام لقد كان عبدالحميد سليط اللسان وقحا لايتورع عن توجيه النقد لاي كان ولايقبل بالعمل الخطا مهما كان وكان صارما وحازما في هذه الامور ولايرضى من الاخرين التهاون فيها على طريقة العراقيين عندما تعاتبهم او تلومهم او تنتقدهم على تصرف خاطيء مثل رمي علب السكائر والمناديل الورقية وعلب البيبسي وغيرها او البصاق من نافذة السيارة او في الشارع وغيرها الكثير ان يقولوا لك يمعود وهي كلمة تعني ان الله لايحاسب العراقيين على هذه التصرفات وان احدا ما او سلطة ما او جهة ما قد خولتهم او سمحت لهم بفعل هذه الامور وغيرها من التصرفات التي لم يكن عبدالحميد يطيقها ابدا ليس لانه عاش دهرا من حياته في انكلترا وتعود على عادات الانكليز ولكن لان هذه هي اخلاقه وهذه هي طبيعته التي جبل عليها. يقول زوجي: بودي لو انك تجلسين معه وتسمعينه عندما ينتقد اي تصرف او سلوك خاطيء انه يتحدث مثل نبي او واعظ او مرشد ولكن الفرق ان عبدالحميد صادق والاخرون اشك بامرهم لو ان لدينا عشرة مثل عبدالحميد لكنا بخير واحد في المخابرات وواحد في الامن العامة وواحد في امانة العاصمة واخر في الخارجية وواحد في الصحة الخ . كنت اشعر بالغضب دائما. بلا راي. وبلا مواقف، وكيف يكون لي راي، وانا مسلوبة الإرادة، لقد

حضر الجميع. الجميع كانوا هنا، اهله واهلي واصدقاؤنا، لم أخبر أحدا كما وعدته عندما قال لي في اخر زيارة

- ساخرج، لاتخبري أحدا.

ولم أخبر أحدا كما طلب؟ من أخبرهم؟، لقد جاؤوا كلهم، انا لم اقل لاحد، كما وعدته، ومازالوا يتوافدون، كيف ساختلي به اذن، ها؟ مع كل هذه الجماهير؟ كيف ساحضنه؟ هل سيحضنني؟ كما حلمنا بذلك. هل سيقبلني؟ كيف سيقبلني امام الاخرين؟ لن اقبل. يعرفني جيدا. عندما عاد من المستشفى. بعد ن مكث فيها قرابة الشهر للاستشفاء من جلطة الدماغ، عندما ذهبت بالحافلة لاصطحابه بناء على طلب ونصيحة الطبيبة السويسرية. جئت به بسرعة وألقيته على الاريكة، التي كانت تستقبل نزواتنا الفجائية بدلا من اغراءات الصعود الى الطابق الثاني، لم يخلع ملابسه كما كل مرة، كنت مثارة. كنت اريد التهامه، شهر بدون جماع؟ وصعدت فوقه، وانا ذات خمسين ونيف، وفعلتها بجنون، كنت ألهث، لم أفكر بصحته، ولابوضعه الصحي، لم انظر اليه، كانت شهوتي من النوع القاتل، إذا لم اصرخ سانفجر، كنت اتحرك مثل عاهرة وعدها بمئة دولار، كنت اريد الصراخ، انني مشتهية، ارجوك لاتقذف، رايته يبتسم، ليس هذا طبعي، كنت اتصرف بلا ضوابط، تركت كل أخلاقي في الخارج. كان ذلك قبل سنوات، قبل ان يطردوا المسكين بلوتو من المجموعة الشمسية، بسبب عدم مطابقة حمضه النووي كما قالوا. الان انا في الستين، ولم أرى قضيبا منذ سنتين. ومهبلي يكاد يفقد ذاكرته، وانا اكاد اجن، لم يبق لي بعد ان توقفت الدورة الشهرية سوى.. سوى الاحلام والتخيلات التي ظلت بمناسبة او بدون مناسبة تطل علي في كل ساعة وفي كل حين كنت اريد الابتعاد عن كل مايشير الى الجنس ولكن كيف؟ انه امر حتمي. لا املك أي خيار ازاءه انه يلح عليك مهما حاولت. ان قدرنا ان يعتلينا الذكور ويقتحمون فروجنا ويلهبون مهابلنا ويقذفون فينا ويسحقون عظامنا وينتهكون

اسوارنا ويمزقون راياتنا البيض ورايانا الحمر غير مبالين بكل صراخنا وانيننا واهاتنا ووجعنا الحقيقي ووجعنا المزيف، ورغم كل العذابات وكل الانتهاكات والمعاناة ودعواتنا الصامتة بالتوقف الا انهم لايتوقفون يعرفون اننا نريد المزيد المزيد من النيك منذ ان فتحنا ابوابنا لهم ليلة الدخلة الكشرة عندما أعلنا وبملء ارادتنا وقناعاتنا اننا لانريد سوى النيك. النيك الحلال بل المزيد من النيك الحلال الذي بدانا نجيده ونتقنه كلما تقدمنا بالعمر وكلما تقدمنا بالعمر سواء اصبحنا عجائز جافات بائسات يابسات ياكلنا السكري ويلعب بنا الضغط او مازلنا ممتلئات نظرات رائقات فاننا لانفكر الا بالنيك في الواقع نحن لانفكر الا بالقضيب الذي رايناه اول مرة ليلة الدخلة عندما قال لها وهي ممده على سرير الزواج عارية تماما ولاتفكر بالحياء وتريد ان تعرض كل ثقوبها عندما قال لها وهو ممسك به بالطريقة التي ستمسكه بها هي أيضا لاحقا بعد ان تدخل معه الحمام لينيكها هناك بالشامبو كما اخبرتها احدى العاهرات الخبيرات سيقول لها وهو يحدق في عينيها اللامعتين وشفتيها المرتجفتين سيقول لها

- لم تريه من قبل؟ لم يكن يسألها, كان يقصد التباهي بما لديه. ومالديه كان يرضيها ويكفيها لقد سمعت به كثيرا وعرفت عنه الكثير منذ ان سمعت اول مرة تاوهات وانات وشهقات أمها وعماتها وخالاتها وكل من كان يبيت عندهم سمعت وعرفت الكثير، تعرف انه صانع المعجزات ومرضي العجائز كما يرضي البنات وغافر الخطيئات. انه هو وليس غيره من كان يجعل أمها تتحول من قديسة في حرم الامام علي والحسين والعباس والكاظم وتقضي كل نهارها في الصلاة والتسبيح ومتابعة محاضرات الوائلي، الى عاهرة فاسقة في فراشها الذي كانت أمها تنادي عليها بعد ان تنتهي من صلاة الضحى
- يمه بلا زحمة عليج بلكت ترتبين فراشي

وتقوم هي وبكل سرور بترتيب فراش وسرير أمها الذي لم تزل تجهل كيف ظل هذا المسكين صامدا كل هذه السنين امام محاولات أمها وابيها لتسلق سور الصين العظيم أمها التي علمتها وعلى مدى أسابيع بعد ان خطبت أخيرا كل ماتعرفه ومالا تعرفه عن النيك ليلة العرس والتي ظلت في كل محاضرة من محاضراتها التي كانت تصغي اليها بشوق وانتباه شديدين

- لاتريه مايسؤوه
- يمه يعني شنو؟ يعني شسوي مثلا؟
- يعني كاعدة يمه ودتسولفين ودتشوفيه رايدج موتكومين على غفلة ويسالج ها وين رايحة وتجاوبيه راح ابول او راح اخري
- وشكو بيها يمه لعد شلون
- انجبي واسمعي كلامي شغلتنه اقصد شغلتكم متوقفه كلها على ايره موعلى كسج سمعتي مو على مالتج الفاهي انتبهي ماذا أقول الامر كله يعتمد على ايره لانه ياغبية إذا لم يقف قضيبه فلن يحصل نيك سمعتي الشغلة مو يمج يعني يمج بس مو يمج
- يعني شنو؟
- يعني اللي عليج تساعديه بالاغراء اللي علمتج عليه هذا هو دورج وهو عليه ان يوكف مالته يعني ايره حتى ينيجج افتهتي
- أي يمه افتهمت.

وسواء افتهمت ابنتها الفاهية او لم تفهم فان ماسيحدث سيحدت كما هو مقرر له ستسبقه الى غرفة النوم ويلحق بها بعد لحظات ليقوم بخلع ملابسها قطعة بعد قطعة ولن تعترض، لقد تعلمت ان لاتعترض وتقول عن كل سؤال يسألها إياه:

- بكيفك

واكيد ان كل شيء سيتم بكيفه وبمزاجه وبخبرته, سيتركها تجلس على حافة السرير بلباسها الداخلي وحمالة الصدر, سيتركها الى مابعد خلعه ملابسه ويتباهى كثيرا وربما أكثر مما يجب بما لديه من عضلات, أولا عضلات العضدين والصدر وربما عضلات البطن اذا لم تكن قد تحولت

الى كرش صغير نما وترعرع في مطاعم بغداد وعربات التكه والمعلاك في شارع السعدون كلما خرج من احدى دور السينما ويحاول التحدث معها ليجبرها على النظر اليه بعد ان ظلت تحدق في لباسها الداخلي وتفكر شوكت انزعه؟ وستنزعه قريبا بل قريبا جدا, ستلقي بظهرها بعد قليل على ملاءة السرير الجديدة وهي خالية من الملابس ومن شعر العانة والابطين والشاربين واينما وجد في أي مكان في وجهها او بطنها وساقيها وربما هناك قريبا من جحرها الم تعرض عليها احدى صديقاتها فيديو لنانسي عجرم وهم يلتقطون اخر الشعرات المحيطات باستها النظيف. وتريد ان تنظر اليه الى ايره لكنها لجبنها وليس لحيائها ظلت تنظر في عينيه لن تجرؤ على النظر الى ايره ليس الان ربما لاحقا لم تقل لها أمها انظري او حاولي النظر الى ايره حالما ترينه منتصب, الرجال يحبون التباهي به ثم ستتصل بها أمها صباح اليوم التالي بعد ان يذهب رجلها الى غرفة الضيوف للسلام على من جاء لتهنئته على تحرير القدس الشرقية وستسالها أمها

- ها يمه بشريني شلون الاخبار وستجيب أمها وهي تبكي حسرة وندما
- يمه شو هذاماناجاني

اعتقد انني سمعتها بهذا الشكل عندما قالتها جدتي وهي تتحدث مع احدى صديقاتها وهي تروي لها هذه الحكاية عن سذاجة وبراءة نساء اهل زمان

وظل يسألني:

- كيف كنت تتحملين غيابي؟
- بالذكريات.

وعندما صاح أحد الصغار جوي جوي(وصلوا) خرج الفصيل الذي كان يرابط في الطرمة الى الباب الخارجي لتعزيز موقف الفصيل المرابط في الخارج والذي اضطر الى الانتقال الى رصيف الجيران المقابل ليستظلوا باشجار الرارنج التي تطاولت فوق جدار الجيران بسبب تقدمها في العمر ولم يبعصني أحد، ولكن عندما صاحوا جوي وصلوا

قامت كوكبة من العاهرات اللواتي لم يشبعن من النميمة والغيبة على مدار الساعتين الماضيتين ولا من اللعب والعبث بهواتفهن النقالة التي ظلت ترن بترنيمات سخيفة ومؤذية لتجيب على السؤال التقليدي ها وصل؟ ها اجه عمو؟ شو اتاخر وين صرتوا نريد نزقنب ابويه كام يصيح اجوي بيت خالة سعاد اجوي بيت عمو هاشم ام حسن طلع بيها كورونا راح انروح للمول مول زيونة مول النخيل ماما ميخالف اروح للربيعي وظلت رنات الهواتف الحقيرة ترن في اذني في كل مرة اتخيل ان أحدا ماسيبعصني قبل ان تنطفي الكهرباء في شارع الحمرا ولم يبعصني احد وأخيرا صاح بهن احد اشقائه سدن الهواتف كحاب احنه بيا حال وقمن جميعا عندما صاح احدهم وصل اجه عمو قمن جميعا حتى العجائز ضغطن على انفسهم واحداهن تنادي على الأخرى ساعديني خل أكوم او كوميني مابيه حيل ومن هالخريطي وانا عند باب الهول الداخلي انتظر وبلهفة كبيرة ان يبعصني احد ولكن لم يبعصني احد الى ان سبقوه كلهم بالدخول واسمع تغاريد وهلوله للحزب القائد هلوله واحداهن شغلت احدى الأغاني التافهة واظنها كانت اغنية مسيطرة كانت بالغلط ولكنها تعرضت على اية حال الى نظرات الاب والام الشزرة المؤنبة ولكنها سمعت على اية حال أيضا احداهن تصرخ بها طاحظج ادب سز سديه غبيه كانوا يريدون ان يلتفتوا الي بعد ان انتهوا من احتضانه والترحيب به كانما يريدون ان يقولوا ها هوذا أخيرا لقد وصل خذيه وتمتعي به كنت افكر بحلمتي التي لم يمسها منذ سبعة وعشرين شهرا وقبل ان يخطو باتجاهي قبل ان يقول مشتاق امسكت احدى العاهرات واظنها كانت ارملة منذ عقدين بذراعه تسحبه باتجاهها لتقول له

- اراك ضعفت وهزلت وتبدو بائسا وقبل ان تسكتها ابنتها التي كانت تقف وراءها استدار اليها قائلا:
- تعجبين من سقمي صحتي هي العجب
- دعوني الان أسلم على امراتي رجاء

ووصل الي وانا أحاول كبح مشاعري والتغطية على تعابير وجهي وضبط لساني ولكن لماذا لقد عبروا هم عن مشاعرهم وقالوا مايريدون وقبلوه وصافحوه وحضنوه وربما بعصوه مثل عريس ليلة الدخلة وربما وربما شبعوا من السلام عليه فلماذا لايحق لي ان افتح له ابوابي كلها بعد ان ظلت مغلقة على مدى سبعة وعشرين شهرا لماذا لا احضنه الان واقبله امامهم وارحب به كما ترحب امراة بزوجها عندما تسبقه الى السرير وهي تهنيء فرجها الرطب ومهبلها الملتهب بما سيحصلان عليه بعد قليل لم لا افعل كل ذلك الان وامامهم لماذا يجب ان يكون كل شيء في غرفة النوم ساخلع دشداشتي امامهم انا بدون لباس داخلي تخليت عنه منذ بضعة اشهر لم اعد اطيقه بعد ان اكتشفت انه بلا جدوى وليس له اية أهمية خاصة بعد توقف الدورة الشهرية لم يبق غير الاتك والستيان سابقى بهما لان جسدي لم يعد ممتلئا ورشيقا كما عهده هو لقد ذبل النهدان وجفا ويبس القوام وتهالك, لم يبق غير الهيكل العظمي عدنا كما كنا لقد أصبحت كما يقولون معدة وكس هكذا وهن هؤلاء القحاب لعلهم اخبرت احداهم الأخرى عندما كن يختلسن النظر الي من حين لاخر لقد ذبلت المسكينة صارت معدة وكس هذا هو حال المراة بعد ان ياكلها السكري وينهكها الضغط وتعبث بها الهرمونات الفاسدة مجرد معدة و ولكن لا انني اعرفه لايهمه ان تبقى امراته معدة وكس لا قال لي مازلت احب واشتهي هاتين الحلمتين العذبتين وهذا الخد الناعم الذي يشبه مؤخرة الرضيع احب النعومة ويردد كلما قال ذلك كوني ناعمة فانا ناعمات وقبل ان يمد يديه لاحتضاني وتقبيلي وقبل ان ارحب به امام الجميع رايت شيئا لم يسرني, كان حزينا ليس ذلك الحزن الذي اعرفه وتعودت عليه لا انه حزن جديد وليس بسبب السجن انه حزن جديد مزيج من الألم والاسى ترى ماذا حدث لهذا الستيني العجوز لماذا يبدو يائسا اكثر مما حدث لقضيبه قبل سنوات عندما رفض الانصياع لاوامره وخذله اول مرة بعد سنوات من الانتصارات والتالق انه لم يخذله بعد الجلطة الدماغية ولا بعد الذبحة الصدرية ولا بسبب السكر وغيرها ترى ماالذي حدث؟ ماذا قالوا له قبل ان يخرج؟

هل أخبره احد المستقبلين بشيء ما عند باب السجن؟ او في طريق العودة الى البيت؟ هل مات احد ما؟ لم نسمع بذلك لم نسمع بالموت قبل حربنا مع ايران لم نكن نعرف الموت قبل ذلك كان الموت يطال كبار السن فقط حتى المرضى بامراض مستعصية كانوا يناضلون الى مابعد التقاعد والى مابعد السفر الى تركيا ولبنان وايران ودبي لم يكن احد يموت قبل الحرب كل الذين فقدناهم ماتوا في الحرب او بسبب الحرب ماالامر اذن ماذا جرى؟ انني اعرفه, انه زوجي واعرفه جيدا لقد جاء بحزن جديد ولابد ان اعرف ماالذي الم به ماذا جرى له ولكني طمانت نفسي وهو يضع ذراعية حولي ويحاول ان يقرصني برفق ان الموت سهل, الحياة هي الصعبة هذا ماكان يقوله دائما حتى عندما يكون حزينا ويائسا بعد ان ينتهي من قراءة احدى قصائد اليوت, كان يلتفت الي ويقول الموت سهل وأقول الموت حق ويقول الحياة هي الصعبة الحياة صعبة وأقول ولكنها وحلوه وممتعة معك ومعك فقط ولما يرى انني أصبحت اجامل يقول

يالك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري
قد رحل الصياد عنك فابشري ونقري ماشئت ان تنقري

وكانت قرصة صغيرة وناعمة ولطيفة وقريبة جدا من العمود الفقري عند الفقرتين الرابعة والخامسة وكأنه يريد ان يقول وعلى طريقة مورس

- ممشتهية؟
- انا مشتهية منذ ألف عام.

مشتهية جدا. قبل ان ادخل الربع الخالي ويتركونني وحيدة على صخرة في الخليج أفكر في سقوط الحضارة والنوم على صدرك مثل زهرة برية يطاردها الحرس القومي ورجال الامن العامة وعاهرات البتاويين وشارع النضال.

لم أكن املك غير ان اشتهيك. قبل الحرب العراقية الإيرانية قبل ان يقلن لي حفي قبل ان احف وقبل ان تسقط في الاسر قبل ان تعود بعد عشرة أعوام قبل ان يسقط جدار برلين قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وانتحار

مارلين مونرو قبل ان يكتب ارثر ميللر عربة شارع اسمها دزاير قبل ان تختار قبرك في مقبرة عبد الجليل قبل ان يكتب عبد الحميد في اخر رسالة بعثها الى الدكتور موسى

You forgive I forget

وقبل ان يجيبه الدكتور موسى برسالته الأخيرة

الأصدقاء تحفة الحياة

قبل الدورة الشهرية الأولى والدورة الشهرية الأخيرة قبل ان يقول لي عبد الحميد خذيه الى باريس قبل ان يقولوا لي الحمدلله رجلج راح يطلع قبل ان تطلع قبل ان تصل الى البيت قبل ان تحتضنني وتصرخ عاهرة من خلفك:

- حبها ولك حبها ولاتخاف من أمها وترد عليها الاء حسين بدور كميلة وهي تستقبل زوجها نوري وامراته الجديدة
- على أمها الكيك والشربت على أمها
- وجنها طماطه ولاتكول محمره

اخبروني بذلك قبل عدة أيام لم اصدق الخبر وبدات اسال كالمجنونة شلون وليش ونهرني احدهم كيف أقول شلون وليش يعني ليش راح يطلع أي غباءهذا؟ ولكن لماذا؟ لقد كنت محقة كنت تقول لي هناك امل ولكن ليس قريبا وكلما قلت لي ذلك تمنيت ان يبعصني احد ما وكلما اجبت على سؤالي التقليدي الذي لم تمل منه متى تخرج؟ وتقول الله كريم كان شعر وجهي يطول وتوقفت عن الذهاب الى أسواق حيدر ماركت لان صالون تجميل فيروز كان بجواره وكنت اكره النظر اليه ماذا افعل بالتجميل وانا بلا رجل ولا اشاهد التلفزيون ولااستقبل احدا ولا ازور احدا ولايزورني احد بعد ان انفجرت بوجه من قال لي عليك الاهتمام بنفسك قليلا وكنت أقول لهم كما كانت تقول تلك الشريفة امراة الأسير عندما أراد أهلها ان يجبروها على العناية بوجهها وجسدها وإزالة الشعر الذي حولها يوما بعد يوم الى مايشبه الوحش كانت تصيح بهم ولد المدس ولد الخره أولاد الزفرة لمن احف؟ ولمن اتجمل والرجال بالاسر ما ادري طيب ميت ولد الكلب تريدوني احف وانا رجلي

ما اعرف شنو مصيره وسمعت انها بمساعدة اخت زوجها انتقلت مرة أخرى للعيش مع عائلة زوجها بعد ان غادرتهم الى بيت أهلها بعد بضعة اشهر من وصول خبر اسر زوجها. لمن تتجمل المراة؟ هذا كان سؤالي الوحيد عندما يصر الاخرون على الذهاب الى صالون التجميل لان منظري لم يكن مريحا: يطبكم مرض كنت أقول ذلك لكل من يلقي بمثل هذه الملاحظات. لكنك الان معي لقد رجعت سالما كما رجع مئات وربما الاف الاسرى من ايران ولكن هل عاد ورجع كل شيء الى طبيعته قبل الاسر هل عاد الحب وهل عاد الاهتمام هل ظلت الرغبة قائمة ام بقيت الحاجة وحسب لكنك الان هنا في غرفة استقبالنا التي ظلت كما تركتها عندما اخذوك في تلك الليلة كنت نائمة صعدت قبلك بأكثر من ساعة وبقيت انت لمشاهدة فيلم السهرة الأجنبي الذي يعرض عادة مساء كل يوم احد أتذكر الفيلم كيف تقتل الطير المحاكي بطولة غرغويري بيك وعندما عدت عندما اصبحنا لوحدنا سالتني عن فيلم السهرة هل مازالوا يعرضونه كل احد سالتك هل في بالك فيلم معين قلت نعم قمر من ورق بطولة رايان اونيل وابنته التي حازت على الاوسكار عن دورها في هذا الفيلم قلت رايان اونيل بطل فيلم لوف ستوري مع الي ماكرو

- نعم انه هو
- كيف عرفت بهذا كله
- من الدكتور مرتضى كانت زوجته من المهتمين بالسينما والموسيقى كانت تنقل له اخبار السينما أولا بأول
- بالمناسبة كيف حاله وحال الاخرين موسى وصفاء وكاظم
- خرجوا كلهم قبلي بمن فيهم خليل أبو التصنيع العسكري بعد ان توسطوا له لدى مدير الهيئة
- وكاظم؟
- كاظم والاخرين كلهم دخلوا السجن بسبب التهم الكيدية
- خرب شرفهم
- الحمدلله على سلامتك حبيبي

ومازلت أرى في عينيه عندما كان ينظر بعيدا باتجاه ساعة الجدار المتوقفة منذ قرن او الى دواوينه التي نشرتها في واجهة مكتبته الصغيرة كنت أرى حزنا غريبا كنت اريد وارغب ان اساله مابك؟
ولكن وفي كل مرة كنت امسك نفسي وأقول مومحلها خليه يرتاح الان لكنني لم ارتح خلال الأيام التالية لقد كان عصبيا ومزاجيا جدا ولايريدني ان اخرج للتسوق وينزعج جدا عندما اذكر حاجتنا الى بعض الادوية كان يرد بانزعاج وغضب:

- ماكو داعي مانريد ادوية
- باراسيتامول وفازلين من اجل التقرح في كتفك ويديك
- يطبهم مرض عوفيهم

ولاني تعلمت وعلى مدى سنوات ان السكوت امن وأحسن فقد سكت وشغلت نفسي بشيء ما
وخلال الأيام والاسابيع التالية زارنا الكثير من الأقارب والأصدقاء ولم يكن يرتاح لاحد مثل راحته وسعادته بوجوده مع أصدقائه كان يفرح بهم ويحاول ان يكون سعيدا ومرحا كنت اجلس معهم أحيانا خاصة عندما ياتون مع زوجاتهم وابنائهم كنت انتبه اليه انه سعيد واشعر بسعادته حتى بعد رحيلهم يبقى لعدة ساعات في حالة مرح وسرور كانه لم يدخل السجن ولم يبتعد عنهم ولم يفارقهم قط رغم انه سبق لنا وان ابتعدنا عنهم بسبب السفر مرة بسبب العمل ومرة بسبب الهجرة كانت تربطه علاقة غريبة مع أصدقائه علاقة ملؤها الثقة والاحترام المتبادل والمحبة لم تتغير علاقتهم باي شيء كان الكل ينتبه لهم وربما يحسدونهم لانهم حافظوا على هذه العلاقة لاكثر من نصف قرن ورغم رحيل البعض منهم بسبب الموت ظل الباقون محافظين وراعين لهذه العلاقة النبيلة كنت احب ان اراه معهم واراهم يجلسون مع بعضهم سواء في دارنا او عندما يدعونه الى زيارتهم في دورهم او في احد المقاهي وسط بغداد وعندما كان يلتقي بهم كنت انتبه الى اختفاء ذلك الحزن الذي رايته اول مرة عندما رجع من السجن ولما تكررت تلك الحالة بحت لاحدهم عن طريق زوجته بافكاري ومخاوفي من هذا

الحزن الذي الم به وطغى عليه بعد الافراج عنه وعندما سالوني عن راي في علاج هذه الحالة قلت العلاج انتم لقد انتبهت ان هذا الحزن الذي كان يعتريه يبدا بالاختفاء والتلاشي عندما يكون معكم انكم انتم العلاج ولم يبخلوا علينا بالزيارات والدعوات الى ان رن جرس البيت في احد أيام الصيف قبل اشهر من الإعلان عن نية الدولة بهدم السجن وترحيل النزلاء وتوزيعهم على السجون الأخرى كنت في الطابق الأعلى ارتب بعض الأشياء عندما سمعته يرحب وبصوت عالي وباهتمام كبير بشخص ما لم اسمع صوته ولكني نزلت مسرعة لعله يحتاج الي وفيما انا انزل درجات السلم سمعت ترحيبه هذه المرة بكل وضوح

- الله بالخير أبو حيدوري

ولم أكن اعرف أحدا من أهلنا او أصدقائنا بكنية أبو حيدر ولم اجرؤ على الدخول الى غرفة الاستقبال استحيت وكنت مرتبكة وأفكر بسرعة من ياترى هو أبو حيدوري او أبو حيدر وسمعته مرة أخرى

- خير كاظم خو ماكو شي
- لاخير ان شاء الله استاد
- كول خو ماكوشي
- دكتور مرتضى
- خيره شبيه طلع قبلنا وصحته ممتازه
- انطاك عمره
- شنو؟ لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم لااله الا الله الى رحمة الله

وكعادة العراقين امام هذا الخبر فان اول مايتبادر الى ذهنهم هو سبب الوفاة

- شلون؟ صحته كانت زينة والحمدلله شنو شصار
- السرطان
- لابشرفك شلون كاظم احجيلي
- استاد ما أدري ابشرك ما أدري

- كول كاظم
- استاد دكتور مرتضى طلع هو المصاب بالسرطان مو
- مو إني
- أي نعم
- سبحان الله ما اعرف شكول ماذا أقول
- مصائب قوم
- لاكاظم مرتضى ميستاهل كلنا كنا نحبه
- الله يرحمه

وبعد ان غادر كاظم أبو حيدر وعندما رجع زوجي وجدني جالسة على دكة السلم ابكي وانوح وانظر اليه كالمجنونة ونظرة عتاب سخيفة وغير ضرورية ومومحلها

- ليش ماكتلي؟

ولم يجب. جلس على اول كرسي في الهول واخذ يبكي وراسه في حضنه وبكينا معا لا أدري كم طال بكاؤنا وكم بكينا وكم ذرفنا من دموع كنا نبكي بالم وغضب نبكي لأننا تالمنا ونبكي لأننا سعداء ونبكي لأننا لم نشبع من البكاء ولم نتوقف عن البكاء حتى رن جرس البيت واضطر زوجي المسكين الى ان يمسح وجهه بكم دشداشته عندما قلت له بان يذهب ويغسل وجهه لكنه لم يسمعني وخرج ليرى من بالباب وعاد بعد قليل وهو يحاول ان يمسح اخر دمعاته لينظر الي وهويحاول كبت اخر دمعة لديه

- هذا خبز العباس من بيت أبو ظافر.

اعتقد انني بلغت السبعين وانا في السجن، لم أتذكر عيد ميلادي، لم يذكرني به أحد. عندما انتبهت أخيرا، فكرت كم بقي لي من العمر، ليس كثيرا ربما، بضعة أشهر؟ بضع سنين؟ ربما، لا أدري، لم يكن مهما كم يبقى لك من العمر، المهم ان تعيش الحياة كما أرادوا, كما أرادها احد ما وان عليك ان تفعل كل شيء ان تلتزم بكل القوانين وتطبق كل الشعارات وتسعى لتحقي كل الأهداف ان تنجح في الدراسة الثانوية

وان تحصل على معدل يؤلهك الدخول الى احدى الجامعات المرموقة جامعة بغداد مثلا وفي كلية محترمة كلية الاداب مثلا وان تختار لغة عالمية تدرسها وتتقنها على مدى أربعة أعوام وان تتخرج وتحصل على البكلوريوس وتخطط للحصول على الماجستير وتجازف للحصول على شهادة الدكتوراه وليتهافت عليك الجميع للعمل أستاذا في احدى الكليات او ربما مساعدا في الكلية التي تخرجت منها او ان تصبح عميدا لها وان تعشقك احدى الطالبات وستدعي انك تعشقها أيضا لتتزوجها رغم انفك وتنجب منها بضعة دعاميص ثم تطلب منك الطلاق بعد سنوات عندما لم يعد ايرك مناسبا لفرجها ولأنها تريد ان تغني ليلة عرسها وقبل ان تدخل بها وامام اهلك وأهلها والمدعوين وقبل توزيع لفات الكباب وقوطية البيبسي وقطعة الكيك النحيفة التي دفعت الملايين من اجلها وعلى موسيقى بائسة وباند تعس اغبر تغني لمن جاؤوا بدون دعوة اغنية مسيطرة وامشيك مسطرة يابن القندره ثم تعلم ماذا بعد ذلك؟ سينزل عليك ملك الموت يأخذ روحك فجاة ولن يسالك كما سال موسى من قبل لا ياعزيزي انه يأتي فجاة وغالبا على طريق بغداد الحلة وبسيارة الملكة او طريق بغداد البصرة بسيارة الجارجر او طلقة طائشة او متعمدة بمناسبة فوز برشلونة على الريال مدريد او بسبب اضراب بائعات الكيمر على طريق الفضيلية وحتى منطقة الشماعية او بسبب مضاعفات العمليات الجراحية التي اجريتها في تركيا لقص المعدة, المهم انك ستموت حتما سواء خرجت من السجن او لم تخرج النهاية

علاء العبادي
+9647700207121
alebadyalaa@gmail.com
بغداد في تموز2022